

الاتصال الجماهيرى

الواقع .. المستقبل

مدخل

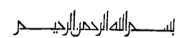
عبد المجيد سكران

الاتصال الجماهيرى

الواقع .. المستقبل

مدخل

عبد المجيد شكرى


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

الى كل إعلامى يبذل الفكر والعرق

من أجل غد افضل لوطن اعطانا الكثير

وفى عالم يتغير دوما ... ويعلم أن الغد يأتى مبكرا دائما

عبد المجيد شكرى

استفتاح

اننا نعيش اليوم ثورة كبرى فى عالم الإتصال ..

اننا نعيش بحق عصر سيطرة الإعلام على مقدرات البشر .. فهو المؤثر الطاغى فى كل أمور حياتنا .. انه يصنع العقول يحركها ... يوجهها ... يصل بها الى حياة افضل ... او ينحدر بها إلى الهاوية .. إنه يخلق الاحرار او يحول الاحرار الى عبيد .. يصنع حضارة ايجابية رائدة قائدة . او يصنع مجتمعات طفيلية تابعة مريضة هابطة ... انه يصنع النصر .. او يكرس الهزيمة والضياع،وقد وضحت الحقيقة التى تقول : ان الانسان مخلوق اتصالى لا يمكنه العيش بمعزل عن الآخرين،فهو يجرى عملياته الاتصالية التى تشمل المعلومات وتشمل المشاركة منذ أن بدأت مسيرته فوق هذه الارض الى اليوم ، مستخدما أدوات كل عصر ، وهو اذ يستقبل قرنا جديدا هو القرن الواحد والعشرون ، انما.يستقبل عالما جديدا زاخرا بالمتغيرات الكبرى التى تمثل نقط تحول جذرية فى حياة البشر، عالم تزداد فيه سطوة الاعلام بآليات مختلفة تماما تتغير معها صورةالعالم ذاته ، وتبقى المعلومة هى الاساس ، ويبقى سعى الانسان من اجل الحصول على المعلومة هو الذى يحركه ،فما من قرار يتخذ دون الاعتمـــاد على المعلومة إلا و يكون مجرد ارتجال ، وهذا هو حال الانسان الفرد ، وحال الجماعة ، وحال الدول ذاتها، وهكذا فرضت المعلوماتية نفسها، واصبحت عِلْما يشغل الجانب الاساسى من الفكر الانسانى ، فالانسان هو المخلوق الوحيد الذى يبدأ من حيث انتهى الآخرون ، فالعالم الذى يريد اختراع نوع جديد من الطائرات او السيارات او التليفزيونات لا يبدأ باختراع الطائرة او السيارة او التليفزيون من جديد،فهو اذن المخلوق الوحيد الذى يسعى الى الحصول على المعلومات وتنميتها وتخزينها من اجل استعادتها وقت الحاجة وعند اتخاذ القرار،وهكذا اصبحنا نعيش ثورة جديدة تماما هى ثورة المعلومات التى يسجلها تاريخ الحضارة كثورة رابعة عاشها الانسان بعد الثورة الزراعية والثورة الصناعية والثورة التكنولوجية الالكترونية وصولا الى ثورتنا الرابعة ثورة المعلومات المتمثلة فيما نطلق عليه المعلوماتية ، أو

نظم المعلومات بمراحلها المختلفة والتى يمكن ان نلتزم معها بحرفية المصطلح،مصطلح العالم المعلوماتى Informative World اى العالم الزاخر بالمعلومات التى تستوعبها نظم معلوماتية ديناميكية التطور، أصبحت عالما جديدا تعمل الدول الكبرى جاهدة على احتكاره ، والتحكم فى نظمه وآلياته ولا تسمح بتداوله إلا بقدر معلوم ، والمعلوماتية او علم المعلومات تمثل السند الاساسى لعلوم وفنون الاتصال التى تعتمد على المعلومات ونشرها وتعتمد على المشاركة participation ، وعلوم وفنون الاتصال هو موضوع هذا الكتاب الذى يتناول رحلة الانسان مع الاتصال ونضاله الطويل من اجل تكريس حقه فى الاتصال - المعلومات والمشاركة - والذى اصبح اليوم حقا من حقوق الانسان، انها رحلة شائقة نبدأها منذ ان عاش الانسان فى الكهف او الغابة لا يعرف لغة الى عصر الشفاهية الى عصر الكتابة والنسخ ثم الطباعة اليدوية ثم الطباعة الآلية البخارية الى عصر الكهرباء الى وسائل الاتصال الجماهيرى حيث الاتصال الطباعى - الكتاب والصحافة - والاتصال الالكترونىءالراديو والتليفزيون والكمبيوتر .... وصولا الى منجزات قرن قادم تسيطر فيه آليات معلوماتية فائقة التطورفائقة الذكاء .. انها رحلة تصور الواقع وتعيش المستقبل .

المعادى - يناير ١٩٩٦

عبد المجيد شكرى

الفصل الاول
الظاهرة الاتصالية

الفصل الاول
الظاهرة الاتصالية

★ بين الانسان الاول وانسان العصر الحديث ★

مارس الانسان الاتصال Communication منذ نشأة المجتمع الانسانى بغائية واضحة يمكن أن نقول إنها نفس الغائية المتمثلة فى عملية الاتصال فى وقتنا الحاضر او هى تقترب منها الى حد بعيد، وكلمة اتصال فى ابسط تعريفاتها عبارة عن انتقال المعلومات او الافكار او الاتجاهات او العواطف من شخص او جماعة الى شخص او جماعة من خلال الرموز ، ويوصف الاتصال بانه فعال حينما يكون المعنى الذى يقصده المرسل هو الذى يصل بالفعل الى المستقبل ، والاتصال هو اساس كل تفاعل اجتماعى فهو يمكننا من نقل معارفنا وييسر التفاهم بين الافراد.

وقد جاء فى قاموس الاتصال ووسائل والاتصال الجماهيرى

A Dictionary of communication and media studies

« انه بينما كلمة اتصال وتعريفها يختلف تبعا للاطار النظرى للمرجع المستخدم والاهمية التى نضفيها على ظواهر معينة للظاهرة ككل، فان التعريفات جميعا تتضمن خمسة عوامل اساسية هى :

١- مرسل - مخبر an initiator

٢-رسالة a message

٣- وسيلة او اسلوب a mode or vehicle

٤- مستقبل للرسالة a recipient

٥- تاثير an effect [1]

وبتعبير أبسط،فان العملية الاتصالية تبدأ برسالة يحملها مرسل،وعندئذ تتحول الى شفرة أو إشارات،وتنتقل عبر وسيلة معينة أو قناة الى متلقى يقوم بعدئذ بحل شفرتها وترجمتها (الرسالة) وبعد إرسال إشارة أو رد بطريقة ما بان الرسالة قد فهمت اولم يتم فهمها » [٢]

---

(1) A Dictionary of communication and Media studies James Watson and Anne Hill Edward Arnold (Publishers) 1984. (Page 43)

(٢)دكتور محمد عاطف غيث - قاموس علم الاجتماع - الهيئة المصرية العامة للكتاب انظر communication اتصال صفحة (٧١-٧٢)

ومن غير المستحب أن نطيل فى تقديم تعريفات أخرى لكلمة اتصال ، فليس هناك اتفاق على تعريف واحد للكلمة،ويكفى ان اضيف بعيداً عن الحديث عن الاتصال بين المخلوقات غير البشرية أن الاتصال عبارة عن ظاهرة (*) بشرية املتها ضرورات وجود الانسان فى مجتمع ما وحاجته لان يتصل بالاخرين دفاعا عن ذاته وحرصا على بقائه وبقاء مجتمعه،وهو ما لن يتحقق الا بان يعلم عبر وسائط تمثل كل واحدة منها ظاهرة فرضتها ظروف كل مجتمع بدء ا من صيحات واشارات وحركات الانسان الاول وانتهاء باكبر المجازات تكنولوجيا انسان العصر الحديث (٣)

★ الاتصال ظاهرة وثورة (*) منذ البداية ★

ان حياة الانسان فوق كوكبنا عبارة عن مجموعة تحولات وثورات مستمرة هى فى حقيقتها حلقات متشابكة تمثل تاريخ الانسان وخطواته الحثيثة صعودا على سلم الحضارة ، انها خطوات بدأت سابقة على التاريخ المكتوب بآلاف مؤلفة من السنين ، انه تاريخ يسبق التاريخ ، او هو ما قبل التاريخ،وهى عبارة يمكن رفضها دوما ، لان تاريخ الانسان بدأ منذ بداية الخليقة ، فهناك تاريخ غير مكتوب،ولهذا يمكن القول بوجود تاريخ سابق على التاريخ المكتوب ، أى التاريخ قبل التاريخ المكتوب وهو ما يتعذر تحقيقه،بينما التاريخ المكتوب يمكن بصورة أو باخرى تحقيق احداثه . ففى فترات ما قبل التاريخ المكتوب لابد وان تكون هناك انجازات غاية فى بساطتها لكنها تعتبر تحولا كبيرا فى حياة انسان تلك العصور البعيدة نقلته من وضع قائم الى وضع اخرونقلته من مرحلة الى مرحلة ، فاذا افترضنا ان الانسان الاول لم يكن يمشى على قدميه منتصبا بل كان يستخدم أطرافه الاربعة فهو عندما تعلم كيف يمشى على قدميه بظهور الانسان المنتصب Homo-Erectus تحققت ثورة كبرى دفعت حياته نحو التطور،اى نحو ما هو افضل،فقد تضاعفت سرعة سيره وسرعة جريه واستطاع استخدام سرعته فى الصيد والقنص وفى الهرب من،اعدائه من الوحوش الضارية ومن اخيه الانسان ايضا وسعيا وراء القوت وهربا من كوارث الطبيعة ونتجاوز ذلك الى القول بانه حقق ثورة اتصالية بنجاحه فى الاتصال بالآخرين بسرعة اكبر .

واكتشاف النار واستخدامها فى الطهو واستخدامها كاشارات تعتبرثورة حياتية وثورة اتصالية ايضا،وهى التى أدت الى اكتشاف الجديد بما حققه من انجازات على طريق الحضارة ..

(*)ظاهرة phenomenon كل موضوع أو واقعة يمكن ملاحظتها أو التعرف عليها لدى مجتمعات عديدة فى وقت واحد وتتصف بانها سائدة أى منتشرة .

(٣) عبد المجيد شكرى – التخطيط الاعلامى – رؤية موضوعية نحو المستقبل – العربى للنشر – القاهرة. ١٩٩٥

(*) المقصود بالثورة هنا التغيرات الجذرية التى تؤدى الى تحولات ملحوظة فى حياة الانسان وتاخذ بيده نحو ما هو افضل .

وكذلك استئناس الحيوان .. الحصان الجمل .. واكتشاف العجلات،كلها ثورات متصلة لا تبعد أبدا عن ثورة الاتصال .. ان سكنى الكهوف والرسم على جدرانها حقق الكثير ، الكهف حقق للانسان الأمن والراحة والحماية من هجوم الأعداء والوحوش المفترسة ومن الطبيعة القاسية واتاح له ان يرسم ويعبر،فالرسم رسالة اتصالية message فهو اذا رسم قطعيا من الثيران والحراب مغمدة فى جسد ثور أو أسد ، فهى رسالة يقرأها افراد الجماعة الذين سيحضرون الى الكهف ، وقد تكون تحذيرا وقد تكون دعوة للمشاركة وقد تكون ايضا عملا سحريا او طقسا من طقوس العقائد البدائية تعنى قيام الأرواح بمساعدته او مساعدة الجماعة على قهر اعدائهم وعلى الوصول الى صيد وفير،فهى اتصال بالارواح والآلهة .

صناعة الفخار نقلة وثورة اخرى .... البناء بالطوب اللبن والطوب المحروق والحجر واستخدام المعادن وخام الحديد وخام النحاس بصفة خاصة نقلات أخرى او ثورات ...

تعلم الزراعة وصناعة أدواتها وسكنى القرى والمدن ومعرفة اساليب الدفن واستحداثها .. نقلات وثورات أخرى .. إنها حقيقة مجموعة من التحويلات والثورات المستمرة ومن خلالها كانت العمليات الاتصالية مستمرة كظاهرة دعت إليها الحاجة وأدت اليها تلك الثورات المتتابعة المتمثلة فى اكتشاف الانسان لبيئته ومنذ بدء وجوده .

★ اتصال ذاتى.. سر الاسرار ★

لقد مارس الانسان الاتصال اذن منذ نشأة المجتمع الانسانى،وقد مارسه بغائية واضحة يمكن أن نقول إنها نفس الغائية المتمثلة فى الاتصال الانسانى فى وقتنا الحاضر،لكن بصورة مبسطة تتمثل فى نقل وتلقى الافكار من عقل الى عقل او الى عقول اخرى،والانسان كان دوما وما زال بحاجة الى نقل وتلقى الافكار، ان يَعْلم وان يُعْلِم ومع ذلك فالانسان دائم القيام بعمليات اتصالية مستمرة حتى لو كان جالسا بمفرده « فكل واحد منا يمثل مركزا للاتصالات،فلكل منا جهاز عصبى يستند الى ملايين من الخيوط التى تتألف منها أسلاك وطرق وشبكات فرعية لنقل الرسائل من المخ واليه ، وفى نفس المخ عشرة بلايين وحدة عصبية (*) تتولى تجهيز الرسائل كما ان الحواس الخمس تتلقى الرسائل وتنظمها بصفة مستمرة سواء فطنا الى ذلك اولم نفطن.[٤]

(*) ذكر العالم الامريكى ناثان كلاين Nathan KLine ان المخ الذى يزن نحو ثلاثة ارطال يحتوى على نحو عشرة آلاف مليون خلية عصبية .

(٤) د/ طلعت حرب - سيكولوجية الاتصال - بحث منشورفى مجلة عالم الفكر - المجلد الحادى عشر العدد الثانى - يوليو اغسطس سبتمبر ١٩٨٠ - الكويت .

ونضيف الى ذلك ما يعرف فى علم النفس بـ Intra Individual،وهو الاتصال بين الفرد و نفسه. ويقصد به ادراك الفرد لذاته ولعلاقاته بالعالم المحيط به،ووعيه بخصاله وقدراته وحدوده،وبجوانب قوته وضعفه،وبما قد يعوق انطلاق طاقته،ولاشك ان حسن اتصال الفرد مع نفسه،يجعله اقدر على توظيف امكاناته توظيفا كاملا fully functioning الامر الذى يضمن بدرجة كبيرة السواء لشخصيته والفاعلية لاسلوب حياة هذه الشخصية»(٥).

هذا ويمكن ان نضيف الى ذلك الكثير مما اورده علم النفس فى مجالات الأحلام وأحلام اليقظة والتامل meditation وما نجده فى ممارسات فلسفة اليوجا وبعض ممارسات الفلسفات الآسيوية والتحليل والابداع والالهام والتذكر،وجميعها لها صلة وثيقة بعمليات الاتصال الذاتى، فماذا نقول عن الموسيقار فاجنر Wagner الذى قال انه قد سمع فى منامه النغم الاساسى الذى يتردد فى افتتاحية Overture واحدة من اعظم اعماله الموسيقية Dasreignold ، وان الشاعر الانجليزى كولردج Coleridge قد غلبه النعاس فى صباح يوم وهو يطالع،ثم افاق من نومه واخذ يخط بسرعة قصيدته المشهورة KublaKhan حتى وصل الى البيت الرابع والخمسين (٦) بل انه فى بعض المجتمعات يعتقد الناس ان الحلم شق الواقع،فاذا حلم زوج فى جزيرة بورانيو ان زوجته قد خانته،يحق له ان يطلقها ويعيدها الى بيت ابيها،وقد اشتكى مبشر يسوعى فى القرن السابع عشر من ان هنود الاروكواز الحمر،يعبدون إلّها واحدا هو الحلم،ويخضعون له وينفذون اوامره بدقة مطلقة،وقال المبشر ان هؤلاء يعتبرون انفسهم آثمين اثما كبيرا اذا لم ينفذوا أمرا جاء فى الحلم. وماذا نقول عندما نتذكر شخصا بعينه كان غائبا منذ فترة طويلة،واذا به يطرق الباب ويدخل علينا بين دهشة الحضور ؟ وماذا نقول عن حادثة فريدة يذكرها التاريخ الاسلامى عندما اعتلى الخليفة عمر بن الخطاب منبر المسجد فى المدينة ليخطب خطبة الجمعة ثم التفت الى المنبر ونادى :

يا سارية بن حصن الجبل ... الجبل ... ! ومن استرعى الذئب ظلم .

فلم يفهم السامعون مراده وقضى صلاته فسأله على رضى الله عنه :

- ما هذا الذى ناديت به ؟

قال :

- اوسمعته ؟

---

(٥) د/ يوسف مراد - مبادىء علم النفس - منشورات جماعة علم النفس التكاملى - دار المعارف ١٩٦٦ .

(٦) بيتر فارب Peter Farb،بنو الانسان،الاسم الاصلى للكتاب Human kind ترجمة زهير محمود الكرمى سلسلة دار المعرفة ١٩٨٣ - الكويت .

قال :

نعم انا وكل من فى المسجد .

فقال عمر : وقع فى خلدى ان المشركين هزموا اخواننا وركبوا اكتافهم وانهم يمرون بجبل فان عدلوا اليه قاتلوا من وجدوه وظفروا،وان جاوزوا هلكوا، فخرج منى هذا الكلام .

وجاء البشير بعد شهر فذكر انهم سمعوا فى ذلك اليوم وتلك الساعة حين جاوزوا الجبل صوتا يشبه صوت عمر يقول «يا سارية بن حصن الجبل الجبل » فعدنا اليه،ففتح الله علينا[٧]وهذه الحادثة يؤيد صحتها علم النفس ايضا،وهى ظاهرة اتصالية تعرف باسم Telepathy [٨] وهو عبارة عن توصيل غامض للحقائق والافكار والمشاعر والاحاسيس بين عقل وعقل من بعد.

بين الاعلام والاتصال

★ الاعلام ومفهوم المصطلح ★

ان كلمة إعلام انما تعنى اساسا « الاخبار » وتقديم معلومات to inform أن أعلم ويتضح فيها وجود اتجاه واحد من مرسل sender ووجود رسالة اعلامية message (اخبار معلومات)الى مستقبلreceiver كمنولوج monologue اى حديث من طرف واحد،واذا كان المصطلح يعنى نقل المعلومات والاخبار فهو فى ذات الوقت يشمل أية اشارات او اصوات وكل ما يمكن تلقيه او اختزانه، وهو بهذا المعنى اقرب الى مصطلح (داتا) data اى البيانات او المعلومات وما نصطلح على تسميته قاعدة المعلومات او البيانات التى نجمعها information gathering وتخزينها restor-ing فى العقول الالكترونية computers واسترجاعها regaining متى شئنا ، وهو يشمل ايضا تقديم الاخبار والمعلومات الدقيقة الصادقة للناس والحقائق التى تساعدهم على ادراك ما يجرى حولهم،وتكوين آراء صائبة فى كل ما يهمهم من امور،او يتم ذلك خلال وبواسطة وسائل تحمل للناس هذه المعلومات والحقائق والاخبار[٩]

ويمكن بذلك ان نصل الى القول بان الاعلام هوتقديم الافكار والآراء والتوجيهات المختلفة الى جانب المعلومات والبيانات بحيث تكون النتيجة المتوقعة والمخطط لها مسبقا ان تعلم الجماهير

---

(٧) عباس محمودالعقاد - عبقرية عمر - دار المعارف ١٩٧٩

(٨) Collins New English dictionary - Collins London and Glasgow-1964

(٩) كرم شلبى (د) معجم المصطلحات الاعلامية - دار الشروق - القاهرة ١٩٧٩

مستقبل الرسالة الاعلامية،كافة الحقائق ومن كافة جوانبها،بحيث يكون فى استطاعتهم تكوين آراء وافكار يفترض انها صائبة بحيث يتحركون ويتصرفون على أساسها من أجل تحقيق التقدم والنمو والخير لانفسهم والمجتمع الذى يعيشون فيه .

★ اتصال ... كيف ؟ ★

واذا كنا نقول ان كلمة اتصال Commuication فى ذاتها تعنى « نقل معلومات من أجل نشرها وذيوعها عن طريق المشاركة،فالكلمة ذاتها ايضا مشتقة من الكلمة اللاتينية communis ومعناها مشترك،وهذا يعنى وجود رسالة مشتركة ، كما تعنى الكلمة او المصطلح استخدام اللغة او أى رموز غير منطوقة لتوصيل معلومات ونشرها من أجل اقامة تفاعل اجتماعى social interaction

★ الاتصال المواجهى المباشر ★ Face to face communication

ا- الاتصال الشخصى Personal Communication

واذا كنا قد تحدثنا عن الاتصال الذاتى او الاتصال القائم بين الانسان وذاته،فاننا نواجه بالضرورة ما يسمى بالاتصال المواجهى المباشر facet to face communication او الاتصال المباشر،واكثر اشكاله ذيوعا هو الاتصال الشخصى،او الاتصال بين فردين،وهذا النوع من الاتصال يحدث حينما يكون هناك تفاعل بين نظامين ذاتيين او اكثر ، انت عندما تتحدث الى صديق تعتبر نظاما ذاتيا ويعتبر صديقك نظاما ذاتيا ايضاء، ولكن النظامين يتفاعلان ليكونا نظاما للاتصال الشخصى،وكل نظام ذاتى يتاثر عندما يتفاعل مع النظام الآخر،وسنجد نفس العناصر الموجودة فى الاتصال الذاتى فى عملية الاتصال بين فردين والاتصال الشخصى ينطوى ايضا على عملية وضع الفكر فى كود Encode وعملية فك كود Decode (ذاتى) وبين الافراد شخصى ورجع صدى Echo،والاتصال الشخصى جمهوره محدد سلفا ، والتقاء المرسل مع المستقبل وجها لوجه يتيح فرصة كاملة لمعرفة رد الفعل بشكل مباشر وفورى،وبذلك يمكن للمرسل ان يعدل من رسالته طبقا لقناعته التى يصل اليها عن طريق تحققه من رد فعل المتعرض للرسالة .

(ب) الاتصال الجمعى: Group Comunication

وهو شكل آخر من اشكال الاتصال المواجهى المباشر،ويتمثل فى وجود مرسل او اكثر ووجود رسالة ووجود مستقبل عبارة عن مجموعة من الأفراد قل عددهم او كثر ، و الاستجابة هنا أو رد الفعل او رجع الصدى يكون فوريا او عاجلا ايضاء،مثلما هو الحال فى المحاضرات والندوات

والاجتماعات السياسية واللقاءات الجماهيرية والندوات وحلقات المناقشة والخطب السياسية والدينية فى المساجد والكنائس ومختلف دور العبادة والجمعيات المختلفة حيث تتوفر فرص الشرح والتفسير والمناقشة والرفض،مع توافر عنصر الاتصال غير اللفظى Non verbal communica-tion المتمثل فى حركات التاكيد وقوة الحضور وتعبيرات الوجه،ومظاهر تسويق الشخصية من ملبس وتجميل للوجه والشعر ، مثلما يفعل العديد من الحكام والقادة والزعماء ، وفى هذا النوع من الاتصال يمكن تجنب عوامل سوء الفهم مع توافر القدرة على تصحيح مسار المناقشات والتقاء الاطراف المشاركةوالوصول الى قناعات مقبولة من معظم الاشخاص المتعرضين للرسالة الاعلامية المطروحة،والافكار والآراء التى تتيحها مثل تلك اللقاءات بحيث يصل الجميع الى ما يمكن ان نصفه بانه فهم مشترك .

★ الاتصال الجماهيرى ★ Mass Communication

ولعل أهم ما يميز الاتصال الجماهيرى انه يكون بين نقاط منفصلة ومعزولة عن بعضها،وانه يتم عبر وسيلة من وسائل الاتصال،وعندما نقول اتصال جماهيرى mass communication فاننا نعنى اتصالا يستهدف عددا كبيرامن الأفراد غير المتجانسين heterogenxeous وغير المعروفين لبعضهم البعض وللقائم بالاتصال،والمنفصلين عن بعضهم البعض ، فهم منفصلون عن كل من المرسل وعن المستقبلين الآخرين ، وهكذا يكون رد الفعل مؤجلا غير فورى،وبتعبير اكثر بساطة فان عملية الاتصال تبدأ عندما تتكون فكرة ماداخل ذهن وعقل المرسل ، والذى يقوم بوضعها كرسالة فى شفرة او رموز معينة،ثم ينقلها عبر وسيلة او قناة الى مستقبل يقوم بفك شفرتها وتفسيرها،وعندئذ يعطى اشارة بان الرسالة قد فهمت أو لم تفهم ، ومع ذلك فقد يعوق وصول الرسالة ما نطلق عليه الضوضاء noise او التشويش ، وتعنى عدم وصول الرسالة أو وصولها مشوشة،او عدم فهمها كما هى فى حقيقتها،وكما اراد لها المرسل عن طريق تحريفها .

*** ويفرض نفسه السؤال :-**

ماذا يعنى الاصطلاح او المصطلح الشائع وهو « وسائل الاتصال الجماهيرى » كترجمة للمصطلح الانجليزى media والذى اصبح يعنى كافة وسائل الاتصال الجماهيرى مثل الصحافة والراديو والتليفزيون ويصبح بذلك المصطلح mass media مرادفا لمصطلح mass commnication

انه للاجابة على هذا السؤال ينبغى ان نفرق بين اصطلاحين هما :-

١- وسيلة الاتصال medium

٢-وسائل اتصال media

*** اولا :- وسيلة اتصال medium**

هذا المصطلح يعنى وسيلة نقل او حمل الرسالة ويشمل اداة حفظ المعلومات والبيانات ، انها ببساطة وسيلة نقل المعلومات a means of transmitting فالتليفزيون على سبيل المثال وسيلة medium لنقل الصوت والصورة .

*** ثانيا : وسائل الاتصال media**

والكلمة او المصطلح كما هو واضح عبارة عن جمع كلمة medium وهى مفرد ، وبذلك تعنى كلمة media الوسائل التى نستخدمها لنقل المعلومات الى الجماهير، ولذلك فهو اصطلاح يجمع بين التليفزيون والراديو والسينما والفيديو والكمبيوتر أو ما نطلق عليه اليوم وسائل الاتصال الالكترونى Electronic Media بالاضافة الى الصحافة والكتاب المطبوع او ما يمكن ان تطلق عليه الاتصال الطباعى .

★ بين حق الاعلام والحق فى الاتصال ★

ولعل من المهم ان نؤكد على ما يعرف اليوم بحق الاعلام وحق الانسان فى الاتصال وحرية الاتصال، ذلك الحق الذى اصبح حقا ثابتا كحق من حقوق الانسان Human Rights، والحق هو الشيء الوحيد الذى لا يجوز لأحد أن ينازعنى عليه ، كما تقول ان لكل مواطن الحق فى نصيب عادل من اعلام بلده ، حقه فى ان يَتَكلم ، حقه فى ان يُعْلِم ، وحقه فى ان يتثقف وحقه فى ان يرفه عنه ، كما أن حق الاعلام قد عرف كحق من حقوق الانسان عندما اعلنت ذلك الجمعية العامة للامم المتحدة عام ١٩٤٦ فى قرارها رقم ٥٩ الذى ينص على ما يلى :

« ان حرية الاعلام حق انسانى اساسى وانها المحك لجميع الحريات التى تكرس الامم المتحدة نفسها من اجلها » (١٠)

بل ان الاعلان العالمى لحقوق الانسان الذى أقرته الأمم المتحدة ايضا يؤكد ذلك الحق فى نفس المادة ١٩ التى تقول :-

« لكل شخص الحق فى حرية الرأى والتعبير ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون اى تدخل ، او استقاء الأنباء والأفكار وتلقيها واذاعتها بأيّة وسيلة كانت دون تقيد بالحدود الجغرافية » (١١)

---

(١٠) ديزموند فيشر - الحق فى الاتصال - ترجمة محمد فتحى - اليونسكو - باريس ١٩٨٤

(١١) المرجع السابق

كما تبلورت صورة ذلك الحق بوضوح فى تقرير اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال برئاسة سين ماك برايد Seen Mac Bride وزير خارجية ايرلندة الاسبق والحائز على جائزة نوبل ولنين للسلام الذى يقول :-

« يعتبر الاتصال فى الوقت الحاض حقا من حقوق الانسان،غير أنه يفسر بصورة متزايدة على أنه حق يتجاوز الحق فى تلقى الرسائل الاعلامية أو الحصول على المعلومات،وهكذا ينظر الى الاتصال على انه عملية ثنائية الاتجاه يجرى فيها الشركاء فرادى او جماعات حوارا ديمقراطيا متوازنا ، ان فكرة الحوار على عكس المونولوج تشغل جانبا كبيرا من التفكير المعاصر الذى يقودنا نحو تنمية مجال جديد من مجالات الحقوق الاجتماعية .

وقد اوردت اللجنة فى تقريرها النهائى قائمة متميزة بحقوق الافراد فى حق الاتصال وهى:-

١- الحق فى المعرفة

٢- حق الانسان فى التعبير عن نفسه .

٣- الحق فى المناقشة .

٤- الحق فى الحفاظ على الحرمة الشخصية .

★ حق الإنسان فى الإحتفاظ بذاتيته الثقافية ★

ونستطيع في ذات الوقت التأكيد علي عدد آخر من الحقوق التي ينبغى أن تضاف إلى الحق في الأتصال ، وأعنى بها الحق في أحتفاظ الشخص بهويته وذاتيته الثقافية والوطنية والقومية بحيث لا تجعله هدفا لحملات اعلامية تستهدف القضاء علي تلك الذات أو الهوية،سواء جاء ذلك عن طريق دول تهدف إلي طبع دول العالم بطابعها،مثلما هو الحال مع محاولات الولايات المتحدة لطبع العالم بالطابع الأميريكي علي حساب الهوية والذاتية والخصوصية المميزة للدول الأخرى ، وهو ما نطلق عليه محاولة أمركة العالم Americanizing the world ، أو جاء ذلك من الداخل internal علي يد إعلاميين يفعلون ذلك دون وعي كامل بخطورة محو هوية وذاتية شعوبهم وتعريضهم لخطر الضياع بين ثقافات الآخرين .

... وهكذا تتسع دائرة الحق في الأتصال ليصبح حق الإنسان في أن يَعلم فلا نخفي عنه حقيقة ، وحقه في ان يُعلم،وحقه فى أن يتثقف،وحقه في ان يرفّه عنه ، وحقه أن يسأل،وحقه في أن يتلقي ردا علي كل ما يسأل عنه ، وحقه في أن يَسمع المسئولون صوته ، وأن يسمع رد

المسئولين علي ما يسأل ، وحقه في أن يرد ، وحقه في أن يناقش ، وحقه في أن يعبر عن نفسه، ثم حقه في الحفاظ علي حرمته الشخصية ، وحقه في الحفاظ علي هويته وذاتيته الثقافية ، وهكذا أصبح الأتصال والحق في الأتصال أحد أهم الثوابت الجوهرية في الفكر الإنساني مع نهايات قرن وبدايات قرن جديد هو القرن الواحد والعشرين .

★ من الاتصال الرأسى الى الاتصال الافقى .... كيف ؟ ★

ولنا ان نسجل ايضا انه بالرغم من نجاح الانسان فى فى تقرير حقه فى الاتصال ، وتسجيل هذا الحق فى وثائق دولية معترف بها من خلال الامم المتحدة والعديد من لجانها مع اعتبار الحق فى الاتصال حقا من حقوق الانسان ، الا أن الواقع العملى نتيجة سيطرة نظم سياسية بعينها تعمل على تجاهل مثل هذه الحقوق وفرض هيمنتها وسيطرتها الكاملة على مقدرات الشعوب ، جعل حرية الرأى وحرية التعبير وحق المشاركة وتبادل السلطة من الأمور النظرية التى خرجت تماما من دائرة التطبيق،بينما اصبحت الجماهير اكثر سلبية وأستسلاما،واذا اضفنا الى كل ذلك بروز الثورة الكبرى فى مجال تكنولوجيا الاتصال التى كرست وثبتت دعائم النظام العالمى الراهن الذى يتسم بالخلل ، وأوجه التفاوت الخطيرة على المستويات القومية او الدولية والتى تتمثل فى الانسياب غير المتوازن للمعلومات،مع الاتجاه الراسى الآحادى الجانب من اعلى الى اسفل ، من المراكز الى الأطراف ومن الحكومة الى الأفراد ومن الثقافة المسيطرة الى الثقافات التابعة ومن الدول الغنية تكنولوجيا فى الشمال الى الدول الافقر فى الجنوب [١٢] كنا امام جماهير تكاد تكون منزوعة الارادة،مستسلمة تماما لما تبثه وسائل الاتصال التى تسيطر عليها قوى محلية او دولية تحكم سيطرتها على فكر وعقل المتعرضين لرسائلها،وان كانت السنوات الأخيرة قد شهدت محاولات عديدة من بعض المجتمعات لتجاوز انماط الاتصال الرأسية بخلق وسائل اتصال بديلة تعمل على المستوى الافقى بدلا من الرأسى،ويرجع الفضل فى ذلك الى المحاولات الشبابية لخلق وسائلها الاتصالية الخاصة،التى تتمثل فى انتاج الفيديو والسينما التسجيلية والمسرح التجريبى وبرامج الكمبيوتر،بل واصدار الصحف المحلية ومطبوعات الماستر من صحف ومجلات وكتب محدودة الانتشار تحقق وجود الاتصال الأفقى المتوازن بدلا من الاتصال الرأسى،وان كانت تلك

---

(١٢) أ - The Right to infom and to be informed . Development Dialogue ILET (1981) .

(ب) د/ عواطف عبد الرحمن - الحق فى الاتصال بين الجمهور والقائمين بالاتصال - مجلة عالم الفكر - المجلد الثالث والعشرون - العدد الاول والثانى - يوليو - ديسمبر ١٩٩٤

(ج) د/ عواطف عبد الرحمن - المرجع السابق

العمليات جميعا محفوفة بالمخاطر،خاصة فى الدول النامية التى يعادى معظمها حرية الرأى وحرية التعبير،بل وحرية المعرفة والتى تتميز بثقافة تابعة خاضعة بشكل أو بآخر للثقافات الأقوى التى تساندها وترتبط معها بمصالح تؤكد وجودها .

★ إعلام أم أتصال ★

وهكذا نعود مرة أخرى إلى الحديث عن مفهوم الإعلام ومفهوم الإتصال ، وحق الإعلام وحق الإتصال ، ومع ذلك فان أيسر أسلوب لفض الأشتباك بين الأصطلاحين بعد ذيوع مصطلح إعلام وتفوقه بصورة أو باخرى على مصطلح اتصال الذى كاد ان يتخلى عن مكانه لمصطلح اعلام بالرغم من ان الاعلام جزء من وظائف الاتصال،فقد اصبح من المقبول استخدام مصطلح اعلام الاكثر شيوعا عندنا،بشرط ان يحتفظ ذلك المفهوم الشائع بكافة الأبعاد التى تميز الاتصال ووسائل الاتصال الجماهيرى ، من حيث هو اتصال قائم على المشاركة،وان يتسع حق الاعلام ليشمل كافة عناصر الحق فى الاتصال ، بل لعل الجمع بين الاصطلاحين يكون هو الأنسب للوصول الى درجة كبيرة من التوافق بينهما ، فنقول الاتصال الاعلامى الذى يعنى اليوم بالضرورة الاتصال الجماهيرى،والحقيقة تقول انه مهما فرض اصطلاح اعلام نفسه على الساحة الاتصالية والمعرفية، فقد بقى مفهوم ومعنى الاتصال هو المسيطر عليه ولم يعد منطوق اللفظ هو الذى يفرض نفسه، بل مضمون اللفظ هو الذى يحدد هوية المصطلح .

★ التخطيط الاعلامى .. ضرورة ★ (*)

التخطيط هو السمة المميزة للحياة،انه الحياة نفسها،هو النظام وعكسه الفوضى والارتجال وبه ينادى دوما العلماء والخبراء والمصلحون ، وبهذا ايضا جاءت شرائع السماء .

التخطيط اذن مطلوب من أجل المستقبل،وهو يعنى وضع خُطّة ، (بضم الخاء وتشديد الطاء مع الفتح) بعد القيام بدراسات مستفيضة قبل البدء فى تنفيذ اى من المشروعات الاقتصادية أو التعليمية أو التربوية أو الانتاجية أو الثقافية أو السكانية أو العمرانية أو الاعلامية ، أو أى مشروع يخدم الحاضر ويعمل من أجل المستقبل فى كافة المجالات،مع حشد كافة الامكانيات اللازمة للتنفيذ بنجاح والوصول الى النتائج المرجوة والسابق التخطيط لها .

والتخطيط الاعلامى يعنى اساسا حشد كافة الطاقات الاعلامية البشرية والمادية وكافة المؤسسات الاعلامية الجماهيرية والشعبية بدءا من النشرات الصغيرة والملصقات والشعارات الى المؤسسات الصحفية الكبرى،من الإذاعات المحلية الصغيرة،الى الشبكات الاذاعية والتليفزيونية

(*) لمزيد من المعلومات عن التخطيط الاعلامى يرجع الى كتاب : التخطيط الاعلامى رؤية موضوعية نحو المستقبل - عبد المجيد شكرى - العربى للنشر والتوزيع ١٩٩٥ القاهرة

الكبرى من الفنان الشعبى البسيط الى ذروة المسرح والسينما والاوبرا .. ويدخل فى كل ذلك مسرح الطفل ومسرح العرائس وخيال الظل وفرق الفنون الشعبية ومعارض الفنون التشكيلية وصحف الحائط،ويدخل فى كل ذلك أيضا المحاضرات والندوات واتصالات قادة الرأى التنفيذيين والشعبيين والمحليين ورجال الدين والقائمين على الاعلام النوعى التخصصى ..انه حشد كل ذلك وتوجيهه من أجل تحقيق أهداف المجتمع ، وبهذا يشمل التخطيط فى ذات الوقت تحديد تلك الاهداف الى جانب تحديد الامكانيات المتاحة وفى المستقبل .. إنه اذن تحديد للاهداف .. وتحديد للامكانيات وحشد للطاقات ثم التنفيذ والانطلاق نحو المستقبل .

★ الاستراتيجية والتخطيط الاعلامى المتكامل ★

واذا كنا نقول بضرورة تحديد الاهداف الى جانب تحديد الامكانيات المتاحة وحشد الطاقات ثم التنفيذ،اى تنفيذ الخطة،فاننا نؤكد بالضرورة على ان تكون هناك استراتيجية ثابتة نسترشد بها بل تكون ملزمة لنا ونحن نقوم من البداية بتحديد الاهداف ، استراتيجية اساسها مصلحة الوطن العليا ، ومصلحة المواطن صاحب الحق الاول فى هذا الوطن ، استراتيجية تعتمد على دراسة واقع المجتمع وقيمة وتراثه الحضارى،استراتيجية تعتمد على ما يمكن ان نطلق عليه « الحلم القومى » الذى نود ان تتجمع حوله كافة آمال وطموحات الشعب من أجل حياة افضل ومكانة عالمية اكبر . والوصول الى ذلك لا يأتى بقررات أو رؤية علوية او فردية،ولا يمكن أن يأتى عفويا او ارتجالا،بل ياتى نتيجة دراسات وبحوث متأنّية تتم مراجعتها ومناقشتها بواسطة المتخصصين ورجالات الفكر والدين والثقافة والتربية والفنون والسياسة والاجتماع والاقتصاد،ومن يمكن الاستفادة من فكرهم وآرائهم من الشخصيات العامة ومن المواطنين أنفسهم ، من خلال الدراسات الميدانية وعمليات الاستبيان واستطلاع الرأى التى تتم بصورة عملية صحيحة ، ان من يضعون الاستراتيجية والخطة الاعلامية بحاجة دائمة الى وضوح الرؤية،وتوفر الحقائق وكافة الاحتياجات، وتنفيذ الخطة الاعلامية يقوم به أفراد متخصصون فى الاعلام ، يقوم بها إعلاميون كل فى مجال تخصصه ، اعلاميون يوجهون خطتهم الى جمهور محدد ، وبمعنى آخر نتحدث عن إعلاميين يوجهون رسائلهم الى جمهور مستهدف،وهم جميعا عناصر متشابكة لابد من تضافرها من اجل إنجاح الخطة الاعلامية ذاتها،وهو ما يمكن ان نطلق عليه التخطيط الاعلامى المتكامل .

★ التخطيط الاعلامى وفلسفة النظم★

ومع ذلك فلا يجب ان يغيب عن اذهاننا لحظة ان استراتيجيات العمل الاعلامى وسياساته

وخططه انما تنبع اساسا من خلال فلسفة المجتمع وفلسفة الشعوب ذاتها وفلسفة النظم الحاكمة فى ذات الوقت ، وبصفة خاصة فى الدول غير النامية الديمقراطية الواقعة تحت سيطرة حكم شمولى يعتبر الحاكم فيها نفسه هو المشرّع او هو الدولة ذاتها طبقا لمقولة الملك لويس الرابع عشر ملك فرنسا او الملك الشمس Le Roi Soleil طبقا لمقولته الشهيرة « انا الدولة » Je suis l'etat ، فلا اعلام بغير منهج،ولا منهج بغير استراتيجية اعلامية،ولا استراتيجية بدون فلسفة واضحة المعالم ، ان التخطيط الاعلامى القائم على أساس علمى سليم والذى تحدثنا عنه مطولا قد يفقد أهم مقوماته اذا جاء الاعلام انعكاسا لفلسفة سلطة شمولية لا تؤمن بالديمقراطية كمنهج ينبغى اتباعه فاذا كان الحاكم يؤمن بانه الدولة ، جاءت الاستراتيجية والسياسة والخطة الاعلامية مؤكدة لهذه الفلسفة التى تعتمد على تعليب افكار الناس فى اطار حكم الفرد المطلق ، وجاء الاعلام كأبواق دعاية معتمدا على ما نطلق عليه « الابتزاز الوجدانى » حيث يسبح الاعلام بحمد الحاكم ليل نهار كالحاح مستمر يؤثر على وجدان الجماهير ويزيف وعيهم ويخدرهم ويسوقهم الى حيث يريد .

★ الفلسفة الذاتية .. وجهة نظر ★

لقد تطرق المفكر المصرى الكبير وأحد رواد التنوير فى العصر الحديث الدكتور زكى نجيب محمود ، تطرق الى موضوع الاعلام والثقافة ومختلف الانشطة الفكرية والعقلية من خلال حديثه عن الثقافة باعتبارها اساس كل نشاط ، ثقافة الشعب او فلسفة الشعب،فهو يعرف الثقافة بقوله:-

« انها نوع من النشاط الذهنى يؤدى فى النهاية الى ايجاد وجهة نظر عند الانسان صاحب هذه الثقافة »

ووجهة النظر هذه ، هى بالضرورة الفلسفة التى يؤمن بها الفرد أو تؤمن بها الجماعة أو يؤمن بها الحاكم او السلطة ، بحيث يكون تحرك الجميع على اساسها ، ولهذا نجده يعود فيقول :-

« ومن لم تكن لديه وجهة نظر خاصة (فلسفة) يمكن بها الحكم على الاشياء من حيث المفاضلة والأهمية وغير ذلك ، مهما كثرت معرفته فهو يعرف لكنه ليس مثقفا » والحقيقة ان الافتقار الى فلسفة ذاتية محددة واضحة هو الذى يجعلنا نشكو من فقدان وجهة النظر لدى المبدعين والمفكرين والمربين بل ورجال السياسة او من يفترض فيهم انهم رجال سياسة والاعلاميين، مما يؤثر سلبا على تحديد الأهداف ووضع الخطط واتخاذ الخطوات التنفيذية اللازمة لتحقيق تلك الاهداف .

ان الفلسفة بهذا المفهوم تمثل توجها قيميا Value Orientation يبرز فى سلوكيات الافراد وبوجه واضعى الاستراتيجية والسياسة و الخطة والمنفذين لها .

★ على طريق النقد الذاتى ★

اننى اذكر على سبيل المثال وعلى سبيل النقد الذاتى بعض الفلسفات السلبية التى تعتبر من عوامل التأخر فى مجتمعنا،ولنا ان نتصور حالنا لو أقمنا علاقاتنا ومارسنا حياتنا ووضعنا استراتيجيتنا وسياستنا وخططنا فى كافة المجالات على اساس فلسفات تقول :-

* اللى عنده قرش يساوى قرش
* معك قرش تساوى قرش
* اللى يتجوز أمى اقوله ياعمى
* اذا كان بختك فى حجر اختك اخطفيه واجرى
* احنا اللى دهنا الهوا دوكو (*)
* احنا اللى خرمنا التعريفة
* هلب واسرق واغتنى واهرب
* اللى تلعب بيه اغلب بيه
* مش كل اللى تعرفه تقوله

ترى ماذا يكون حال الإعلام اذا كانت وجهة النظر التي تقوم عليها استراتيجية هي ذلك المثل الاخير « مش كل اللى تعرفه تقوله » .. انه لا شك سيكون اعلاما لا تتحقق فيه حرية تدفق المعلومات وانسيابها .. اعلام تحكمه الرقابة التى تمنع وصول بعض اوكل ما نعرف .

★ الاعلام يحاصر انسان العصر الحديث ★

ان الاتصال الاعلامى الذى بلغ ذروته اليوم فيما يطلق عليه اسم عصر الاعلام او عصر تفجر المعلومات،هو السمة المميزة لعصرنا،والذى اكدته تطورات فرضت نفسها،وجعلت منه اعلاما متجاوبا ثنائى الاتجاه،قائما على المشاركة ، فاذا كنا نقول ان الاعلام يقصد به دائما عملية بث رسائل تحتشد بسيل من المعلومات والافكار و الآراء والاحداث تكونُ اغلبها معلبة packaged بمعنى انها موحدة ، وان كانت تتخذ اشكالا او قوالب مختلفة تكون دائما واقعية او خيالية،لكنها تقدم فى صورة فنية تدعمها حرفية ومهارة فنية وادبية وتقنية،مثلما هو الحال مع القصة

(*) كناية عن الشطارة والفهلوة

والمسرحية والاغنية و التمثيلية التلفزيونية ، تلك المهارة التى تكاد تبلغ حد الكمال perfection، وهى جميعا وسائل توجه إلى جمهور مستهدف يتوزع افراده فى اماكن متفرقة بعيدا عن المرسل ، انه الاتصال الجماهيرى الاعلامي بكافة أدواته وصوره ، والذى تدعمه اليوم تكنولوجيا الاتصالات التى وصلت فى تقدمها وانجازاتها حد الاعجاز الذى ما كان لعقل ان يتصوره .

وهكذا بلغت وسائل الاتصال الجماهيرى الاعلامى حداً من القوة بما جعل انسان العصر الحديث محاصرا بها من كل جانب ، خاضعا لها ولتوجهاتها ، فهى تحاصره باشكال متعددة او أساليب مختلفة،او وسائل متنوعة،فهو محاصر بها دائماولامجال امامه الى الهرب،بعد ان اصبح هو نفسه شريكا فى العملية الاتصالية الاعلامية من خلال اعلام وصفناه بانه اعلام ثنائى الاتجاه قائم على المشاركة ، بدلا من اسلوب الاتصال القائم على مجرد الحث ، فالاعلام يقوم على اساس تقديم خدمة معلوماتية تجعل متلقى الرسالة الاعلامية فى غير حاجة الى من يحثه على شىء بل هو يجد نفسه مدفوعا لان يعمل بعد ان عرف واقتنع بما يجب ان يفعله على اساس المعلومات التى حصل عليها،وهذا الجديد هو المحصلة النهائية لعصر المعلومات الذى نعيش فيه،فهناك رغبة جارفة لدى الجماهير فى الحصول على المعلومات من اجل الارتقاء بمستوى الافراد والجماعات فى كافة الظروف،وهى تلتقى مع رغبة الحكومات ذاتها والنظم الحاكمة فى تنمية المجتمع،وهكذا تأكد دور الاعلام القائم على المشاركة فى ظل خدمة معلوماتية واسعة بهدف تغيير المجتمع .

★ علاقة الدولة بوسائل الاتصال الجماهيرى ★

والحقيقة ان العبرة دائما مرهونة بالنتائج لا بمجرد النظريات والنوايا المعلنة وغير المعلنة ، والا اصبحت الخطط والاهداف مجرد قواعد ونظريات ومجموعة آراء وتطلعات،تتحول اذا ما تجاهلناها عند التطبيق الى مجموعة من الاوهام،او من التضليل الاعلامى المنظم،وتكون أُولى مراحل التضليل أن يعلن القائمون عليه أنهم لا يضللون ، ويعتمد ذلك على نوع الفلسفة والفكر الذى يقوم عليه النظام السياسى والاجتماعى الذى يتولد عنه النظام الاعلامى الذى تتبناه الدولة وهكذا تحدد الدول بمختلف أنظمتها السياسية علاقتها بوسائل الاتصال الجماهيرى عن طريق الانظمة الاعلامية التى تتبناها ، فهناك علاقة ارتباطية وثيقة بين نظريات وانظمة الاعلام وبين المذاهب والانظمة السياسية،فاعلام كل دولة انما يعبر عن فكره وفلسفة النظام السياسى

والايدلوجية (*) السياسية السائدة فيه .

★ بين الايدلوجيا والليبرالية ★

وبالرغم من المتغيرات السياسية والعقائدية الكبرى التى يشهدها العالم مثل التحولات الكبرى التى شهدتها الثمانينات وبداية التسعينات من هذا القرن،وبصفة خاصة فى دول اوربا الشرقية وفى الاتحاد السوفيتى السابق ، يمكن تحديد النظم السياسية الحالية فى تبسيط وايجاز شديدين فى اطار نظامين لا يزالا سائدين هما :

١- نظام الدولة العقائدية او الايدلوجية .

وهو النظام الذى تسود فيه عقيدة سياسية معينة وتقوم الدولة بفرض سلطتها طبقا لما تفرضه تلك العقيدة السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الدينية أو العشائرية او العنصرية، كما تسخر الدولة العقائدية كافة امكاناتها ومجمل قوتها من اجل سيادة ايدلوجيتها ومصالحها ، وتحرص على عدم خروج مواطنيها عن تلك العقيدة او ايدلوجية الدولة ، وهى تتدخل فى تحديد مسار وسائل الاتصال بحيث لا تخرج عن الاطار المحدد لها . وهى تعطى اهتماما خاصا للحقوق الاجتماعية للمواطنين،مثل حق العمل وحق التامين الاجتماعى و العلاج والتعليم والسكن،لكن بمعزل عن الاهتمام بالحريات الشخصية وحرية الفكر وحرية الاعتقاد ، وهكذا يمتنع الانسياب الحر للمعلومات بينما توجه كافة اجهزة الاتصال لخدمة اهداف النظام.

٢- نظام الدولة الليبرالية او غير العقائدية .

وهى الدولة التى تبيح الحرية كاملة لمواطنيها فى اعتناق المبادىء السياسية او الاجتماعية او الاقتصادية او الدينية التى يرغبونها ويعتقدون فى صحتها ، ويفترض أنها لا تنحاز الى فئة او عقيدة دون اخرى . مع تحقيق اكبر قدر من الحرية للمواطنين مع ادنى قدر من التدخل للحد من تلك الحرية ويكون اهتمامها الاكبر بالحرية السياسية ولكنها لا تولى الناس نفس القدر من الاهتمام بالنواحى الاجتماعية فهى تخضع لقاعدة :-

---

(*) الأيدلوجية محصلة عدة عناصر ، فهي لا تدل فقط علي المعتقدات التي توجد لدي الناس أو نسق القيم أو محصلة الأهداف والمعايير ، وأنما تتضمن كل هذا الجوانب مجتمعة ، هذا بالإضافة إلي نظرة الإنسان للأشياء المحيطة به والتصور الذي يتصوره عن العالم ؛ وهي في نفس الوقت تشير إلي مجموعة الخبرات والأفكار والآراء التي يستند إليها في تقيمه للظواهر المحيطة به .

دعه يفعل .... دعه يمر Lesses faire Lessez passer في السياسة والاقتصاد والفكر الديني والاجتماعي،كما يفترض انها تلتزم بالحياد الاعلامي،لكن ممارسات معظم تلك الدول تتعارض دائما مع مفهوم الليبرالية،حيث تسعى الى السيطرة الاعلامية في الداخل وعلى الاعلام الدولى ايضا،وتضع قوتها العسكرية فى خدمة المصالح الرأسمالية لشركاتها ومؤسساتها التى تمتلكها،اوتمتلكها جماعة او افراد،او ما يطلقون عليه عبارة المصالح الذاتية للدولة .

نظريات الاعلام الاربع :

★ النظريات الاعلامية السائدة ★

ان الحديث عن النظم السياسية فى كل من الدول العقائدية والدول غير العقائدية،يقودنا بالضرورة الى الحديث عن أربع نظريات إعلامية تتحرك فى اطار تلك الانظمة السياسية المختلفة وهى :-

١- نظرية السلطة The Authoritation Theory

وترتبط تلك النظرية بنظم الحكم الاستبدادية التى كانت سائدة فى العصور الوسطى وفى القرنين السادس عشر والسابع عشر والتى عبر عنها الملك لويس الرابع عشر فى فرنسا فى مقولته الشهيرة « انا الدولة » والدولة هنا تسيطر سيطرة تامة على كافة وسائل الاتصال،وتتحكم فى انسياب المعلومات،وفى العصر الحديث ترتبط النظم الفاشية ونظم الحكم الشمولية والعشائرية والدينية والعنصرية بهذه النظرية،حيث تتحكم الدولة فى كافة العمليات الاتصالية .

٢- نظرية الحرية The Liberation Theory

وهى تعارض نظرية السلطة،وقد كافح من اجلها المفكرون زمنا طويلا،قبل ان تصبح قابلة للتطبيق،وفيها يسمح بحرية تداول الافكار والآراء دون تدخل من الدولة فى شئون المواطنين أيا كان نشاطهم ، وبذلك تسمح الدولة بحرية التعبير من خلال وسائل الاتصال المختلفة،كما توضع حرية الفرد دائما فى المقام الاول،ومع ذلك فان الواقع العلمى طبقا لما هو قائم الآن،ومع تطور صور الاستعمار وتضارب المصالح الدولية،حدث ما يؤكد عدم الالتزام بهذا المفهوم المثالى للحرية حيث تتحكم الدولة وجماعات الضغط فى صنع وحرية تدفق المعلومات .

٣- نظرية المسئولية الاجتماعية The Social Responsibility Theory وتقوم

هذه النظرية على اساس اخلاقى مثالى يتفادى عيوب نظرية الحرية المزعومة التى كثيرا ما يساء استخدامها ، وتدعو تلك النظرية كافة العاملين فى حقل الاعلام، الى الالتزام بمبادىء الحق والعدل والحرية والسلام والقيم الايجابية المختلفة ، من اجل وجود عالم اكثر سعادة وامنا وتعمل على بناء الانسان المنتمى لهذا العالم انتماء يجعله يعمل دائما من أجل صالح المجموع،مع ايمانه الكامل بأهمية العمل لصالح مجتمعه ووطنه كجزء من هذا العالم ، وبينما كانت نظرية الحرية ترتكز اساسا على الحرية فى ذاتها ، اصبحت النظرية الجديدة ترتكز اساسا على المسئولية .

٤- النظرية السوفيتية الشيوعية The Soviet Communist Theory

وقد تغيرت تلك النظرية او تجمدت فعلا بسبب التحولات الكبرى التى شهدها الاتحاد السوفيتى السابق واوربا الشرقية بعد تبنى سياسة البروسترويكا والجلاسنوست،وتعنيان اعادة البناء والتحدث بصوت عال ، وبعد الانقلاب الشيوعى الفاشل (١٩٩١) والذى سقطت معه الشيوعية كلها فى الاتحاد السوفيتى ، ثم تفكك الاتحاد السوفيتى نفسه ولم يعد له وجود ، وطبقا لتلك النظرية وهى فى أوج تألق الدولة الشيوعية السوفيتية ، فان الدولة تمتلك جميع وسائل الاتصال الأساسية،ويقوم على ادارتها وتوجيهها الحزب الشيوعى وحده ، وكانت وظيفة وسائل الاتصال الجماهيرى الاساسية هى زيادة وحدة الفكر بين أعضاء المجتمع،وتعلم المبادىء الماركسية وتفسير الاحداث على ضوء تلك المبادىء وكان عليها جذب التأييد الشعبى لبرامج الدولة المختلفة مثل زيادة الانتاج ، ولا يسمح طبقا لهذه النظرية بممارسة اى نقد يمس النظرية الماركسية او النظام الاجتماعى القائم فى الدولة ، وان كان من المسموح به فقط نقد بعض الممارسات والاخطاء التى يرتكبها المسئولون التنفيذيون ، خاصة فى المشروعات الاقتصادية فى الدولة .

★ تقسيم جديدة لنظم اعلامية سائدة ★

ونحن اذا تركنا تلك التقسيمات السابقة والتى بذل فى سبيل الوصول اليها وتحديدها العديد من علماء الاجتماع والسياسة والاتصال جهودا كبيرة،وتاكدت فعاليتها فى قيام الدولة بمختلف انظمتها بوضعها فى الاعتبار وهى تضع استراتيجياتها وسياستها وخططها الاعلامية ، يمكننا ان نلمس وجود تقسيم جديد يبرز من خلال تباين التطبيق فى دول عديدة

معاصرة ، استطاعت الاسترشاد بتلك التقسيمات وخلق انظمة جديدة جاءت متوافقة مع نظم الحكم القائمة وهكذا نستطيع تحديد نظم اعلامية جديدة يبرر من خلال متابعتنا ورصدنا لما هو قائم حولنا من انظمة سياسية هى :-

١- اعلام التزامى :

وهواعلام يلتزم بخطة واضحة واهداف محددة من اجل خدمة الجماهير ، اعلام يقوم على حرية الرأى والفكر والتعبير والمصارحة ، ويقوم على التحليل لا التبرير ، يساند الرأى العام ويوظف نفسه لخدمة اهداف التنمية ، وتحقيق حرية الشعب ، والانحياز الى جانبه ، اعلام قد تقوده الصفوة المستنيرة انطلاقا من سياسة اتصالية رشيدة يرسمها نظام ديمقراطى يعمل من اجل صالح المجتمع والمصلحة العليا للوطن لا مصلحة قلة مسيطرة ، اعلام يُعنى ببناء الفرد وجعله شريكا فى العملية الاتصالية لاتابعا،مواطنا حراً لا واحدا من رعايا السلطان .

٢- اعلام الزامى :

وهو اعلام تسلطى لا يؤمن بحرية الفكر والرأى او التعبير،الرأى فيه هو رأى السلطة،فهو خادمها ويقوم على دعم ممارستها القمعية ضد الشعب ،يبرر اخطاءها دوما ، وينحاز دائما الى جانبها،وهو اداتها الكبرى والاكثر بطشا فى اخضاع الجماهير لارادتها .

٣- اعلام مسطح :

وهو اعلام جاهل لا هوية له،لا يعرف التخطيط الاعلامى السليم،يفتح المجال امام اى غزو اعلامى او ثقافى من الخارج ، مع عدم وضوح الرؤية بالنسبة للمصلحة العليا للوطن ومصلحة الجماهير ، فهو يقدم اى شىء ، وتختلط لديه المواقف،فقد يمنع ما هو صواب ويبيح ما هو خطأ او ضار،يفضل المظهر على الجوهر،يمارس التعصب ويدعمه،وقد يمارس التحرر غير المحسوب حيث تتغلب صور التسلية على صور الثقافة والالتزام الموضوعى .

٤- اعلام عميل :

وهو اعلام صوت سيدة His Master's Voice

سواء كان هذا السيد من قوى الاستعمار بكافة صوره واشكاله،أو قوى الضغط العالمية والمحلية والسياسية والاقتصادية او الاجتماعية .

٥- اعلام طفيلى :

وهو اعلام لايبالى سوى بحساب الربح والخسارة،يبيع نفسه او يبيع الوقته،بل يبيع الجماهير كسلعة لاصحاب رؤس الأموال من المعلنين ، ويستخدم كافة وسائل الجذب،مع تفريغ كل مادة اعلامية من محتواها الجيد .

٦- اعلام تضليلى

وهواعلام يمارس التضليل عن طريق ما يبثه الى الجماهير المستهدفة فى الداخل والخارج من اجل الابقاء على سيطرة النظام ، وهو مانراه حتى فى كبرى الدول الرأسمالية الغنية التى تعمل على تحويل مواطنيها الى مجرد مجموعات كبيرة من المستهلكين ، ويمارس التضليل فى وسائله الاعلامية الموجهة الى الخارج ، لحساب نفس القوى الاقتصادية المسيطرة من الداخل ، فهو أداة من أدوات النظام التى تعمل على تكوين رأي عام مؤيد له ، ويساق سوقا الى حيث يرادله أن يكون..

★ نظرية الاعلام مختلط الانظمة ★

ونحن اذا درسنا طبيعة الاعلام السائد فى معظم الدول النامية ، والدول ذات النظام الشمولى السافر او ذات النظام الشمولى المستتر وراء توجيهات ديمقراطية معلنة ومفرغة من المعنى الحقيقى للديمقراطية،نجدها تتبع نظرية نطلق عليها الاعلام مختلط الانظمة The Co-ocktail Theory وهذه النظرية ان جاز لنا اعتبارها نظرية قائمة بذاتها ، انما تجمع بين خصائص العديد من النظم والنظريات الاعلامية السابقة ، اننا نجد فيها خليطا من نظرية السلطة ونظرية الحرية المطلقة والمستانسة والنظرية الايدلوجية ونظرية المسئولية الاجتماعية، ونجدمثل هذا الاعلام المختلط اعلاما التزاميا احيانا والزاميا فى احيان كثيرة،ونجده يتسم بالسطحية و قد يسقط فى بئر العمالة،بينما يتضح الاتجاه التضليلى فيه بصورة اكبر.

★ مولد الاعلام التخصصى ★

والحقيقة انه مهما اختلف نوع الاعلام السائد فى اى دولة فسيبقى هو العامل الأقوى والمؤثر فى تاكيد وجود تلك الدولة وفى العمل على تحقيق استمراريتها ، بل وفى تشكيل نوع الحياة فيها،وعقول الناس وسلوكهم،ودرجة وعيهم وعلاقاتهم بعضهم البعض ، وعلاقة الدولة ذاتها

بغيرها من الدول ، انه الاعلام،تلك القوة الطاغية التى تحكم عالم اليوم ومستقبل الايام، انه العامل المسيطر الذى يمثل حجر الزاوية فى كل عملية اتصالية يحتاج فيها الانسان لان يتصل بغيره من اجل خير الفرد وخير المجموع معا ، وهكذا خلق بالضرورة نوع جديد من الاعلام يمكن ان نطلق عليه الاعلام النوعى ، وهو فى الحقيقة اعلام وشكل اتصالى يحمل جميع الخصائص والقواعد المتعلقة بالعمليات الاتصالية بصفة عامة ، لكنه اعلام نوعى تخصصي فرضه تعقد تلك العمليات الاتصالية عندما نتناول جانبا محددا من جوانب النشاط الانسانى ، فاصبح لدينا الاعلام الزراعى والاعلام الدينى والاعلام التنموى والاعلام البيئى والاعلام العمالى والاعلام الصحى والاعلام السياسى والاعلام العسكرى ، ولنا ان نضيف نوعا من الاعلام النوعي التخصصى هو الاعلام التعليمى، ووسائل الاتصال التعليمية التى اصبحت تطلق على مجال تكنولوجيا التعليم ككل،حتى ان البعض عرف تكنولوجيا التعليم بانها الوسائل التى ظهرت كنتيجة للثورة التى حدثت فى مجال الاتصالات ، ولنا ان نضيف بالضرورة الاعلام التعاونى والذى كان ميلاده مواكبا لمولد الحركة التعاونية ذاتها التى كانت ولا تزال بحاجة الى دعم اعلامى من اجل استمرار وجودها الذى يعتمد على ايمان مطلق باهمية التعاون على طريق تحقيق حلم الانسان فى مجتمع الرفاهية ، بل لنا ان نضيف ايضا اية انشطة اتصالية اعلامية نوعية تخصصية اخرى تفرضها الحاجة الملحة الى التخصص وهو السمة الرئيسية لحضارة العصر .

★ الانسان والمعلومة ★

وتبقى الحقيقة تعلن بقوة عن نفسها،وهى ان الانسان مخلوق أتصالى يسعى الى الحصول على المعلومة ، يعيش ويتحرك بها وياتى سلوكه وقراراته صدى لها ... ماذا يلبس ؟ ماذا ياكل؟ ماذا يقرأ ؟ لماذا يوافق ؟ لماذا يرفض ؟ لماذا ينحاز ؟ لماذا يتخذ موقفا محايدا ؟!... هكذا الفعل لديه مرتبط دوما بالمعلومة التى يبنى حساباته على أساسها ، هكذا هو حال الفرد وهكذا هو حال الجماعة وهكذا هو حال الدولة والقادة فى السلم والحرب ، فالمعلومة هى أساس كل قرار واذا جاء القرار دون الاعتماد على المعلومة،أصبح نوعا من الارتجال الذى يؤدى الى اضرار بالغة، فالمعلومة هى التى تجعل الفرد والجماعة قادرة على تحديد المشكلات ، قادرة على وضع الحل المناسب ، وتبنى السياسة المناسبة للقضاء عليها،وهكذا رأينا المعلومة وهى بمثابة الرسالة تتحرك

من مرسل الى مستقبل بشكل مباشر فى الاتصال المواجهى المباشر الشخصى والجمعى ، مع وجود رد فعل فورى عاجل،أو تتحرك من مرسل الى مستقبل عبر وسيلة من وسائل الاتصال فى الاتصال الجماهيرى مع وجود رد فعل مؤجل ،إنها رحلة شائقة جديرة بالتسجيل منذ بدايتها الى مشارف قرن جديد وهو ما سنتناوله فى فصول الكتاب التالية .

الفصـــل الثانـــى

اللغـة كوسيلـة اتصـال

الفصل الأول

اللغة كوسيلة اتصال

★ مرحلة الانسان العاوى من الاشارة الى الكلمات ★

لنا ان نتصور كيف كان انسان ما قبل التاريخ المكتوب ، قبل ان يعرف اللغة ، وقبل ان يطلق رموزا من الكلمات المنطوقة على المخلوقات والظواهر والاشياء التى تحيط به من حيوان ونبات وجماد وظواهر طبيعية لا يفهم من اسرارها شيئا ، كانت حياته فى الغابة أو الجبل ، فى كهف أو كوخ ، كانت حياته مليئة بالأخطار التى تحيط به من كل جانب ، رياح شديدة وعواصف وأعاصير وامطار وثلوج وزلازل وبراكين وفيضانات جامحة ، وجفاف وحرارة قاتلة وبرد شديد ، ويحيط به حيوانات مفترسة وحشرات وزواحف قاتلة ، وهو لم يجد بدأ من العيش فى تجمعات ، وفى تلك التجمعات كان لابد ان تنجب الإناث اطفالا ، وان يقوم الذكور بحمايتهم ، وأن يوجد تجمع اكبر برأسه اقوى الذكور ، وباتساع دائرة تلك التجمعات كان لابد من وجود صورة من صور الاتصال بين افراد تلك التجمعات بعضهم ببعض وبين التجمعات او الجماعات بعضها ببعض ، وكان لابد من وجود فكرة تصاغ فى رسالة وترسل بوسيلة اتصال ، ويتلقاها مستقبل ، وان يكون هناك استجابة فى صورة ايجابية او سلبية مع وجود رسالة مرتدة تعبر عن رد الفعل او الاستجابة ، انها نفس عناصر او دور الرسالة فى عالم الاتصال اليوم ، ومع توافر كل هذه العناصر ، تبرز اولى الوسائل التى حملت رسائل الانسان الاول ، وهى الصوت البشرى الذى لم يكن بقادر بعد على استحداث رموز وكلمات ، وهى رموز أو معانى أو مسميات، بل كان مجرد صوت ، مجرد عواء اشبه بعواء القرد العاوى ، وكان يستخدم بالضرورة ما يطلق عليه « اللغة الصامتة » The Silent Language وتشمل الحركات والاشارات والايماءات والنظرات والانفعالات والصمت ايضا ، وكان الانسان بذلك قادرا على اثارة الاهتمام باللوازم الحركية والاثارة الانفعالية ونقل وتلقى الافكار من خلال تلك اللغة الصامتة وان كانت مصحوبة بالصوت ، فالاشارات كانت اشارات بالجسم كله او باليد او باليدين او بتعبيرات الوجه ، وجميعها لا تزال قائمة كصور اتصالية فى حياتنا المعاصرة، وبصورة فقدت اثارها البدائية ، اليس الصياح معروفا فى حياتنا؟ اليست هناك صيحات فرح وصيحات حزن وجزع وهلع واستغاثة وتحذير ؟ وماذا نسمى الزغرودة فى المناسبات السعيدة ؟ وماذا نسمى اصواتا: أخ .. وأف .. وآه .. وياه وفى الانجليزية Hurrah للفرح و Alas للحزن والحسرة و oh للتعجب .؟ وماذا عن الاصوات التى نطلقها عند اللقاء وعند الفراق وعند مولد طفل ؟ وماذا عن صوت يطلقه الانسان الاول من حنجرته وصوت يطلقه من بوق

مصنوع من قرن ثور او محارة كبيرة ؟ .. وماذا عن كل ذلك وهو يمكن تتبعه فى مختلف انحاء العالم حيثما وجد انسان ... فى افريقيا .. فى آسيا .. فى غابات الأمزون بامريكا الجنوبية .. فى استراليا .. ؟ وماذا عن كل ذلك فى عصرنا الحاضر ؟ أليست هي نفس الصيحات بصورة أو بأخرى؟ وماذا عن صفارة حكم رياضى او نفير نحاسى فى الجيش أو الشرطة ؟ وماذا عن الإشارات كوسيلة من وسائل التعبير عن الأفكار وتداولها ؟ .. إشارات باليد .. او الرأس او القدم او الجسم كله .. اشارات تعبر عن الفرح والسعادة وأخرى تعبر عن الغضب ، واشارات فيها سباب وتحقير وتعبير ساقط ، وماذا عن اشارات المرور الضوئية واشارات رجل المرور الجسدية .. واشارات السكك الحديدية والاشارات فى المطارات واشارات الطائرات والسيارات .. ؟ انها اشارات الانسان العاوى ، انسان ماقبل التاريخ المكتوب لكنها اتخذت صورا أكثر تعقيدا واكثر تهذيبا ، لكنه هو الذى سبق الى استخدام النار فى إشاراته واستخدام الدخان والطبل والنفخ واستخدام اشارات اللون ، سهم ذو لون معين قد يوحى بالعداء والحرب ودعوة للنزال كما كان عند الهنود الحمر ، وقد يكون اللون دعوة للحب ، ومع ذلك فنحن نرى كل ذلك ايضا فى مراحل عديدة من التاريخ والى يومنا الحاضر ...

« عَلَمٌ فى رأسه نار » عبارة نسمعها ونرددها .. والعلم هو الجبل أو المرتفع من الارض ، والعبارة موحية بان الشخص يحظى بشهرة لكن الاصل فيما كان يفعله العرب قديما اذ كانوا يشعلون النيران فوق المرتفعات لكى يعرف من ضل الطريق او من يبحث عن مأوى ان بالقرب من المكان مأوى يستطيع اللجوء اليه طلبا للمعونة ، بل نحن كثيرا ما نرى بعض السائقين على الطرق الزراعية يشعلون نيرانا خلف سياراتهم المعطلة لتحذير السيارات الأخرى من الاصطدام بهم، أليست هى ذاتها نفس اللوحات الاعلانية على الطرق السريعة التى تحدد مكان فندق او موتيل صغير او مستشفى او تليفون .. ؟ لقد كانوا فى بعض البلاد يرفعون رايات سوداء على بيوت النساء اللاتى يمارسن البغاء ، وقديما عندما كان الزواج بالمشاركة وتعدد الازواج منتشرا فى الجزيرة العربية فى الجاهلية قبل الاسلام حيث يمكن لاكثر من شقيق أن يتزوج امرأة واحدة ، كان من بالداخل يضع عصاه على باب الخيمة فيعلم من بالخارج ان هناك واحدمنهم بداخلها فيبتعدون عن الخيمة [١٣]

انها جميعا وسائل قديمة حديثة فى الاتصال .. فى نقل الافكار .

---

(١٣) د. عبد السلام الترمانينى- الزواج عند العرب فى الجاهلية والاسلام - سلسلة عالم المعرفة - الكويت ، اغسطس ١٩٨٤.

★ من اللغة الصامتة الى لغة الكلام ★

وكان لابد من وجود نقلة أخرى أو ثورة جديدة هى ظهور اللغة او الكلمات ذات المعنى او الصوت الذى يحمل رموزا،يحمل معنى ، يحمل فكرة ، وهكذا انتقل الانسان من مرحلة العواء ، واللغة الصامتة الى الترميز ، ولابد ان الترميز ذاته قد وجد مع بدايات ظهور الانسان ، فاللغة الصامتة تحمل بالضرورة رموزا ، كانت بالضرورة لغة مبسطة للغاية تعتمد على صوتيات، فتقليد صوت الاسد او الفهد او الرياح او الموج او العصفور هو الرمز الأقرب والأصوب انه نفس ما يفعله الطفل،فالعصفور عنده اسمه "صُوصَوْ" والكلب " هَوْهَوْ " والقط " نَوْنَوْ " ويقلد السيارات بصوتها،وكذلك القطارات والطائرات وقد يفسر ذلك بعض التشابه القائم فى الكلمات التى تطلق كأسماء على بعض المخلوقات ، فالعصفور الذى يسميه الطفل " صو صو " نجد كلمة عصفور فى العربية قريبة من كلمة Swallow فى الانجليزية وكلمة Oaiseau فى الفرنسية، فالكلمات الثلاث فيها الصفير مثلما هو الحال مع الطفل،وفى كلمة أنف التى كثيرا ما يمسك به الطفل ويسد فتحتيه او احدى فتحتيه كاشارة لصدور صوت معين،هو صوت أنفى نعرفه فى العامية " بالخنفان " نجده فى العربية الفصحى " أنف " وفى الانجليزية nose وفى الفرنسية né،والكلمات الثلاث فيها الصوت الأنفى المعروف ، حتى الفعل العربى خنف ومعناه شمخ بأنفه من الكِبْر فيه الخنف او الخنوف،والصوت الانفى،ويقال خنف بأنفه عنى بمعنى لواه .(*)

انها مجرد فكرة تقول ان الانسان قد سمّى الأشياء بجرسها ، ولنا ان نتصور ايضا كيف كان رئيس الجماعة يخاطب أفراد جماعته ، من أجل اصدار تعليماته أو ملاحظاته أو دعوتهم لامر من الامور ، انه لابد انه كان يعتلى مكانا مرتفعا ويحيط به أفراد جماعته ، انه خطيب اذن،والمكان المرتفع هو المنصة أو المنبر فى عصرنا الحاضر ، ولعله عندما ازداد عدد أفراد الجماعة وتباعدت الاسر والقبائل وتكونت القرى والتجمعات الكبيرة المتجاورة والمتباعدة،كان لابد من استخدام الرسول او المنادى الذى قد يصحبه البوق او الطبل ويقول : يا اهل البلد يا اهل البلد .. والحاضر يُعلم الغائب .. ولعل من أطرف ادوار المنادى ما ذكره الرحالة الانجليزى «ادوارد ويليم لين» في كتابة المتميز الجليزى يتحدث عن مصر " والذى زار مصر عام ١٨٢٥ وعاش فيها سنوات سنوات عديدة ، ما ذكره عن " منادى النيل " الذى كان يطوف بأحياء القاهرة معلنا عن ارتفاع منسوب مياه النيل يوما بعد يوم الى يوم الاحتفال بوفاء النيل،" فمن السابع و العشرين من شهر بؤونة اى الثالث من شهر يوليو يأخذ المنادون فى إعلان زيادته فى شوارع العاصمة يوميا ، وهؤلاء المنادون

(*)انظر خَنَفَ – المعجم الوجيز – مجمع اللغة العربية – الطبعة الأولى – ١٩٨٠ – القاهرة .

كثيرون يختص كل منهم بحى من احياء القاهرة ويسمى الواحد منهم " منادى النيل" وهو يبدأ طوافه فى الصباح الباكر او بعده بقليل بصحبة غلام ". (١٤)

وماذا عن المسحر أو المسحراتي؟انه ايضا مناد يطوف شوارع القرى والمدن ومعه مصباح للاضاءة وكاشارة ضوئية ايضا،ويحمل طبلة صغيرة تسمى (بازة) ويعمل على ايقاظ الناس لكى يتناولوا طعام السحور .

والمؤذن هو مناد يُعلن عن موعد الصلاة وقيامها : « يا ايها اللذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله » سورة الجمعة .

وماذا عن المنادين فى القرى والمدن ايضا عن طفل ضل طريقه؟« يا اولاد الحلال ، عيل تايه يا أولاد الحلال لابس جلابية بيضة »..... [يا أولاد الحلال طفل ضل طريقه يا أولاد الحلال ويلبس جلبابا ابيضا] .. ويمضى المنادى فى تعديد أوصاف الطفل ..وهناك من يُعْلم اهل القرية او المدينة بموت احدهم وموعد الجنازة وأسماء افراد العائلة ايضا ، وقد يمر المنادى راكبا « حنطورا » وقد ينادي من خلال ميكروفون ومكبر للصوت ، وماذا عن جزار يطوف بالقرية مناديا (من ده بكرة) والاطفال يرددون (بقرشين) انه إعلام واعلان ، فالجزار سيذبح رأس الماشية التى يطوف بها فى اليوم التالى والسعر قرشان للرطل الواحد .

وقديما كانت تعليمات الحكام توجه من خلال المنادى يسبقه الطبل او البوق للتنبيه ! يا اهل البلد والحاضر يُعلم الغائب ..

انها جميعا صور اتصالية تطورت لكنها لا تزال فى مجملها تمارس الى اليوم حتى فى اكثر الدول تقدما ، فما زالت الفرق الموسيقية تطوف مع بعض حيوانات السيرك والمهرجين فى المدن معلنة عن بدء عروض السيرك ، وحملات الرئاسة الامريكية حافلة بنماذج صارخة لهذه الصورة الاتصالية القديمة الحديثة فى ذات الوقت .

انه اتصال واعلام واعلان ايضا . ولعل الصورة تتخذ شكلا أبسط لكنه فعال ايضا ، وذلك عندما يكون اللقاء فى الاسواق حيث يتبادل الناس الاخبار وتجرى العمليات الاتصالية فيما بينهم كاوضح ما يكون ، ان الاتصال الشفاهى كان ولا يزال له اثره فى حياتنا،وهو معروف فى تحقيق الاحاديث النبوية الشريفة قال فلان عن فلان عن فلان .

---

(١٤) ادوارد ويليم لين - انجليزى يتحدث عن مصر - ترجمة فاطمة محجوب - كتب للجميع - دار التحرير للطبع والنشر - سبتمبر ١٩٥١

★ صورة اتصالية قتلت بشار بن برد ★

وهكذا عاش الشعر القديم تتناقله الأجيال،وهكذا كان ينتقل من شخص الى آخر الى ان يصل الى النساء والحرائر فى خدورهن ، ولعل هذا ما دفع معاصرى الشاعر بشّار بن برد الى رفع شكواهم الى الخليفة من أن اشعار بشار فى الغزل غير العفيف تصل الى الحرائر وتخدش حياءهن، ولعل هذين البيتين هما أحد الاسباب التى دعت الى اغتيال بشار بعد ان تغنى بهما الفتيان فى شوارع البصرة وهم يلاحقون النساء كما يوجد فى الاخبار :

لا يؤسينك من محجبة
قول تُغلّظه وان جرحا
عسر النساء الى ياسرةٍ
والصعب يسهل بعدما جمحا (*) .

★ الشعر القديم .. اعلام واعلان ★

ولهذا ايضا كان خوف الخلفاء والحكام من الشعراء واشعارهم ، بل وكانت الامهات قديما يطلبن من الشعراء ان يتغزلن فى بناتهن لكى يسمع بهن الشباب فيأتون لخطبتهن ، بينما آخرون يرفضون تزويج بناتهم ممن يقوم باذاعة مثل تلك الاشعار عن بناتهم ، مخافة ان يظن السوء بهن بعد انتشار الاشعار بين القبائل ، ولهذين السببين رفض والد ليلى تزويجها من قيس وذهب ورد ليخطبها لنفسه بعد سماعه اشعار غزل قيس فيها .

بل نستطيع ان نسجل ما كان للشعر والشعراء ان يفعله فى المجتمع اتصاليا بل ودعائيا فها هو احد تجار الخُمُر (جمع خِمار) السوداء يلحظ عدم اقبال النساء على شرائها،فطلب من شاعر صديق أن ينظم شيئا يلفت نظر النساء الى الخمر السوداء فانشد :

قل للمليحة فى الخمار الاسود	ماذا فعلت براهب متعبد
قد كان شمّر للصلاة ثيابه	حتى وقفت له بباب المسجد (١٥)

وعندما ذاع ذلك الشعر اقبلت النساء على شراء الخمر السوداء،ونفدت من عند التاجر

★ الاغريق ونظام الرقباء ★

وبالنسبة للاتصال بالعالم الخارجي كان هناك الرقيب الذى يقف على حدود أراضى الجماعة أو القبيلة لكى يخطر بقية المواطنين باى خطر ، وقد استعمل الاغريق القدماء مثل هؤلاء الرقباء

(*) والمعنى : لاتيأس من إمرأة محجبة اذا غازلتها وسبتك،لان مقاومة النساء تنتهى دائما بالاستسلام،والصعب دائما الى يسر مهما كانت درجته .

(١٥) دكتور محمد حسن عبد الله –صورة المرأة فى الشعر الأموى – دار ذات السلاسل – الكويت ١٩٨٧

حين كانوا يجعلون كل رقيب يقف على حدود اراضى الجماعة او القبيلة ، لكى يخطر بقية السكان باى خطر ، وقد استعمل الاغريق القدماء مثل هؤلاء الرقباء حين كانوا يجعلون كل رقيب يقف فوق قمة تل ومعه أكوام من الحطب ، يشعلها عند الضرورة ، فاذا رآها من على التل الذى يسبق أشعل هو الآخر النيران،الى ان يفعل ذلك أقرب رقيب من المدينة ، فيعلم الجميع بالخبر ، وقد احتاج الأمر فى عام ٤٩٠ قبل الميلاد لأن يضحى شاب بحياته ، عندما أخذيجرى من قريته فى سهل ماراثون ببلاد الاغريق القديمة،على بعد ٣٢ كيلومترا الى الجنوب الشرقى من أثينا،حتى بلغ المدينة،لكى يبلغ اهلها أن الاثينيين والميلاثيون بقيادة ملتيادس ، قد هزموا الفرس الغزاة ، وما أن بلغ اثينا حتى سقط ميتا من الاعياء والتعب لكن بعد ان ابلغ رسالته.

★ الحمام الزاجل ينقل الرسائل ★

بل ان استخدام الحمام الزاجل فى حمل الرسائل الذى عرفه العرب بصفة اساسية واستخدموه استخداما ناجحا على مر العصور ، كان يستخدم لا لحمل رسائل مكتوبة،بل لحمل اشارات ترمز الى صاحب الحمامة ، فاللاعبون الرومان كانوا ياخذون معهم الحمام الزاجل الى الملاعب ، فاذا فاز احدهم،أطلق حمامة تحمل قطعة من القماش بلون الفريق الفائز ، او بقطعة من بذلته الرياضية ، فتبلغ برجها فى نفس اليوم ، ويعرف اهله وذووه انه قد فاز فى المباريات.[(١٦)]

★ تحقيق الهوية الذاتية ومرض الهروب منها ★

ان اللغة وسيلة الاتصال الرئيسية بين البشر ، بها نَعلم ونُعلم ، ونتبادل الخبرات، وبها نشبع حاجة اساسية من حاجاتنا هى(الاجتماعية) ، بمعنى العيش فى جماعة، وما يتبع ذلك من تحقيق الاتصال بين أفراد تلك الجماعة ، ويطلق عالم الانثروبولوجيا برونسلاف كاسبر مالينوفسكى على هذا النوع من الحديث الاجتماعى المشاركة المنطوقة Phatic Communion[(*)]

والهدف الاول من الكلام والحديث هو اشباع الحاجة الى مخالطة الآخرين ، ولهذا فنحن حين نتحدث عن اللغة المنطوقة لا ينبغى ان ننقص من قدرها ، بالتحدث عنها كحقيقة ناقصة ، فهى لاتقل شأنا عن اللغة المكتوبة ، ان اللغة هى اعز ما يملك الانسان ، وهى وسيلة الاتصال الاساسية، وهى عماد ذاتيتنا كأفراد وجماعات ، انها وسيلة للتعلم وتبادل الخبرات وتوارث الحضارة. ان اللغة تعد تعبيرا عن شخصية الجماعة ، ووسيلة لتحديد ذاتيتها وفقا لثقافتها « بحيث انه عندما يقول. شخص على سبيل المثال «انا ايطالى» أو « انا يوروبى» » أو «انا هندوسى» فانه يُعَرِّف نفسه على سبيل انه عضو جماعة ثقافية خاصة ، تستخدم لغة خاصة ، وهذا النوع من تحديد

---

(١٦) حسين شيرازى – قصة البريد – المكتبة الثقافية – ١٥ يناير ١٩٦٧ القاهرة.

(*) Phatic : كلمة مشتقة من الكلمة اليونانية Phatos ومعناها منطوق .

الذاتية ، امر هام ، اذ أنه يضفى أصالة على شخصية الفرد ، بمعنى أنه يرسخ أقدامه داخل الجماعة التى ينتمى اليها ، ويوثق أواصر الروابط التى تربطه بغيره ممن ينتمون الى نفس ثقافته ، ومن هذه الزاوية تعد اللغة عامل توحيد بالغ الاهمية ، ويمكن أن نقول ان من الشروط الاساسية لقيام اى مجتمع موحد ان يتحدث اعضاؤه نفس اللغة»(١٧) وانطلاقا من الحقائق السابقة تبرز اهمية احتفاظ كل شعب بلغته الام ، والاحتفاظ باللغة الام أصبح حقا راسخا من حقوق الانسان ، حق الانسان فى ان يتحدث لغته الام ، وان يتعلم بها ، وهذا ما نود ان نؤكده بالنسبة لكل مشتغل بالاتصال بالجماهير ، لان للغة دور مهم فى العملية الاتصالية ، فان ما يُقدم عليه بعض الاعلاميين فى وسائل الاتصال بالجماهير من محاولات لمحو ذاتية الجماهير المتمثلة اساسا فى وجود لغة ام ، هى عماد تلك الذاتية ، يعتبر هدما لحقيقة وجود الجماعة ، و لهويتها ، فتضيع بين الثقافات الاخرى ، فليس من الحضارة او التقدم ان ينفصل اعلامى عن مجتمعه ، وينطق لغته بلكنه اجنبية ، لكى يعلن عن ثقافته الغربية او عن انتسابه الى طبقة أرقى ، نفس الخطأ نجده عندما يختار الاعلامى اسما اجنبيا لبرنامجه التليفزيونى او فى الراديو او اى وسيلة اعلامية اخرى ، انه بذلك يستخدم لغة غير لغته ، واللكنه المشوهة التى يستخدمها تعتبر لغة مهجّنة تفصله عن جماعته ، انه بذلك سيعزل نفسه ويفقد احترام الجماعة ويقلل من فرص نجاحه فى توصيل رسالته الاعلامية ، ان مثل هؤلاء يمثلون فكرا ضائعا بلا هوية ، انه مرض يصيب الكثيرين من الاعلاميين فى بعض المجتمعات النامية ، مرض اسمه « الهروب من الهوية » لقد كان وزير الدعاية الالمانى النازى « جبلز» يستخدم مذيعين انجليز لاجئين فى المانيا النازية فى توجيه دعايته ضد وطنهم ومواطنيهم فى المملكة المتحدة ، ثم اكتشف ان قيام الجليز بهذا العمل يقلل من فرص نجاح دعايته المدمرة الموجهة الى الانجليز فى وطنهم ، لان مجرد اكتشاف هوية المذيع كمذيع انجليزى يجعل الانجليز يعتبرونه خائنا ، ولايستمعون اليه ولايصدقونه ، ولهذا استغنى عن المذيعين الانجليز واستخدم مذيعين المان ينطقون الانجليزية بلكنة المانية ، فحقق بذلك شيئا كبيرا من النجاح .

★ حرب اللغات ومحو الهوية ★

ومحاربة وقهر اللغة الام للشعوب هى احدى ممارسات الدول الاستعمارية والتى مارست الاستعمار والاستيطان والتبشير والاستغلال فى مختلف أنحاء العالم ، فقد مارست تلك الدول ما يمكن ان نطلق عليه اسم حرب اللغة ، وذلك بهدف محو هوية الشعوب وفصلهم عن حضارتهم

---

(١٧) مجلة رسالة اليونسكو العدد ٢٦٦ - يوليو ١٩٨٣ (الطبعة العربية) القاهرة .

وثقافتهم القديمة التى تعمق من انتمائهم وتربط بين افراد الجماعة ، بل وتعمل على خلق اجيال تستخدم لغة المستعمر او لغة مهجّنة تعمق الفصل بين أبناء الوطن الواحد ، وتخلق ثقافات جديدة متصارعة تحت ستار مفهوم يروجون له ، هو الزعم بوجود صراع بين الاجيال او صراع بين القديم والحديث ، بينما اللغة هى وسيلة امتداد الحضارات ، وفصل الشعوب عن امتدادها الثقافى والحضارى هو اقتلاع لها من جذورها. وقد رأينا تلك المحاولات المستميتة الضارية التى مارستها فرنسا فى الجزائر بصفة أساسية وفى الشمال الافريقى بصفة عامة،بينما نجدهم فى فرنسا يدعون اكثر من خمسين هيئة فرنسية رسمية مهمتها تطوير اللغة الفرنسية ونشرها فى مختلف انحاء العالم وفتح معاهد فرنسية فى بلدان كثيرة ، كما يقدمون الجوائز الضخمة للمؤلفات التى يبدعها كتاب غير فرنسيين باللغة الفرنسية . وهناك آلاف المعاهد الانجليزية والامريكية والالمانية والاسبانية والايطالية منتشرة فى مختلف انحاء العالم لتعليم تلك اللغات .

★ اللغة العربة تواجه التحدى ★

ومع ذلك فقد شهدت اللغة العربية وما زالت تشهد حربا شرسة من اجل زحزحتها عن مكانها بهدف الغاء تراثها الفكرى وعزلنا عن منجزاتنا الحضارية ،وعندما يتم عزل شعب عن لغته القومية ، فقد القدرة على الابداع بها ، وفقدت الاجيال القدرة على التواصل وتحقيق الوحدة الوطنية والذاتية الثقافية ، وهكذا ينبغى ان نكون على درجة كبيرة من الوعى ونحن نواجه مثل تلك الحروب الخفية التى تستهدف لغتنا العربية الفصحى التى تمثل حقيقة وجودنا ، والتى بها تتواصل اجيالنا والتى ينبغى ان تكون لغتنا الاعلامية فى تواصلنا عبر وسائل الاتصال بالجماهير، انها فى اعماقنا،انها فى تراثنا الثقافى فى كتبنا ومكتباتنا ،إنما تمثل ذاكرتنا الاصيلة . ان اللغة الام هى الجماعة هى الهوية التى لا ينبغى لاحد ان يهرب منها ابدا ، ولعل من المهم ان نسجل مدى تمسك ابناء مقاطعة «كويبك» فى كندا بثقافتهم الفرنسية بدرجة تجعلهم اقرب الى الاستقلال عن كندا،ونذكر أيضا قيام الحكومة الفرنسية بتجريم إستخدام لغة غير الفرنسية ، واطلاق اسماء غير فرنسية على المؤسسات والمحلات التجارية والشوارع ، وقيامها بتطهير اشهر قواميسها لاروس Larousse من الكلمات الدخيلة على اللغة الفرنسية ، كما نذكر ما تعانيه بعض الدول من فقدان الذاتية الثقافية او الذات الثقافية Cultural Identity نتيجة لتجزئة الدولة لغويا ، مثل بلجيكا التى يتحدث بعض ابنائها لغة الفليميش Flemish والبعض يتحدث الفرنسية والبعض يتحدث الالمانية ، ونيجيريا بلغاتها الانجليزية والهوسا Hausa واليوروبا Yoruba والايدو ido والايبو Ibo ، بينما ساعدت اللغة الايطالية على توحيد ايطاليا وتوحيد المانيا وتحقيق الوحدة الوطنية فيهما مثلما هو الحال فى مصر ، حيث تعتبر اللغة العربية احد اهم اسس الوحدة الوطنية لكافة ابنائها .

الفصل الثالث
اللغة المكتوبة

الفصل الثالث
اللغة المكتوبة

اننا ونحن بصدد الحديث عن اللغة المكتوبة ، ينبغى علينا من البداية الا نقلل من اهمية اللغة المنطوقة المتداولة حتى فى البلاد التى لم تعرف اللغة المكتوبة ، انها تحمل التراث الشفافى فى الملاحم الوطنية والشعبية وقصائد الشعراء ، وتحمل الأمثال الشعبية والأغانى والحكايات الشعبية ، إنها جزء هام من تراث الشعوب بل وجزء لا يتجزأ من تراث البشرية الثقافى الذى يجب الحفاظ عليه .ان اهمال اى لغة غير مدونه واهمال تراثها فيه خسارة كبرى للتراث البشرى بأثره.

★ البحث عن لغة عالمية مشتركة ★

وعلى ذلك تبقى اللغة المنطوقة ، وتبقى اللغة اى لغة وسيلة الاتصال الاولى بين الافراد والجماعات وبين الشعوب ، والوسيلة الاولى في نقل الثقافات والتقاء الحضارات ، انها اهم العمليات الاتصالية فى كل مكان ، وقد شغل الفلاسفة والمفكرين أمر تحقيق وجود وسيلة اتصال أوثق ، بين الشعوب من اجل التقاء افكارهم ومن اجل وحدة الجنس البشرى بأمل وقف الصراعات والحروب،وكان ان وجدت فكرة خلق لغة مشتركة يستطيع جميع الناس فهمها باختلاف اجناسهم وجنسياتهم ، وهكذا وجدت لغة الاسبرانتو (*) التى اخترعها ل.ل . زامنهوف والتى اشتق مفرداتها من اللغات الاوربية وطبع قواعدها بطابع اللغات اللاتينية ، كما اخترع " يوهان مارتن شليبر " لغة الفلابون لنفس الهدف ، وكان ديكارت يدعو الى ابتكار لغة عالمية مثلما هو الحال فى الرياضيات ، كما حاول المحاولة نفسها فلاسفة آخرون امثال ليبنتز وكارناب وفيتجنستاين وراسل ، وقد بلغ عدد اللغات التى اخترعت حتى الخمسينيات من هذا القرن حوالى ٤٠٠ لغة لكن لغة" الاسبرانتو " هى الوحيدة التى حظيت ببعض التوفيق.

★ رسم له معنى ★

واذا كان الكلام او اللغة فى المرحلة الأمية عبارة عن اشارات صوتية أو صوت له معنى،أى انه يحمل رسالة من مرسل تصل الى مستقبل عن طريق الاذن - حاسة السمع ، فاننا نجد الكتابة عبارة عن رسم له معنى ايضا ، فالانسان لم يبقى على مرحلة الأمية ، فقد انبثقت ظاهرة جديدة هى بمثابة ثورة أخرى على طريق الحضارة ، انها مرحلة الكتابة او الرسم الذى يعطى معنى ، ووسيلة وصوله الى العين - حاسة البصر - والكتابة غيرها غير الكلام،اذ نستطيع ان نتتبع

(*) انظر لغة عالمية - الموسوعة العربية الميسرة - مرجع سابق . دار القلم ومؤسسة فرانكلين - ١٩٦٤ - القاهرة .

آثارها ، وان نعرف حقيقة نشأتها ، فحجر رشيد الذى عثر عليه جنود الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٩ ميلادية وعليه كتابات باللغات الهيروغليفية والديموطيقية (*) واليونانية القديمة ، عبارة عن شكر الكهنة للملك بطليموس الخامس لعطاياه للمعابد ، وقد استطاع العالم شمبليون فك رموز اللغة الهيروغليفية بمطابقتها مع اليونانية القديمة ، حيث ان الهيروغلوفية لغة تكتب بالصور ، فهى محاولة لنقل المعانى بالرسم ، ونظرا للسرعة التى ينبغى ان تكتب بها اللغة ، جاءت الرسومات تجريدية ، عبارة عن مجرد خطوط ، نفس الشىء تقريبا نجده فى اللغتين الصينية واليابانية حيث تكتبان بالصور، مع الأخذ فى الاعتبار ما حدث لتلك اللغتين من تطوير عبر السنين من أجل خلق احرف هجائية .

ونحن نستطيع قراءة ما كان يرسمه الانسان الاول على جدران كهفه ، فهو الرائد فى استحداث الكتابة،وان احتاج الأمر الى مضى قرون عديدة قبل ان تنبثق ظاهرة الكتابة كحاجة انسانية عامة،فالصائد كان يرسم على جدران الكهف قبل ان يخرج للصيد ، كان يرسم ثورا او اثنين او ثلاثة وفى جسدهم سهام ثم يخرج ليصطاد ، ويعود ليرسم عددا اكبر من الثيران فاذا دخل شخص كهفا ورسم ثوراً فى صدره سهم ، كان معنى ذلك أن ساكن الكهف قد خرج للصيد بالاضافة الى ما يرتبط بذلك من معانى التمنّى ، فهو يتمنى الشىء لكى يحدث ، وقد مرت آلاف السنين قبل الانتقال من مرحلة الرسم ذى المعنى الى الحروف الهجائية والكتابة بها .

★ الكتابة كظاهرة ★

«كانت الكتابة اذن اشكالا تخطيطية بسيطة ، لكنها تحمل دلالات ومعانى اصطلحت الجماعة على تلك المعانى والدلالات والمعانى التى ترمز اليها ، ولعل هذا هو ما يميز الانسان عن غيره من المخلوقات»[١٨] فان قدرة الانسان على صنع الكلمات وصياغة الرموز التى تمثل ظواهر عالمه الخارجي وعالمه الداخلى على السواء هى اهم الخصائص التى تميز الانسان عن بقية الكائنات، ففى محاولته فهم البيئة التى يعيش فيها وحل الغازها ، يصوغ الانسان انساقا رمزية او لغات يمكنه عن طريقها بناء هذه العملية ونقلها الى الآخرين .

والعرب لم يكونوا بعيدين عن تلك الظاهرة الهامة فى حياة الانسان فوق هذه الارض ، فقد عرفوا الكتابة منذ زمن طويل ، اذ ابتدعوا الكتابة الحِمْيَرية والكتابة الانبارية والنبطية والكوفية،

(*) الهيروغلوفية : هى الكتابة الرسمية المصرية القديمة والديموطيقية هى كتابة الشعب كما عرفت الكتابة الهيراطيقية وهى الكتابة المختصرة .

(١٨) حسين شيرازى - قصة البريد - المكتبة الثقافية العدد ١٦٧ يناير - مرجع سابق .

فقد انبثقت ظاهرة الكتابة فى انحاء مختلفة من العالم كحاجة انسانية لاتصال اكثر عمقا ، وهكذا وجدنا قبائل « المايا » فى امريكا الوسطى يعرفون الكتابة كظاهرة،وكحاجة انسانية تبدو أوضح ما تكون عند المصريين القدماء،فقد كانوا يسجلون ما حدث فى الحياة ، فبالاضافة الي ما سجلوه على جدران معابدهم ومسلاتهم من أحداث ، كانوا يستخدمون الكتابة فى حياتهم اليومية، اذ كانوا يسجلون على سبيل المثال ما كان يحصل عليه الجباة من اموال من المزارعين فى القرى، مقابل ايصال المياه الى اراضيهم ، وقد استخدم المصريون القدماء أوراق البردي وجلود الحيوانات والخشب وسعف النخيل ، وهكذا كان اول ظهور الكتابة فى مصر القديمة،كما ظهرت فى الصين وفى بلاد ما بين النهرين ، حيث عرفت الكتابة المسمارية التى كانت تكتب على الواح الطين الرطب وتترك لكى تجف او لكى تحرق ، وقد تم تطوير هذه الكتابة على يد السوريين والآشوريين والبابليين،حيث تم تحويلها من رموز الى مقاطع ذات رموز واحرف هجائية،بعد ان كانت صورية فى بادىء الامر يستطيع قراءتها جميع الناس دون تمييز .

والكتابة كظاهرة فرضت وجودها بأبجدية محددة عندما وجدت الحاجة اليها،فعندما استقرت الزراعة وظهرت طبقة ملاك الارض ، وعندما اتسعت دائرة المعاملات التجارية والسياسية كان لابد من تسجيل العقود والحسابات والمعاهدات ، وقد ورد فى القران الكريم ما يؤكد اهمية تسجيل مثل تلك المعاملات كتابة :

«يا ايها اللذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمي فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علّمه الله،فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتقى الله ربه ولا يبخس منه شيئا » سورة البقرة .

بل ان عهد أو صلح الحديبية بين الرسول عليه الصلاة والسلام وقريش ، كان مكتوبا ، كتبه على بن ابى طالب «وهو الصلح الذى تهادن فيه المسلمون والمشركون عشر سنين فى رأى اكثر كتاب السنة وسنتين فى قول الواقدى [١٩] وقد سبق ذلك معاهدة بين الرسول عليه الصلاة والسلام ويهود يثرب كتبت ايضا،وكذلك صحيفة المقاطعة التى تعهدت فيها قريش ، بمقاطعة بنى

---

(١٩) محمد حسين هيكل (د)،حياة محمد – الطبعة التاسعة،مكتبة النهضة المصرية – ١٩٦٥ – ١٩٦٦ القاهرة .

عبد المطلب مقاطعة كاملة لا يبيعون لهم ولا يشترون منهم ولا يزاوجوهم ولا يتزوجون منهم .

★ كتابة الرسائل ★

ومع ظهور الكتابة واستحداث مواد يمكن النقش او الكتابة عليها ، ظهرت الرسائل المكتوبة فالمصريون القدماء كانوا ينقشون الرسائل على قوالب من الطين ثم يحرقون القوالب، وأحيانا من أجل ضمان سرية الرسالة كانت توضع فى غلاف من نفس النوع ، ويقوم المرسل اليه بكسر هذا الغلاف واستخراج الرسالة المنقوشة على القالب لكى يقرأها،كما استخدموا ألواح الخشب المكسوة بطبقة من الشمع [٢٠] كما عرفت الفرس نظاما دقيقا للبريد، وكذلك الهنود والمغول والعرب ، وكان الرسول ﴿ﷺ﴾ يبعث بالعديد من الرسائل الى الكثير من معاصريه من الملوك والحكام وشيوخ القبائل ، وكان له﴿ﷺ﴾ كاتب سر من اليهود الى ان تم إجلاء يهود بنى النضير عن المدينة « ليتسنى له ان يبعث من الرسائل بالعبرية والسريانية ما يريده ، فلما جلا اليهود ، خاف النبى عليه الصلاة والسلام ان يستعمل فى اسراره غير مسلم ، فأمر فتعلم زيد بن ثابت من شبان المدينة المسلمين اللغتين المذكورتين،وأصبح كاتب سر النبى فى كل شئونه ، وزيد بن ثابت هذا هو الذى جمع القرآن الكريم فى خلافة ابى بكر ،وهو الذى عاد فراقب الجمع حين اختلفت القراءات فى خلافة عثمان ، فوضع مصحف عثمان واحرقت سائر المصاحف» [٢١]

وقد قام الرسول بارسال عدد من الرسائل حملها أفراد من خيرة الصحابة الى كل من النجاشى ملك الحبشة ، وقيصر ملك الروم (هيرقل) ، وكسرى ملك فارس والمقوقس حاكم مصر ، والحارث بن ابى شهر الغسانى ملك البلقاء وهوذة بن على الحنفى امير اليمامة ، والمنذر بن ساوى امير البحرين واميرى عمان جيفر وعباد ابنى الجلندى وكان نص الرسالة التى بعث بها الرسول الكريم وحملها دحية بن خليفة الكلبى الى هرقل ملك الروم كما يلى :

بسم الله الرحمن الرحيم- من محمد بن عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم ، السلام على من اتبع الهدى ، اما بعد ، فانى ادعو بدعاية الاسلام ، اسلم تسلم ، واسلم يؤتك الله اجرك

---

(٢٠) حسين شيرازى - قصة البريد - المكتبة الثقافية العدد ١٦٧ - يناير ١٩٦٧ القاهرة - مرجع سابق .

(٢١) حياة محمد - مرجع سابق .

مرتين . وان تتول فان اثم الاكارين (*) عليك،ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون ﴾.(٢٢)

وكان الرسول قد عرف ان الروم لا يقرأون كتابا الا اذا كان مختوما ، فاتخذ خاتما من فضة، ونقش عليه ثلاثة اسطر : (محمد) سطر و(رسول) سطر و(الله) سطر ، وختم به الكتب المرسلة الي الملوك وبعث بها مع سفراء من خيرة اصحابه بعد صلح الحديبية»(٢٣) .

★ طرق عديدة لنقل الرسائل ★

وكانت هناك طرق ووسائل عديدة لنقل الرسائل ، فبالاضافة الى حامل الرسالة من البشر ، كان هناك الحمام الزاجل ، ولعل حمامة سيدنا نوح كانت اول حامل للرسائل ، فقد بعث بها من فوق السفينة وعادت اليه تحمل غصن زيتون مبشرة بانحسار الماء وبروز اليابسة ، كما عرفت البشرية رسائل الوشم فحامل الرسالة رسول او مبعوث يقوم المرسل بكتابة الرسالة بطريقة الوشم على رأسه بعد حلقها ، ويترك الشعر ينمو ، اما المرسل اليه فكان يحلق شعر الرسول ويقرأ الرسالة ، لكن الرسول او المبعوث كان فى غالب الاحوال يتم قتله لكى لا يعرف الاعداء مضمون الرسالة ، وهناك من الرسائل ما كان يحفظ فى وعاء ويبعث بها عن طريق المياه الجارية .

وقد عرفت رسائل البريد المنتظم بين المدن والعواصم ومختلف انحاء البلاد عن طريق العدائين والفرسان على الخيول ،والهجانة على الجمال ، والقوارب والسفن،وعن طريق المخترعات الاحدث مع التقدم الحضارى ، حيث القطارات والسفن المتطورة ، فاستحدثت طوابع البريد ، مع ذلك التطور الذى تبعه تطور اوسع مع اختراع الطائرات،ثم ما هو احدث من خلال معجزات نهايات قرننا الحالى حيث ارسال الرسائل عن طريق التليفون و الفاكسيملى والتليفزيون وغيرهما من الوسائل الاتصالية العديدة مثل التلكس والتليبرنتر ثم الاستخدامات غير المحدودة لاشعة الليزر واجهزة الكمبيوتر فى نقل الرسائل عبر مسافات قصيرة وبعيدة عبر قارات نائية . وهكذا اصبحت

(*) الاكارين : هم الزراع والحراث والمقصود بهم رعية هرقل .

(٢٢) د. محمد سيد محمد - المسئولية الاعلامية فى الاسلام - مكتبة الخانجى بالقاهرة ودار الرفاعى بالرياض .

(٢٣) المرجع السابق

اللغة المكتوبة ايسر فى انتقالها مع انتشار وسائل الاتصال الطباعية - صحافة وكتاب مطبوع وسائل الاتصال الالكترونية ومنجزات عصر سريع التطور عامر بالمتغيرات والآليات المتجددة دوما

★ الاختيار الحر للانسان ★

وهكذا حققت اللغة المكتوبة مع بروز ذلك التقدم التقنى الفريد المتمثل فى مثل تلك المخترعات الحديثة ، حققت اللغة المكتوبة نفس الاهداف الاتصالية الاولى التى كان ينشدها الانسان منذ بداية الخليقة وهو نقل أفكاره الى الآخرين ، ان الاساس الاتصالى هو الذى يحركنا جميعا ، ومحركات التاريخ أساسها الاتصال ، بل ان كل نمط ثقافى وكل سلوك اجتماعى انما يعتمد على الاتصال،على نقل الافكار ، وهكذا يقف التاريخ وراء اللغة ، اللغة كظاهرة وابتكار جماعى، اما المضمون اى الفكرة التى تحملها اللغة فقد كانت ولا تزال الاختيار الحر للانسان .

★ حروف الكتابة العربية مستهدفة ايضا ★

واذا كنا قد وجدنا الدول الاستعمارية والمعادية لثقافتنا والتى يهمها هدم هويتنا تعمل جاهدة لمحاربة لغتنا العربية ، فاننا نجد هذا العداء وتلك المحاولات الشرسة تتركز ايضا فى معاداة الحرف العربى والكتابة العربية التى اتسع مدى انتشارها باتساع المد العربى الاسلامي ، حيث انتشرت الحروف العربية فى دول اسلامية لا تتحدث العربية ، مثل بلاد فارس (ايران) وافغانستان وباكستان وتركيا العثمانية بما فى ذلك الاراضى العثمانية فى اوربا ، ومع انحسار المد الاسلامى العربى حوربت الكتابة العربية فى مختلف البلاد التى سادت فيها فى شمال افريقيا وفى افريقيا جنوبى الصحراء وقام كمال اتاتورك بازاحة الحروف العربية وجعل التركية تكتب بالحروف اللاتينية ، وظهرت محاولات عديدة للنيل من الكتابة العربية والحرف العربى «حتى ان بعض المتعصبين فى بيروت انشأوا مطبعة بالحروف اللاتينية لطبع كتب باللهجة العامية او بالعربية الفصحى ، وقد اختلطت صور الحرب ضد الكتابة العربية والخط العربى ببعض صور تطوير الكتابة العربية لكن الباحث المدقق يستطيع بسهولة ان يفرق بين محاولات القتل ومحاولات التطوير .»[٢٤]

---

(٢٤) دكتور: محمد سيد محمد - اقتصاديات الاعلام - صناعة الكتاب ونشره - دار المعارف - القاهرة : ١٩٨٨

الفصل الرابع
الكتاب كوسيلة اتصال

الفصل الرابع
الكتاب كوسيلة اتصال

★ الكتاب وسيلة اتصال .... لماذا ؟ ★

الكتاب وسيلة من وسائل الاتصال الجماهيرى ، بمعنى أن نشره وتوزيعه يعنى نقل فكرة أو مجموعة أفكار وآراء ومشاعر وأخبار ومعلومات إلى آخرين هم قراء ذلك الكتاب من أجل أهداف مقصودة لاحداث تأثير معين . والقراء كمستقبلين receivers لكل ذلك أى للرسالة message متواجدون بعيدا عن المرسل أو المصدرsourse وهو المؤلف ويستمر تأثيرeffect ذلك لديهم مع وضوح رد فعل feed back سلبا أو إيجابا .

★ كتاب الموتى اول كتاب مصور فى التاريخ ★

والكتابة أو اللغة المكتوبة هى التى جعلت وجود الكتاب أمرا ممكنا ، وإذا كنا نرى أن وجود أى وسيلة إعلامية يمثل ظاهرة خالصة تعبر عن مرحلة حضارية وبيئة اجتماعية معينة وحاجة انسانية محددة ، فإننا نجد ذلك الافتراض أوضح مايكون بالنسبة للكتاب ، فالكتابة التى وجدت بوجود طبقة تريد تسجيل معاملاتها الاقتصادية وحقوقها ، ووجود سلطة تريد تحديد علاقاتها بالخاضعين لها ، كان لها أثرها البارز منذ أيام الفراعنة فى مصر القديمة ، ورغبتهم فى السيطرة الكاملة على المحكومين ؛ بالاضافة إلى سيطرة وسطوة الكهنة ورجال الدين حتى فيما يتعلق بالحياة بعد الموت ، كان لها أثرها فى ظهور الكتب المخطوطة ، ولعل « كتاب الموتى » هو أول كتاب مخطوط ، وقد أطلق العلماء هذا الإسم تجاوزا على مجموعة من الرُقىَ والتعاويذ وعلى صور من خيال الفراعنة وآمالهم فى الآخرة ، بدأت كتابتها على قراطيس البردى منذ أيام الأسرة الثامنة عشر ، فكانت توضع مع المومياء أو فوق التابوت ، وهى كمتون الأهرام ومتون التوابيت لم ترتب فصولها ترتيبا منطقيا ، ولم يكن فهمها سهلا لولا ماصاحبها من الصور والرسوم الموضحة ، فهناك تصوير لحساب الميت ووزن أعماله بالقسطاس المستقيم ، وذلك بعد أن تثبت براءته من كبائر الأثم ، ثم فيها طائفة من الصلوات والتراتيل للشمس التى لايمكن تصور الحياة بغير رؤيتها ، وفيها ذلك الدعاء الساذج يتوسل به امرء إلى قلبه أن يكون معه لاعليه يوم الحساب [٢٥] وهو بذلك أول كتاب مصور فى التاريخ .

---

(٢٥) الموسوعة العربية الميسرة . أنظر كتاب الموتى صفحة ١١٤١ - مرجع سابق .

★ الكتاب الفرعونى بالمفهوم الاتصالى ★

ومع ذلك فإن كتاب الموتى لم يكن كتابا بالمعنى الصحيح للمفهوم الاتصالى ، بمعنى أن يصبح فى إمكان الناس التعرف على أفكار غيرهم وهم فى أماكنهم ، أى إمكانية انتقال الأفكار والمعلومات دون انتقال الأشخاص أنفسهم ، إلا أن هناك من الأدب الفرعونى مايعتبر بحق نموذجا فريدا للابداع القصصى والروائى مثلما نجد فى « قصص أولاد خوفو » و « الفلاح الفصيح » و«سنوحى » (*) وغيرها ، لكننا لانستطيع الجزم بأن الكتاب الفرعونى كان كتابا بالمعنى الصحيح للمفهوم الاتصالى ، بمعنى أن يصبح فى إمكان الناس دون تمييز كما سبق أن ذكرنا أن يطلعّوا على أفكار غيرهم وهم فى أماكنهم ، أى إمكانية انتقال الأفكار والمعلومات دون انتقال الأشخاص أنفسهم من مكان إلى مكان ، فقد ظلت الكتابة تتسم بطابع مقدس يضفيه عليها رجال الدين من الكهنة ويدعمه الحكام ، ويقوم بالكتابة رجال الدين أنفسهم وطبقة أخرى متميزة هم « الكتاب» الذين صنعوا لهم التماثيل مثلما هو الحال مع الملوك العظام .(**)

★ الكتاب فى حياة الاغريق ★

وإذا انتقلنا إلى حضارة الأغريق ، فاننا نلمس ظهور طبقة المفكرين والفلاسفة العظام وما أبدعوه من فلسفة وحكمة وعلم ، وكان جديرا بأن يسجل فى كتب مخطوطة تحفظ للأجيال ، وإذا أضفنا إلى ذلك رغبة الأثرياء القادرين على شراء المخطوطات من أجل الاطلاع على حكايات وقصائد الشعراء المتجولين أمثال الشاعر الأغريقى « هوميروس» الذى نظم ملحمتى الألياذة والأوديسا (القرن الثامن قبل الميلاد) وتحكيان عن تاريخ الأغريق وآلهتهم ، وهو مانستطيع أن نلمسه أيضا لدى الرومان وفى مصر البطلمية التى ازدهرت فيها مكتبة الأسكندرية التى دمرها الرومان حرقا عام ٤٨ ميلادية . « وكان فى أثينا منذ القرن الخامس قبل الميلاد ناشرون ومحال

(*) أولاد خوفو : كتب بعد وفاة الملك خوفو بعدة قرون ويحكى عن أبنائه الذين كان يجلس معهم لكى يحكوا له أخبارهم ومغامراتهم المثيرة بقصد تسلية أبيهم . أما قصة « الفلاح الفصيح » فتحكى حكاية فلاح عاش أيام الأسرة العاشرة وقد تعرض لظلم أحد الملاك الأثرياء فكتب يشكو لحاكم الإقليم . أما قصة «سنوحى» وهو أحد رجال جيش امنمحات الأول الأسرة الثانية عشرة فتحكى قصة هروبه من مصربعد وفاة فرعون لأنه كان من الغير مؤيدين للفرعون الجديد ، وقصة مغامراته إلى أن عاد مرة أخرى إلى مصر بعد العفو عنه .

(**)انظر كتاب : فى موكب الشمس الجزء الثانى - د. احمد بدوى - الطبعة الأولى - لجنة التأليف والترجمة والنشر - ١٩٥٠ - القاهرة .

لبيع الكتب ، وأنشأ الرومان فى عصرهم الذهبى مشاغل لنسخ الكتب كان عمادها العبيد ، وقام الناشرون فى روما باصدار المؤلفات على نطاق واسع . وكان للكتب النادرة سوق خاصة بها .

★ مع نمو الحضارة الاسلامية ★

واذا انتقلنا إلى العالم العربى فإننا نجد القرآن الكريم هو أول كتاب قام النسّاخون المسلمون الأوائل بنشره مخطوطا حفاظا عليه ، ومع انتشار الاسلام وازدهار الحضارة الاسلامية الكبرى ، وبعد أن عرف العرب صناعة الورق التى نقلوها عن الصين ، وكان لهم فضل نقلها إلى أوربا ومختلف أنحاء العالم ، فقد صاحب نمو الحضارة الاسلامية وازدهارها نهضة ثقافية ومعرفية واسعة كان من نتيجتها ظهور حركة واسعة للترجمة عن اليونانية واللاتينية والفارسية والهندية والسوريانية وغيرها ، وكان لابد من تصارع الأفكار واختلاف المدارس والفرق ، وقد أدى ذلك إلى ازدياد الحاجة إلى قراءة علوم وأفكار وابداعات الآخرين ، فاتسع نطاق انتشار الكتب المخطوطة لكى تسد حاجة المتعطشين للعلم والمعرفة والطبقات الثرية والخلفاء والحكام الذين كانوا يشجعون حركة التأليف والترجمة ونشر الكتب التى ازدانت بها مكتباتهم ، وأضحت من أعز مقتنياتهم ، وكانت المساجد المنتشرة فى كافة أنحاء العالم الاسلامى مراكز حضارية كبرى ، ومراكز اشعاع معرفى يتحلق فيها طلاب العلم حول العلماء والمحاضرين فى مختلف ضروب المعرفة ، والكل متعطش لأن يسمع ويقرأ ، وعمرت المساجد بطلاب العلم والعلماء ، وعمرت بأمهات الكتب المخطوطة ، كما أنتشرت محال بيع الكتب التى يطلق على بائعيها اسم «الوراقين» وكانت هناك أسواق منتشرة لباعة الكتب تعرف بسوق الوراقين .

★ المكتبات العامة بين المساجد وبيوت الحكمة ★

أما المكتبات العامة ، فبالاضافة إلى مكتبات المساجد ، كانت هناك فى بغداد مكتبة «بيت الحكمة» وتعتبر تلك المكتبة التى أمر بانشائها الخليفة العباسى المأمون (٨١٤ - ٨٣٣ م) أول مكتبة عربية بمفهوم المعنى . وكانت عبارة عن مركز للترجمة ونسخ الكتب والدرس والاطلاع والتأليف، وكان للناسخين قاعات خاصة يجلسون بها ليقوموا بنقل الكتب ، سواء لحسابهم أو لقاء أجر معين يتقاضونه ممن يكلفهم بنسخ الكتب . ومن نساخ بيت الحكمة رجل من أصل فارسى

يدعى « علان الشعوبى » قام بنسخ الكتب لهارون الرشيد والمأمون والبرامكة »[٢٦] وكانت الأندلس قبلة القادمين من المشرق والمغرب ومن أوربا حيث أزدهرت مكتباتها وغمرت بأمهات الكتب المخطوطة .. وفى مصر كانت مكتبات المساجد الكبرى ومن أشهرها مسجد عمرو بن العاص ثم الجامع الأزهر فى مصر الفاطمية ، كما أمر العزيز بالله الخليفة الفاطمى بانشاء « خزانة الكتب» وتبعه « الحاكم بأمر الله » الذى أمر بأنشاء مكتبة أخرى باسم « دار الحكمة » .

★ إنتشار الكتاب المخطوط كظاهرة ★

مهما كانت درجة الاختلاف فى تحديد أصل بداية ظهور الكتاب المخطوط وأسباب انتشاره، فالحقيقة تقول أنه قد وجد كظاهرة امتدت آثارها بكثافة شرقا وغربا سواء بسواء أمام ظهور طبقات قادرة من الحكام والنبلاء والخاصة متعطشين جميعا للمعرفة ، ثم ظهور الجامعات التى حدت من احتكار الاديرة لأوجه المعرفة ، وازداد عدد الطلاب من أبناء الطبقة الوسطى الذين زادت درجة احتياجهم للكتب وقراءتها واستيعابها ، فتضاعف عدد النسّاخون وعدد المكتبات واتسع نطاق حركة الترجمة من العربية إلى اللغات الأوربية . وهكذا اضطر النساخون أمام زيادة الطلب على الكتاب ابتداء من منتصف القرن الثالث عشر إلى تحسين طرق النسخ ، فوصلوا فى بعض الأحوال الى نوع من الانتاج النمطى الحقيقى ، وعلى وجه العموم فان عمل النساخ قد مهد الطريق أمام الطابعين ، وهكذا يمكننا أن نلاحظ اشتداد الحاجة إلى الكتب قبيل ظهور المطبعة ، هذه الحاجة التى بدت واضحة عند طبقات اجتماعية معينة أخذت تزداد يوما بعد يوم ، وخاصة عند الطبقة المتوسطة والمشتغلين بالتجارة ، هذه الطبقة من المجتمع صاحبت المبتكرات الصناعية العديدة التى ظهرت فى النصف الأول من القرن الخامس عشر[٢٧]

★ مصر الولادة دائما ★

وهنا مقولة تبدو لنا زائفة ، وهى أن مصر كانت تعيش فترة ظلام تام قبل قدوم الحملة الفرنسية ، وأن عصر التنوير قد بدأ مع قدوم هذه الحملة ، وتأثر المصريين بها على مدى ثلاثة أعوام هى مدة الاحتلال الفرنسى لمصر [١٧٩٨ - ١٨٠١] بينما نجد علماء الحملة الفرنسية قد استولوا على آلاف الكتب المنسوخة للعديد من المفكرين والكتاب والأدباء والشعراء والمبدعين

---

(٢٦) د . خليل صابات-وسائل الاتصال - نشأتها وتطورها - مكتبة الأنجلو المصرية - ١٩٩٤ - القاهرة .

(٢٧) د . خليل صابات-وسائل الاتصال نشأتها وتطورها . مرجع سابق .

المصريين فى مختلف ضروب المعرفة والتى كانت محفوظة فى مكتبات المساجد ولدى الوراقين ، بل ويذكر علماء الحملة أنهم قد استولوا على اكثر من ٢٠٠٠ ألفى كتاب منسوخ من مكتبة الشيخ البكرى عند مغادرتهم مصر والعودة إلى بلادهم ، ولاتزال هذه الكتب محفوظة فى فرنسا بحالة جيدة متميزة تحتاج إلى من يكشف عن مكنونها ومساهمات المبدعين المصريين الذين بدأوا حركة التنوير قبل قدوم الحملة الفرنسية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ومثال ذلك المؤرخ المصرى الشهير عبد الرحمن الجبرتى الذى يثبت أن مصر ولاّدة دائما على مر العصور ومختلف الأجيال .

★ الكتاب المطبوع ظاهرة أيضا ★

وإذا كان الكتاب المخطوط يمثل ظاهرة فى ذاته ، فإن الكتاب المطبوع هو الآخر يمثل ظاهرة أيضا انبثقت عن حاجة اجتماعية برزت فى مجتمع جديد ، فقد كان لاكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح المؤدى إلى الهند والشرق الأقصى وبداية عصر الاكتشافات الجغرافية وعبور المحيط الأطلسى إلى أمريكا ، ما أطلق روح المغامرة على نطاق واسع ، وكان مردود تلك الاكتشافات بل والفتوحات مردودا رائعا ، فقد انتشر الرخاء المادى والثراء فى أوربا مع ازدياد حجم التجارة والحصول على الثروات غير المحدودة للبلاد المكتشفة ، كما حدثت نقلة حضارية كبيرة بالاطلاع على ثقافات وحضارات الشعوب الأخرى وأصبح الناس أكثر تفتحا وانطلاقا فى الفكر ، وازداد تعطشهم للمعرفة التى لم يعد احتكار رجال الدين لها أمرا مقنعا ، وسرعان مابدأ الأصلاح الدينى وتوطدت أقدام البروتستانتية التى أعلنت عدم معصومية البابا ، وقويت شكيمة الطبقة الوسطى القادرة على حمل الثقافة واستيعابها والمتطلعة دائما نحو التقدم ومزاحمة الطبقة الأعلى، وازداد الطلب على الكتاب المخطوط الذى كان مرتفع الثمن بالنسبة لغالبية طالبيه فيما عدا الطبقات الثرية ، وهكذا كانت الظروف كلها مهيأة لمولد ظاهرة جديدة فى بيئة اجتماعية جديدة ، هى ظاهرة الكتاب المطبوع ، وهكذا جاء مولد المطبعة على يد مخترعها يوحنا جنسلايسن المعروف باسم « جوتنبرج » الذى ابتدع طريقة للطباعة بحروف معدنية متحركة ظلت تستخدم دون أى تغيير كبير حتى القرن العشرين (*) كما صنع آلة للطباعة من الخشب تشبه معصرة النبيذ

(*) هناك رأى يقول بأن أول اختراع للطباعة باستخدام الحروف المتحركة هو الصينى بى سيبنج فيمابين عامى ١٠٤١ - ١٠٤٣ م ومن يقول أن الصينيين أيضا هم أول من عرف الطباعة الخشبية بكتابة الكلمات مقلوبة على الخشب وتحبيرها وحفظها على الورق أو الحرير وهناك من ينسب ذلك إلى الكلدانيين وإلى العرب .

ذات سطح سفلى ثابت يوضع عليه قالب الطباعة المحبّر وسطح أعلى متحرك ، ويتم كبس صحيفة الورق بين السطحين فيتم الطبع ، ولهذا تسمى عملية الطباعة Press بمعنى يضغط . وعندما جاء « جو تنبرج » كانت صناعة الورق واسعة الانتشار ، وهذا جعل الطباعة أمرا ممكنا ، وسرعان ما انتشرت المطابع وتطورت صناعتها تطورا مذهلا منذ الطابعة الخشبية التى ابتكرها «جوتنبرج» إلى الطابعة المعدنية التى ابتكرها السويسرى ولهلم هاس سنة ١٧٧٢ م ثم الانتقال من الطباعة اليدوية الى مولد ماكينات الطباعة الميكانيكية سنة ١٨١١ ثم طباعة الأوفست ذات الاسطوانات المتعددة والتى تطبع الآن آلاف الآلاف من النسخ فى الساعة الواحدة وبألوان متعددة مع تطور عمليات جمع الحروف ، إلى أن وصلنا إلى الجمع بالكمبيوتر وما يعرف بالجمع التصويرى ، ودخول أشعة الليزر والألياف الضوئية ، فقد تحولت حروف الطباعة من قطعة من الرصاص إلى خط من الضوء وأصبح لدينا مايعرف بالحروف الالكترونية ، إنها ثورة كبرى فى عالم الطباعة وصناعة الكتاب .

★ تأثير الكتاب كوسيلة اتصال ★

وهكذا نعود مع هذا التطور الفريد لنتحدث مرة أخرى عن الكتاب كوسيلة من وسائل الاتصال الجماهيرى ، إذ هذا هو الأصل فى وجوده منذ أن كان مجرد لفائف من البردى إلى عصرنا الحاضر ، وسيظل الكتاب المطبوع حاضراً مهما بلغت درجة التقدم العلمى والتكنولوجى التى أدت إلى ذلك التطور المذهل فى طرق حفظ المعومات وحفظ الوثائق وحفظ الكتب والموسوعات على الميكروفيلم وخزنها مبرمجة فى أجهزة الكمبيوتر ، فطبيعة الكتاب أن يؤلف ويطبع وينشر ويوزع من أجل نقل الأفكار والمعلومات وتداولها . وإنه وسيلة إعلام أساسا ، وإذا لم يوزع الكتاب فقد خاصيته الأساسية وهى قدرته على تبليغ رسالة من أجل إحداث التأثير المطلوب ، ولنا أن نتصور ما أحدثه الكتاب المطبوع من تأثيرات بالغة فى تاريخ الانسان فوق هذه الأرض ، وارتقائه سلم الحضارة ، بل وما واجهه من أزمات ومعارك ، وما أسعده وما أشقاه ، إن مراجعة مجرد قائمة محدودة من الكتب الآتية كفيلة بأن توضح مدى عمق تأثير الكتاب كوسيلة اتصال :-

١- كتاب الأمير لميكيافيللى

٢- أصل الأنواع لداروين

٣- العقد الاجتماعى لجان جاك روسو

٤- رأس المال لكارل ماركس

٥- كفاحى لأدولف هتلر

٦- البروسترويكا لجورباتشوف

٧- تحرير المرأة لقاسم أمين

٨- المعذبون فى الأرض لطه حسين

٩- معالم على الطريق لسيد قطب

١٠- آيات شيطانية للكاتب المرتد سلمان رشدى

إنها مجرد أمثلة أرجو أن تكون قد أعطت مؤشرا واضحا على مدى عمق تأثير الكتاب ، فكم من كتب كانت عوامل بناء بينما كانت كتب أخرى عوامل هدم ، وكم من كتب أحدثت من الثورات الفكرية والثقافية والسياسية ما غيرت بالضرورة مجرى التاريخ .

★ الكتب ذاكرة البشر ★

إن الكتب والمكتبات ذاكرة البشر والمورد الأساسى للمعلومات ، فالكتاب يحمل أنباء وأحداث الماضى ويسجل تجارب الآخرين الذين سبقوا ، والأجيال التالية عليها أن تضيف إلى انجازات من سبقوها انطلاقا من النقطة التى وصل إليها السابقون . فالمعاصرون لا يبدأون من فراغ ، والكتاب ينقل تراث الماضى ، ويحفظ التراث المنقول ، ويشبع نهم الانسان المعاصر الجائع للمعلومات ، والكتاب هو إبداع المؤلف ، هو مجموعة أفكاره ، وخلاصة تجاربه التى يسطرها بقلمه دون أية قيود ، طالما هو حر كامل الأهلية ، أمين مع نفسه ومع الآخرين ، بل هو يؤدى دوره الاتصالى بين الشعوب ومختلف الحضارات حيث تجارب الدول وانجازاتها وحيث الصور الثقافية والبيئية لتلك الدول .

والكتاب كوسيلة اتصال يلعب دورا هاما فى تكوين الرأى العام وبلورة وجهات نظر المتلقين وإعادة تشكيل صورهم الحياتية ، ويرسم خطوط مستقبلهم ، فالانسان غير قادر على تكوين آراء حول المشاكل والاحداث البعيدة عن دائرة معلوماته . وسيظل الكتاب وسيلة تعليمية

وتثقيفية وتربوية على درجة كبيرة من الكمال بما يتضمنه من توجهات اجتماعية وثقافية واقتصادية وفنية وعلمية تؤدى إلى احداث التغيرات .

ويستخدم الكتاب فى الاعلام الخارجى مثلما هو الحال مع مكاتب الاستعلامات ومكاتب الاعلام فى سفارات الدول ، فمن خلال الكتاب يمكن للدول الاعلام عن نفسها ، عن تاريخها عن حاضرها عن ثقافتها ، عن انجازاتها ، عن أعلامها . عن علاقاتها مع غيرها ، عن مواقفها السياسية وواقعها الاجتماعى والحضارى .

★ الكتاب وجد لكى يستمر ★

وهكذا يؤكد الكتاب المطبوع حقيقته كوسيلة اتصال جماهيرية ، وكظاهرة يمكن التعرف عليها لدى جميع المجتمعات القائمة مع اختلاف فى درجات الانتشار تبعا لظروف الدول الاقتصادية والاجتماعية والبيئية وتوجهات نظمها السياسية وخضوعها أو عدم خضوعها لمؤثرات وقوى ضاغطة خارجية . وقد وجد الكتاب لكى يستمر ولكى يسود بالرغم من ظهور أشكال جديدة باهرة من وسائل الاتصال الجماهيرى ، وهكذا يتزايد دائما عدد قراء الكتاب والمترددين على المكتبات « وما زالت الوسيلة المطبوعة تحتفظ بمنزلتها بين جميع وسائل الاتصال باعتبارها المورد الرئيسى للمعلومات ، وما دامت وسيلة الطباعة تؤدى هذه المهمة ، فستظل للكتب أهميتها الكبرى فى تقديم المعلومات كما وكيفا ، فالكتب تمثل وسيلة الاتصال بالجماهير التى تنظر إليها جميع الوسائل الأخرى بجدية مفرطة،كما أن الجمهور ينظر إلى الكتب بمثل هذه الجدية المفرطة عينها »[٢٨]

وإن كان التطور الاكثر وضوحا يتمثل فى المطبعة وأساليب الطباعة ، ثم المكتبات وحفظ الكتب عن طريق المصغرات الفيليمية ، الميكروفيش أو الميكروكارد ثم الميكروفيلم والأقراص الضوئية التى يمكن عن طريقها تخزين الف مجلد فى قرص ضوئى واحد قطره ١٢ سم ولايزيد وزنه على ١٥ جراما فقط،وينتظر أن تتضاعف هذه السعه عشر مرات بنهاية هذا العقد ، ثم

---

(٢٨) An Introduction To Media-Edward Wakin. American Book company. ١٩٧٨

الأقراص الليزرية Laser Discs ذات الامكانيات اللامتناهية .[29]

★ منظومة شفاهية واسعة الانتشار ★

والكتاب قادر على تحريك أجهزة الاعلام الأخرى والاستحواذ على اهتمام العديد من وسائل الاتصال ، إنه قادر على جذب الأنظار إليه حتى بالنسبة لمن لايستطيعون الحصول عليه ، فكم من كتب منعت من التداول بأمر بعض السلطات فى بعض البلاد ، لكن سرعان مايتحول مثل ذلك الكتاب إلى « منظومة شفاهية » تتنقل عبر الاتصال الشخصى من فرد إلى فرد ، بين الأفراد والجماعات . وكم من كتاب حقق انتشارا جماهيريا فتلقفته أجهزة الاعلام الأخرى مثل المسرح والراديو والتلفزيون والسينما عن طريق الاعداد المسرحى والأذاعى والتلفزيونى والمعالجة السينمائية بل وكان مجالا للمناقشة والدراسة والتحليل ، فى الندوات والصحف والمجلات والراديو والتلفزيون أيضا ، بل ومن خلال كتب أخرى تصدر فتتناول ما يطرحه كتاب آخر شرحا وتحليلا وتفسيرا ، وهكذا استطاع الكتاب الصمود بجدارة أمام هذا الزخم من وسائل الاتصال الحديثة المتطورة ، فهو وسيلة الاتصال التى ينظر إليها الجميع باحترام بالغ من القراء ومن وسائل الاتصال الجماهيرية المختلفة وما زالت أحرف الكتاب تحظى بسحرها الكبير .

★ الكتاب هو ما يخرج من عقل الكاتب دون تحريف ★

ويعتبر الكتاب وسيلة الاتصال المثلى التى تعبر بصدق عن فكر صاحبها ، فإن وسائل الاتصال الجماهيرية المختلفة تتناول بالتعديل والتبديل كل ما يرد إليها من إبداعات المؤلفين «أما الكتاب فهو على النقيض من ذلك من حيث جميع أغراضه العلمية ، إذ الكتاب هو ما يخرج من عقل الكاتب ويسطره قلمه ، والصفحة المطبوعة فى كتاب هى أقرب إلى حرفية النص الذى كتبه المؤلف من أى نص منشور فى أى وسيلة أخرى من وسائل الاتصال »[30]

---

(٢٩) عبد المجيد شكرى - الاتصال الاعلامى والتنمية - العربى للنشر - القاهرة - ١٩٩٥ .

(٣٠) المرجع السابق .

★ حاجة ملحة .. وليس ترفا ★

وانطلاقا من هذه الأهمية الكبرى للكتاب ، أصبحت صناعة النشر من أكبر الصناعات وأهمها ، فهى صناعة ومشروع صناعى تجارى بمفهوم المكسب والخسارة ، لكن الأمر ليس كذلك ولا ينبغى أن يكون الكتاب سلعة تخضع لقانون العرض والطلب وتكاليف الانتاج ، وحسابات الربح والخسارة بل ينبغى أن يكون الكتاب فيها فى متناول الجميع عن طريق دعم الدولة وأجهزة الثقافة المعنية بالكتاب ، إن الكتاب بالنسبة لنا قد أضحى ضرورة وحاجة أساسية ملحة وليس ترفا .

الفصل الخامس

المسرح كوسيلة إتصال بالجماهير

الفصل الخامس
المسرح كوسيلة إتصال بالجماهير

★ المسرح من داخل الكهف إلى خارجه ★

كان المسرح ولا يزال على قدر كبير من الأهمية فى حياتنا كوسيلة من وسائل الإتصال ، فهو يلعب دورا كبيرا فى نقل الأفكار .

والمسرح فى أيامنا هذه امتداد للمسرح القديم ، وهو أيضا ظاهرة يمكن تتبعها عند مختلف شعوب الدنيا « وقد كان الإنسان البدائى بالرغم من فقر وسائله التعبيرية ، وقلة محصوله، من أوليات الكلمات الأساسية المنطوقة ، كانت وسيلته الشائعة فى التعبير عن أعمق مشاعره هى الحركة الرتيبة الموزونة ، ذلك لأن الطبيعة من حوله كانت تتحرك حركة إيقاعية مثل حركات الأمواج المائية وتموجات الحقول التى تداعبها أنامل الريح ، وكان طبيعيا أن يخلق الحركات الإيقاعية يعكس بها مايخامره من فرح وبهجة » (٣١) .

وكان من الطبيعى أن يسمع الإنسان زئير الرياح أو قصف الرعد ووميض البرق وغضبة البراكين فيخاف ، أو يسمع تغريد البلابل وزقزقة العصافير فيطرب ، أو تساقط المياه بصورة رتيبة أو نعيق البوم أو صرخات الضبع فيصاب بالحزن والكآبة ، وهو لابد قد أمسك بحجر أخذ يضرب به الأرض فى إيقاعات معينة فاهتز الآخرون وتمايلوا ، وكانت بذلك بداية ما ابتكره من أدوات وآلات تصدر نغمات وإيقاعات يستخدمها ليؤنس وحدته أو فى المناسبات المختلفة .

وكان طبيعيا أن يرقص الإنسان عند مولد طفل أو بلوغه مرحلة الشباب ، وعند الزواج ، وكان لابد أن يمارس رقصات الحرب وأن يدق طبول الحرب من أجل أهداف ثلاثة ، أولها أن تقف الآلهة الى جواره والثانية أن يتحصن المحاربون بالشجاعة والثالثة أن يسمع الأعداء طبولهم فيصابون بالذعر والهلع ، ولاشك أنهم كانوا يحتفلون بانتصاراتهم ، إنها جميعا وسائل إتصالية ثلاثية الإتجاه لايمكن إنكارها .

وكان الإنسان ولا يزال بحاجة الى الغذاء ، ولابد أنه كان يرقص من أجل نزول المطر ، ويرقص من أجل أن يوفق فى الصيد،ومن هنا«كان من عادة الهنود الحمر الماندانيين القاطنين شمال

(٣١) شلدون تشينى-تاريخ المسرح فى ثلاثة آلاف سنة-الجزء الأول - ترجمة درينى خشبة - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ١٩٦٧ م القاهرة.

الميسورى إقامة رقصات مسرحية يسمونها « تعالى يا جاموس » وذلك عندما يندر وجود اللحم » [٣٢]

ولنا أن نتصور كيف كان يعود شخص من الغابة وقد تعرض لمغامرة خطيرة إنتهت بنجاحه فى صيد أسد جسور ، ولاشك أنه سيحكى لأفراد قبيلته كيف استطاع الإنتصار على الأسد ، ولنا أن نتصور شيئا آخر « هو انه لا يلبث أن تثب فكرة مفاجئة الى ذهنه ، ، فإذا هو يقول : «إننى أعرف طريقة أحسن من هذه أقص بها الحادث عليكم ، أنظروا ، لقد جرى الحادث كما يلى... دعونى أمثل لكم كيف حدث هذا » وفى هذه اللحظة تولد المسرحية .» [٣٣]

★ العقلية السحرية فى اعمالنا ★

والمسرح كظاهرة تتضح بصورة أكبر مع استقرار الإنسان واشتغاله بالزراعة ،حيث الإحتفالات الموسمية ببذر البذور والحصاد وعصر العنب وصناعة النبيذ ، كما يحتفلون بنجاحهم فى عملهم ، وكانوا يعيدون تمثيل ما كانوا يقومون به من جهد وبانتصارهم على الطبيعة ، والأصل هنا عرض للواقع والتعبير عنه بالرؤية عن طريق الإنسان والأشياء ، إنه نقل فكرة . وهكذا فقد جاء المسرح كظاهرة ليعبر عن حادثة معينة فى موسم معين إحياء لهذه الحادثة ، وإعطاء هذه الحادثة صفة الحداثة ، وهذا يوافق تماما عقلية الإنسان البدائى ، وهى عقلية سحرية تؤمن بأن تقليد الشئ يوجده ، وتلك العقلية السحرية لاتزال موجودة فى أعماق الكثيرين ، وما نراه من قيام البعض بقص ورقة عى شكل (عروسة) والقيام بوخزها بإبرة أو دبوس مع تحديد أسماء من نخشاهم من الحسد ، ثم نقوم بحرق العروسة الورقية إعتقادا منا أننا قد أحضرنا الشخص الحاسد أمامنا وأننا قد أحرقناه فعلا - وإن لم نكن قد أحرقنا جسده والعين التى حسدت- ونجونا من شره .

★ المسرح الفرعونى اسبق ★

والمسرح الفرعونى ، وهو أقدم من المسرح الإغريقى شهد هذا المولد ، وأبرز ما كان يعرض فى تلك الحقبة مسرحية (إيزيس وأوزوريس) عن قصة الصراع بين أوزوريس وأخيه ست ، وأوزوريس هو إله الزرع والخصب والنماء وملك الحياة والموت ، وقد ولد كثمرة لتزاوج السماء والأرض ، وعند هبوطه الى الأرض علّم هو وزوجته وأخته إيزيس علّم الناس الزراعة ، وسن

---

(٣٢) المصدر السابق .

(٣٣) المصدر السابق .

القوانين وأقام العدل ، لكن أخاه ست الذى أراد الإستيلاء على مملكته ، إحتال عليه ووضعه فى تابوت والقى به فى النيل ، لكن أيزيس إستطاعت العثور على التابوت وأخرجت جثة أوزوريس، لكن «ست» يستولى على جسده من جديد ويقطعه أربعة عشر قطعة ، ويلقى بكل قطعة فى ناحية من نواحى مصر ، لكن أيزيس تنجح فى جمع الأجزاء مرة أخرى وتعيده الى الحياة ليصبح ملك العالم السفلى ، « وأصبحت هذه التمثيلية عند الفراعنة جزءا من احتفال يستمر ثمانية عشر يوما ويبدأ بإحتفال يمثل الحرث والحصاد وهو رمز الإله أوزوريس ، ولتكمله الأثر السحرى لهذه الشعائر ، كان المصريون يصنعون تماثيل للآلهة ويدفنوها مع بعض القمح حتى إذا نمت البذور التى كانت ترمز الى عودة الآلهة الى الحيـاة مما يبعث الخصب فى النبات ويسبب الإسراع فى نموه » (٣٤) .

والقصة أو المسرحية كانت تمثّل كما رأينا لتجديد حياة أوزوريس ، وفى المجتمعات الأقدم، كانت الزعامة تتجدد مثلما تجدد الطبيعة نفسها ، فالزعيم هو الأقوى عقلا وجسدا وفكرا ، وإذا لم يحتفظ بهذه المقومات تم عزله أو قتله ، وهذا ما يحدث فى عالم الحيوان ، فالزعامة فى مجتمع الغزلان هى للأقوى ، وكذلك فى مجتمع القردة ، فقد يظهر غزال شاب أو قرد شاب يهزم الاكبر ويعزله أو يقتله ويصبح هو الزعيم ويتزوج جميع الاناث ، فإذا جاء المسرح وجسد ذلك ، فهو احياء للأحداث وتأكيد وتجريد لها ونقل تلك الأفكار لسائر أفراد المجتمع .

★ من الكلاسيكيات الإغريقية إلى العصر الحديث ★

ومع ذلك فإن البداية الحقيقية للمسرح كانت فى بلاد الاغريق ، وجاء أرسطو ليستنبط قواعد المسرح ويقننها ، وهو صاحب ابسط وأدق تعريف للمسرح : « المسرح هو القصة الممسرحة ذات الهدف » وانطلاقا من هذا التعريف الاقدم لفن المسرح وبالرغم من التحولات العديدة والنظريات المختلفة التى تناولت فن المسرح منذ عهد أرسطو ، فإن ما يعنينا هنا هو دور المسرح كأحد وسائل الاتصال بالجماهير ، كوسيط ايجابى فى نقل الافكار ، حيث يوجد رسالة ومرسل ومستقبل ووسيلة وردود فعل ، لقد مرت الدراما أو فن المسرح بمراحل عديدة بدءا من الكلاسيكيات الاغريقية القديمة الى عصر النهضة والعصر الكلاسيكى الذى جعل قواعد أرسطو هى الاساس مضافا اليها روح العصر وفلسفته الاجتماعية ، ثم الرومانسية التى نبذت الاشكال المسرحية القديمة ثم الواقعية التى تربع على قمتها الكاتب النرويجى «ابسن» الذى اعتبرت

---

(٣٤) سمير سرحان (د) دراسات فى الأدب المسرحى . مكتبة غريب . ١٩٧٩ - القاهرة .

مسرحيته ، « أعمدة المجتمع » (١٨٧٥) بداية الدراما الحديثة ، ثم تلاها مسرحية « بيت الدمية » التى تحكى قصة زوجة كان زوجها يعتبرها مجرد دمية لاشخصية لها ، لكنها تمردت وتركت بيت الزوجية فى مظاهرة إحتجاج ، وصفقت الباب خلفها عند نهاية المسرحية ، وقد اعتبر صفق الباب فى نهاية المسرحية إيذانا بتغيير جذرى فى المجتمع الذى هزه الحدث .

نورا : والآن إنتهى كل شئ . المفاتيح هنا ، والخدم يعرفون شئون البيت خيرا منى ، سأرسل كريستين غدا لتحزم مايخصنى من الأمتعة التى جئت بها يوم زواجى وترسلها الى بيتنا .

هيلمر (الزوج) : إنتهى كل شئ ، إنتهى كل شئ ! ألن تفكرى فى هذا اليوم يانورا ؟

نورا : بل سيتجه فكرى معظم الوقت إليك والى الأطفال والى هذا البيت .

هيملر : أيمكننى أن أكتب إليك يا نورا ؟

نورا : لا .. أبدا .. لاتفعل ذلك ابدا .

هيملر : إسمحى لى على الأقل أن أرسل إليك ..

نورا : لاشئ .. لا شئ ..

ويستمر الحوار إلى أن تغادر نورا البيت ويتهالك هيلمر على أحد المقاعد بالقرب من الباب ويدفن رأسه بين راحتيه :

هيملر : نورا .. نورا .. (ينظر حوله ثم ينهض واقفا) فراغ ... ذهبت (يومض فى ذهنه بريق أمل) آه .. معجزة المعجزات .

(يسمع صوت الباب الخارجى وهى يصفق) (٣٥)

لقد أوردنا ذلك المثال الواضح لا لأننا نتناول تاريخ المسرح ، فليس ذلك من أهداف الدراسة، بل لأننا نتناول المسرح كوسيلة من وسائل الاتصال بالجماهير ، كوسيلة من وسائل نقل الأفكار وتحريك الجماهير ، وتحريضهم ، كوسيلة من وسائل تغيير المجتمع وخلق رأى عام إزاء القضايا التى تهم تلك الجماهير .

★ الطابع الاتصالى للاشكال المسرحية ★

ولعل مايوضح ايضا هذه الفكرة التى تمثل محور إعتبار المسرح وسيلة فعالة من وسائل الإتصال بالجماهير ، ظهور العديد من الأشكال المسرحية التى تحمل الطابع الاتصالى كأوضح

---

(٣٥) هنريك ابسن - مسرحية بيت الدمية - ترجمة كامل يوسف - مكتبة الفنون الدرامية - عبد الحليم البشلاوى - مكتبة مصر - دار مصر للطباعة - ١٩٧٩ ، القاهرة .

مايكون ، ومن أبرز تلك الأشكال مايلى :-

١- المسرح التسجيلى أو الوثائقى Documentary Theatre .

والمسرحية هنا تلتزم بوقائع التاريخ لكن بصورة مختزلة معتمدة على ما يتوفر من وثائق وملفات تحقيقات وأفلام وشرائح وتقدم كوثيقة من وثائق التاريخ .

٢- مسرحية الدعاية Propaganda Theatre.

وهى المسرحية التى تقدم دعاية لفكرة أو رأى معين أو شخص معين وهى مسرحية سياسية فى أغلب الأحوال .

٣- مسرحية الدعوة Thesise Play.

وهى المسرحية التى تدعو لفكرة معينة يؤمن بها كاتبها وهى قريبة الشبه بمسرحية الدعاية.

٤- مسرحية الدعوة الى التمرد Agit-Prop.

وهى المسرحية التى تدعو الى التمرد والثورة الاجتماعية والمصطلح مشتق من كلمةagitation بمعنى إثارة و propaganda بمعنى دعاية.

٥- المسرحية الأخلاقية Morality Play.

وهى مسرحية تعرض صراعا بين الخير والشر فى شكل درامى تعليمى بالإضافة إلى أهداف سياسية ودينية أخرى .

٦- المسرح المجتمعى Community Theatre.

مسرحية تقدم غالبا فى مجتمع صغير بقصد الترفيه والتعليم والتثقيف .

٧- المسرح التعليمى Educational Theatre.

ويقدم مسرحيات مدرسية تهدف الى الترفيه والتثقيف والتعليم .

وهكذا نجد أيضا الدراما الدينية Sacres Drama أو Religion Dramaو دراما الأفكار Drama of ideas، إنها جميعا أشكال مسرحية ذات خصوصية إتصالية تعمل على نقل الأفكار والآراء بصفة أساسية [٣٦] .

---

(٣٦) المرجع الأساسى لتحديد وتعريف المسرحيات : معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية - د. إبراهيم حمادة - دار الشعب ١٩٧١ ،القاهرة .

★ بين المذاهب الاجتماعية والمذاهب المسرحية ★

والمسرح كظاهرة اتصالية ، ومن خلال تطوره ، يمثل تطور المجتمعات ذاتها ، وهكذا انبثقت المذاهب المسرحية المختلفة ، الكلاسيكية ، ثم الرومانسية التى جاءت ثورة على الكلاسيكية التى إنبثقت من الكلاسيكية الاغريقية والرومانية والمتصفة بالإتزان وعدم الاسراف العاطفى بينما الرومانسية تميزت بالاسراف العاطفى والتمرد على كل منطق مما أدى الى الميلودراما ، وهى المسرحية العنيفة المليئة بالشطط والأحداث التى لا تخضع لمنطق ، وعندما كان المجتمع ينقسم إلى طبقتين ، طبقة الاثرياء ، وطبقة العامة الفقراء ، كان المسرح فى خدمة الطبقة الأقوى ، وإن ظلت الكوميديا تعالج مشاكل الشعب منذ عهد اليونان ، لكن الفن المسرحى أخذ يتطور من حيث المضمون مع ما صاحب المجتمع من تطورات ، ففى القرن الثامن عشر ظهرت طبقة الموظفين وأصحاب المهن الحرة والتجار والصناع المستقلين بورشهم أى غير الأجراء ، وهم جميعا من سكان المدن ، وهذا يفسر إطلاق كلمة البرجوازيةBourgeois على تلك الطبقة الوسطى وهى مشتقة من كلمة بورجBourg الألمانية ومعناها مدينة « وأكثر استخدامات هذا المصطلح شيوعا تلك التى تشير الى طبقات التجاريين أو الطبقات الوسطى فى المجتمعات المختلفة وذلك باعتبار أن أهمية هذه الطبقات تختلف باختلاف السياق الذى تظهر فيه ، وقد أعطت النظرية الماركسية لهذا المصطلح معنى جديدا حين اعتبرت المجتمع البورجوازى الجديد يمثل نموا وتطورا من الحالة التى كان عليها المجتمع الاقطاعى [٣٧]».

وهذه الطبقة البرجوازية هى التى أخذت تقوى وأدت الى قيام الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ ، ومع ظهور هذه الطبقة ظهرت الدراما البرجوازية ، فإذا كانت الدراما تعبر عن النبلاء والكوميديا عن العامة ، كانت الدراما البرجوازية معبرة عن تلك الطبقة الجديدة ، وقد دعا اليها الفيلسوف « ديدرو» .

★ الواقعية الغربية المتشائمة ★

وبعد سقوط طبقة النبلاء والاقطاعيين ، احتلت الطبقة البرجوازية مكانها ، وتغير تقسيم المجتمع إلى طبقة برجوازية رأسمالية ثم طبقة وسطى جديدة ، ثم طبقة العامة ، وكان لابد من ظهور الفلسفة الاشتراكية الحديثة التى تسعى الى رد السلطة والسيطرة الاجتماعية إلى الشعب أو طبقة العامة التى تمثل أغلب المواطنين ، ولهذا ظهر فن مسرحى جديد ، ومذاهب مسرحية

---

(٣٧) دكتور عاطف غيث - قاموس علم الاجتماع أنظر Boureois - الهيئة العربية العامة للكتاب ١٩٧٩ - مرجع سابق .

جديدة ، فقد ظهرت الواقعية ، وكان لابد أن تتميز صورتان من صور الواقعية ، الواقعية الغربية المتشائمة التى تؤمن بأن الانسان شرير بطبعه طبقا لفلسفة الفيلسوف الإنجليزى تومـــاس هـــوبز Hobbes الذى يقول : « إن الانسان ذئب ضار على أخيه الانسان » . فالواقعيون الذين يؤمنون بأن الانسان ليس لديه أى نزعة للخير ، والخير الذى يظهر إنما هو بمثابة قناع يخفى ما بداخله من شر ، ولعل التعبير السائد عن الشخص بأنه شخص واقعى بمعنى أنه ليس مثاليا ، وليس خيرا ، إنما يأخذ الأمور على حقيقتها كَشر ، وإذا كانت الواقعية الغربية المتشائمة تأخذ جانب النقد ، أى إذا أصبحت واقعية نقدية تبحث عما فى المجتمع والنفس البشرية من شرور وآثام، فإنها تحث بطريق غير مباشر على الثورة ضدها وتدعو إلى تغييرها ، ولهذا كانت الواقعية النقدية سابقة دوما على الثورة ضدها وتدعو إلى تغييرها ، ولهذا كانت الواقعية النقدية سابقة دوما على الثورات ، ولهذايطلق عليها الواقعية النقدية الثورية .

★ واقعية البناء ★

أما الواقعية الاشتراكية أو واقعية البناء ، فهى على عكس الواقعية الغربية المتشائمة ، فهى متفائلة تؤمن بأن الانسان فيه من الخير ما يطغى على كل نوازع الشر فى نفسه ، وأنه ليس هناك فوارق طبيعية بين الطبقات الاجتماعية المختلفة ، وإنما هى ظروف قاهرة هى التى تقسم المجتمع الى طبقات ، ولعل من المناسب أن نقدم نموذجا لكاتب مسرحى اشتراكى غربى هو «برنارد شو » الذى استوحى اسطورة « بيجماليون » الاغريقية فى عمل مسرحى ، فقد جعل شخصية « بيجماليون » شخصية من الطبقة الارستقراطية في لندن ولم يجعله مثالا مثلما هو الحال فى الأسطورة الاغريقية ، وفى مسرحية توفيق الحكيم التى تناول فيها شخصية "بيجماليون" ، و"بيجماليون " الارستقراطى في مسرحية برنارد شو الاشتراكي اخذ فتاة من طبقة العامة هي بائعة زهور واستطاع ان يعلمها وان يدربها ويخلق منها فتاة صالونات ارستقراطية الملبس والمأكل والمشرب واللهجة والثقافة ، وبعد ان اكمل عمله اعجب بها واراد ان يتزوجها لكن الفتاة رفضت الزواج منه وهو الارستقراطى المرفه وفضلت عليه سائق تاكسى .

★ اهم اشكال المسرح المعاصر ★

ولعل من ابرز مميزات الدراما الحديثة هو طابعها الاجتماعى ويمكننا ان نتجاوز مذاهب مسرحية عديدة مثل الطبيعية والرمزية والسريالية وغيرها لنقف امام انواع محددة من اشكال المسرح المعاصر فى عدد من بلدان العالم ، شرقا وغربا ، فى المجتمعات الاكثر تقدما ،

والمجتمعات الاكثر تخلفا سواء بسواء طالما اننا نبحث عن الدور الطليعى للمسرح كوسيلة من وسائل الاتصال بالجماهير .

★ **المسرح الملحمى** Epic Theatre ★

وينسب هذا المسرح الى الاديب والشاعر الالمانى بريوتولد بريخت الذى ثار على النازية الهتلرية " وبدلا من المسرح الدرامى او المسرح القديم كما يسميه بريخت«نراه يتصور مسرحا يكون فيه المتفرج جزءا فعالا ، ولكن لكى يتحقق هذا لابد من تغيير جذرى فى مفهوم الدراما ومفهوم الاخراج المسرحى واركان هذا التغيير فى رأى بريخت ثلاثة هى التاريخ والتغريب والملحمية [٣٨]

وهو يسميه مسرحا ملحميا EPic لانه اقرب الى القتال ، فالكاتب يتخذه سيلة لاستصدار الحكم من الجماهير على قضية من القضايا - مثلما نفعل ذلك كثيرا فى وسائل الاتصال بالجماهير- فهو يقدم حيثيات لحكم يريد ان يستصدره من الجماهير ، فهو يقدم عملا اشبه بالملحمة التى تتألف من مشاهد حوارية ومن سرد يقوم به الراوى«ويؤمن بريخت انه لو أتيح للمتفرجين ان يشاهدوا ما يبدو على خشبة المسرح بحس نقدى ، فلا شك انهم سيصلون الى نتائج محددة تكشف لهم عن انفسهم وعن المجتمع ، وبالتالى تدعوهم الى اتخاذ خطوات نحو التغيير »[٣٩]

وقد تاثر كتاب عديدون بمسرح بريخت الملحمى«الذى يبرز فى المجتمع الغربى بصفة اساسية وقد نبع منه لون آخر عرف فى الولايات المتحدة باسم « الجريدة اليومية الحية » ويقدم ما يشبه بالجريدة اليومية على خشبة المسرح ولو انه فى الواقع كان اقرب الى « الفيلم التسجيلى[٤٠] بل هو اقرب الى البرامج الوثائقية Decumentary التى تقدم من خلال التليفزيون والراديو كما نراه كلون من الوان الريبورتاج او التحقيق الصحفى .

★ **المسرح الحى** The Living Theatre ★

ان دور المسرح كوسيلة فعالة فى الاتصال بالجماهير من اجل نقل الافكار وخلق الرأى العام واحداث التغيير يبدو اكثر وضوحا فى المجتمعات التى يتزايد فيها احساس الانسان بالقهر والخوف من المستقبل ، ويشعر بثقل ضغوط المجتمع الرأسمالى على القاعدة العريضة من ابناء

---

(٣٨)الدكتور رشاد رشدى - نظرية الدراما من ارسطو الى الآن - دار العودة - بيروت- الطبعة الثانية ١٩٧٥.

(٣٩) المرجع السابق

(٤٠) المرجع السابق

الشعب ، وحيث يعيش ملايين المقهورين ، ففى الولايات المتحدة الدولة الاعظم من بين دول الرأسمالية يعيش ملايين الزنوج يعانون من التفرقة العنصرية بالاضافة الى ملايين الامريكيين المكسيكيين والآسيويين والبورتيريكيين والعرب ، ويكفى ان نقول ان الزنوج الامريكيين وهم يمثلون اكثر من ١١٪ من مجموع سكان الولايات المتحدة الامريكية مازالوا يعانون من التفرقة العنصرية فى مختلف المجالات .

★ الشباب ومسرحهم الناهض ★

وقد نشا من هذا الاحساس بالقهر وفقدان الثقة فى عالم التكنولوجيا المعاصر المعقد عدة اتجاهات مسرحية نابعة مباشرة من حركة الشباب يمكن ان نطلق عليها جميعا اصطلاح المسرح الناهض او مسرح المقاومة » والسمة الرئيسية التى تشترك فيها تلك الاتجاهات المسرحية المعاصرة فى العالم الغربى هى المقاومة مقاومة النظام الرأسمالى العسكرى والقيم البرجوازية والتكنولوجيا التى افقدت الانسان براءته [٤١]

★ المسرح السرى وكتاب الوجدان الجديد★

ومن ابرز تلك الاتجاهات المسرحية الى جانب ما يطلق عليه « المسرح الحى» ، هناك المسرح السرىء وقد قامت معظم هذه التطورات الثورية على اكتاف المثقفين الثائرين على النظام الامريكى الذى القى بالشباب فى أتون الحرب الفيتنامية فى مناطق بعيدة عن الوطن ، وقد انتشر المسرح السرى الامريكى فى ولايات عديدة لكنه برز بصفة اساسية فى كل من نيويورك وسان فرانسيسكو ، وقد اصدرت دار « بانتام » مجموعة من هذه المسرحيات فى مايو سنة ١٩٦٨ بعنوان المسرح السرى - مسرحيات لكتاب الوجدان الجديد . ولم تكن تلك المسرحيات تقدم على خشبة المسرح التقليدى بل كانت تقدم فى الهواء الطلق وفى حظائر السيارات القديمة والمبانى والكنائس المهجورة .

★ مسرح الجنوب الحر ★

والى جانب المسرح السرى برز « مسرح الجنوب الحر » فى مدينة نيو اورليانز فى الجنوب الامريكى حيث الكثافة السكانية السوداء وهذا المسرح صدى مباشر لحركة الحقوق المدنية،وهو مسرح سياسى جوال يتنقل بين القرى والمدن الصغيرة ، وهو لا يعتبر مسرحا زنجيا ، فهو لايقوم على اساس عرقى ، ويجمع بين الزنوج والبيض ويخاطب الاثنين معا .

---

(٤١) سمير سرحان - المسرح المعاصر مطبوعات الجديد - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ ، القاهرة .

★ مسرح الشارع ايضا ★

والمسرح الحى ابتكر ايضا اساليب مسرحية جديدة حيث اختلاط الممثلين بالمشاهدين،كما برز المسرح السياسى ممثلا فى مسرح الشارع بصفة خاصة وهو نتيجة مباشرة لثورة الشباب ضد المؤسسات الامريكية المتعطشة للدماء من اجل استمرار مكاسبها الرأسمالية،مهما تسبب ذلك فى معاناة الشباب الامريكى وأبناء الشعوب التى تقع ضحية للعدوان الامريكى . ولعل البداية الحقيقية تتمثل فى الفترة التى اعقبت اندحار المكارثية فى عامى ١٩٦٧ و ١٩٦٨ وعودة نشاط اليسار الامريكى « وتتناول الاعمال المختارة فى مسرح الشارع بوجه عام الاشكال الرئيسية للقهر والصراع فى المجتمع الرأسمالى المتقدم ، ومع ذلك فان الفِرَق والجماعات فى هذا المسرح تتبنى وجهات نظر شديدة التباين فى معالجة هذه القضايا ، إنها تقدم نقدا يتراوح بين اللوم والنواح الأخلاقى،وبين التحليل المتعمق والمفصل والمحبوك دراميا فى الوقت ذأته،للأسباب والديناميات الأساسية للقهر،الى جانب طموح استيراتيجيات عامة لمواجهته والتغلب عليه »(٤٢)

★ بين الاوتشرك والواقعية النقدية المتفائلة ★

يعتبر الاستاذ الدكتور محمد مندور اول من تحدث عن فن الأوتشرك فى عالمنا العربى ، وهى كلمة روسية معناها (الدراسة)،والمسرحيات من هذا النوع عبارة عن دراسة لمشكلة من مشاكل الحياة المعاصرة وكانها ريبوتاج أو تحقيق درامى أو تسجيلى ، وقد اعتبر الاستاذ الدكتور محمد مندور مسرحيتى نعمان عاشور « الناس اللى تحت » « و الناس اللى فوق » من نوع الأوتشرك،فالموضوع الذى عرضته المسرحيتان هو ما أحدثته ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى المجتمع المصرى من تغييرات . وقد قدم نعمان عاشور موضوعه كدراسة اجتماعية فى صورة درامية ، وقد أصبح مصطلح « الأوتشرك » إصطلاحات نقديا يطلق على هذا النوع من المسرحيات فى كافة اللغات لصعوبة ترجمته ، وأول من وضع اللبنات الأولى لهذا الشكل الدرامى الكاتب الروسى أنطون تشيكوف وبلوره بعد ذلك الكاتب الروسى جوركى ، والحديث عن الأوتشرك يعود بنا إلى الحديث عن الواقعية النقدية الغربية المتشائمة ، التى تعتبر الانسان شريرا بطبعه،وتقول أن الأنسان وأن كانت تؤثر فيه غريزة حب البقاء والمحافظة على الذات مما يجعله يتسم بالأثرة والأنانية،إلا أن غريزة المحافظة على النوع هى الأقوى مما يجعله يتسم بالإيثار ، وقد جاء ، فى القرآن الكريم قوله سبحانه وتعالى فى سورة الحشر « والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم

---

(٤٢) هنريك ليسنك - مسرح الشارع فى امريكا - ترجمة عبد السلام رضوان - دار الفكر المعاصر ١٩٧٩ ،القاهرة.

يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه ، فأولئك هم المفلحون » .

كما أن القرآن الكريم قد أوصى الانسان بوالديه فى مناسبات عديدة ، لكنه لم يوصى الآباء بأبنائهم باعتبار أن تلك غريزة قد طبعها الله سبحانه وتعالى فى ذات الانسان من أجل الحفاظ على النوع وبقاء النوع وامتداد حياة الانسان من خلال أبنائه .

★ الفن سلاح ★

وكان الفن فى الاتحاد السوفيتى السابق سلاحاً ، وكان هذا هو شعار جميع العاملين فى مختلف أشكال الفن ، وقد استخدم ولا يزال يستخدم فى الدول الاشتراكية من أجل ترسيخ القيم، والوقوف فى وجه الظلم الاجتماعى،ومن أجل تأكيد حب الوطن وروح العمل ومحاربة نظام الطبقات ، ومع ذلك فهو مسرح دعائى ، صحيح أنه يؤدى خدمة سياسية لكنه فى نفس الوقت يعمل أيضا كوسيلة للترفيه وبلغ حدا لا نظير له من الروعة والانتشار ، وكان هناك مئات المسارح فى الاتحاد السوفيتى السابق،وكانت الفرق المسرحية الكبيرة العاملة فى موسكو تطوف مختلف الأقاليم والجمهوريات السوفيتية كما كانت فرق الأقاليم والجمهوريات تقدم مسرحياتها على مسارح موسكو ولينينجراد (سان بطرسبرج الآن) : ويكفى أن يقول ألمر رايس "Elmer Rice"(*)، إن الاعتقاد السائد بين الأمريكيين بأن هذا المسرح لا يستخدم الا كأداة لنشر الدعاية الشيوعية اعتقاد خاطئ ومضلل،ويتجاهل هذا الاعتقاد السمات الهامة المعقدة للنواحى التاريخية والاجتماعية والثقافية والفنية التى تجعل المسرح السوفيتى « السابق » خلابا وهاما » . (٤٣)

إن موسكو وحدها بها أكثر من ثلاثين مسرحا يقدم كل منها كل ليلة عرضا مسرحيا جديدا ، وعروضا مختلفة من مسرحيات وأوبرات وباليه من تراثهم المسرحى القديم والحديث أيضا ، بل ومن الابداع الأجنبى فى نفس الوقت ، لكنهم كانوا يمتازون بالقدرة الخارقة على اخضاع الأعمال الأجنبية لرؤيتهم الخاصة طبقا للواقعية الإشتراكية النقدية المتفائلة،والى كل مايخدم

(*) المر رايس Rice أحد أشهر كتاب المسرح الأمريكيين وهو أديب وناقد وقصاص له خمس قصص طويلة وست وعشرون مسرحية وعمل مديرا لمشروع المسرح الفيدرالى فى نيويورك كما عمل محاضرا فى كلية الدراسات العليا بكلية الآداب بجامعة نيويورك وجامعة متشبى وكلية المسرح بجامعة ييل .

(٤٣) المررايس – المسرح الحى – ترجمة الدكتور داوود حلمى السيد . مؤسسة فرانكلين،دار نهضة مصر – القاهرة ١٩٦٥

الايدلوجية الاشتراكية ، ولهم فى ذلك تجارب متميزة ، كما هو الحال عندما قدموا مسرحية هاملت، لشكسبير فى السينما وفى المسرح ، وقد قدموا مسرحية هاملت بتفسير ماركسى للمسرحية ، اذ جعلوا الأساس الذى تدور حوله المسرحية لا الرغبة فى الانتقام ، وتردد هاملت فى الأخذ بثأر أبيه الذى قتله عمه وتزوج أمه وتربع على العرش ، إنما جعلوا الأساس هو مجرد الصراع على السلطة بين الأبن هاملت وعمه « لكفيوس » فعندما يصيح هاملت بمقولته الشهيرة هل أكون أم لا أكون To be or not to be جعلوه يضع على رأسه تاجا من الورق لكى تؤكد المسرحية أنه يبحث عن السلطة ، كما أنهم أظهروه فى مشهد آخر وقد ارتدى سروالا ضيقا فاقد الأبهة والفخامة الملكية لكى يبدو انسانا لاقيمة له ، بعد أن خلع عنه ملابسه الملكية الفاخرة ، أما أوفيليا حبيبته الرقيقة التى أصيبت بالجنون وماتت منتحرة فقد أظهرتها المسرحية الروسية كسكيرة مدمنة للخمر .

★ المسرح الشعبى ★

كما يمكن رصد نهضة المسرح الشعبى People's Theatre أو مسرح السوق،فى اطارات مسرحية شديدة التنوع ، تتراوح بين الأوبرا إلى الفودفيل ، وبين رقص الباليه على الحلبة ، الى المسرح التجريبىExperimental Theatre فى الجامعات ، ومن المهرجانات الرياضية والألعاب الأوليمبية الى المسرح السياسى الصريح ، وفى موسكو كان مسرح « تياترنا تاجانكا » الذى يديره « ليو بيهوف » يسعى إلى التوليف فى كل ما يخرجه من مسرحيات بين التقاليد الشعبية كالاحتفال بالأعياد والكرنفالات التى يستعير فيها ليو بيهوف روح الارتجال دون جو البذخ ، اذ أنه ينهج نهجا يتسم بالبساطة الشديدة وبين المسرح النفسى الملتزم الذى يقصد الى التهذيب (٤٤)

وفى نفس الوقت يلاحظ خروج متعمد على التقاليد المعمارية للمسرح ، فهناك من المسارح ما يعتمد عى منصات التمثيل التى توضع فى منتصف القاعة ، وهكذا تغير دور المشاهدين إذ جعلهم يشتركون بإيجابية فى موضوع المسرحية ، ويشبِّه (المر رايس) هذه المنصات بمنصات الحلبة التجريبية التى شهدتها الولايات المتحدة الامريكية فى المسرح .

★ مسارح التنشيط الذاتى ★

« وفى نفس الوقت خرجت من التجمعات العمالية والطلابية مجموعات مسرحية تعليمية

---

(٤٤) مسرح على قارعة الطريق - دراسة بقلم نيللى كور نيينكو الأخصائية السوفيتية فى الفندقة المسرحية وسوسيولوجيا الثقافة - رسالة اليونسكو العدد ٢٦٣ ابريل ١٩٨٣ .

ودعائية تحت اسم مسارح التنشيط الذاتى Theatre Auto Active و هى مسارح تنتج أدبا وعرضا من اجتهادات هذه المجموعات ، وهى فى النهاية نوع من مسرح التأليف الجماعى وتتلخص وظيفتها فى انتاج فن نابع من فكر الثورة . » (٤٥)

وهكذا اثبت المسرح السوفيتى قدرته على خدمة ايدولوجية المجتمع الجديد ، انطلاقا من الواقعية النقدية الاشتراكية المتفائلة ، ومعالجة هموم الانسان ، وفتح أبواب الأمل أمامه ، والتأكيد على انسانية ونوازع الخير الكامنة فى ذاته ، مسرح يجمع بين الأيدولوجية والمتعة ، ولأنهم هناك كانوا يدركون أهمية المسرح لا كمجرد سلاح فى قلعة الدعاية بل كوسيلة لها أثرها الفعال فى النفوس فى توصيل الثقافة للجماهير » (٤٦)

وهذا هو الدور الاساسى فى إطـار حديثـنا عن المسرح كوسيلة من وسائل الإتصال بالجماهير .

★ المسرح الثالث ★

يطلق مصطلح المسرح الثالث على مسرح العالم الثالث تمييزا له عن مسارح الدول الغنية والاكثر تقدما فى الغرب والشرق معا ، وقد ظهر المصطلح اثناء انعقاد مهرجان بلغراد المسرحى الدولى العاشرBITEF الذى عقد فى العاصمة اليوغسلافية سابقا سنة ١٩٧٦ وعرف بمهرجان مسرح الأمم ، وقد بدأت الأعمال الأولى لهذا المهرجان فى سبتمبر ١٩٦٧ وبرز اتجاهه منذ البداية تحت شعار « تجارب مسرحية جديدة » فى فترة بدأ يخلق فيها مسرح جديد وفرق مسرحية جديدة غير نظامية وغير رسمية وأماكن عرض غير تقليدية كالشارع وحظائر السيارات والأسواق والمقاهى والملاعب ، وعن الحقبة التى عقد فيها المهرجان يقول الناقد المسرحى اليوغسلافى (يوفان تشيريولوف) الذى عمل مديرا فنيا لمهرجان بلغراد المسرحى الدولى عند انشائه سنة ١٩٦٧ :-

- « كانت حقبة التزام سياسى تتطلب مسرحا على صورتها ، مسرح احتجاج ، مسرحا مناهضا للمسرح الأدبى ، مسرحا يؤثر الحركة على الكلمة ، وكانت أيضا حقبة بدأت تستعيد فيها الحياة نظريات طليعية كانت قد ظهرت فى فترة ما بين الحربين مثل (مسرح الضراوة) و

---

(٤٥) سعد أردش - المخرج فى المسرح المعاصر سلسلة عالم المعرفة - الكويت يوليو ١٩٧٩ .

(٤٦) المسرح الحى - مرجع سابق

(المذهب التعبيرى) وبرزت فيها الى النور نزعات جديدة مثل (مسرح المغاوير) و (مسرح الأحداث والحركة) و (مسرح الفقر) و (مسرح الرعب). (٤٧)

★ مسرح أصحاب القضايا الملحة ★

إن ما ينبغى مناقشته طبقا لخطة هذه الدراسة ونحن نتحدث عن المسرح ودوره كشكل من أشكال الاتصال بالجماهير ، ليس هو المسرح التقليدى ، وليس هو أيضا الصيحات المسرحية الجديدة المتتابعة،مثلما هو الحال مع مسرح العبث أو اللامعقول أو اللامسرح،مهما كانت أهمية القضايا التى يمكن أن تناقش من خلال المسرح التقليدى أو من خلال الصيحات الجديدة وتلك التى تغرقنا فى مناقشة أمور فلسفية،أو تتناول موضوعات مثل اغتراب الانسان وحقائق الوجود أو عبثية الحياة ، إن ما ينبغى مناقشته هو مسرح العالم الثالث بصفة خاصة والذى تتضح فيه العملية الاتصالية التى يتركز دورها فى تحقيق التنوير والتعليم والتحريض ثم تحقيق الفعل والتغيير ، إنه مسرح أصحاب القضايا الملحة فى دول العالم الثالث ، عالم الفقراء والمقهورين .

وقد تم اختيار أربعة نماذج تنتمى الى مسرح العالم الثالث هى :-

١- مسرح الأقليات العرقية فى الولايات المتحدة الأمريكية على ما فى ذلك من تجاوز حيث أنه،مسرح قائم فى إحدى الدول الاكثر ثراء وتقدما .

٢- المسرح الأفريقى

٣- مسرح أمريكا اللاتينية

٤- المسرح العربى

أولا : مسرح الأقليات العرقية فى الولايات المتحدة الأمريكية :

لقد آثرت أن أُدخل مسرحيات الأقليات العرقية الأمريكية فى الولايات المتحدة والمسرح الأسود أو مسرح الزنوج الأمريكيين فى اطار المسرح الثالث،نظرا لما يجمع بين تلك المسارح جميعا من مقومات وأفكار وقضايا مشتركة تربط تلك الأقليات بشعوب العالم الثالث ، صحيح أن الشباب الثائر فى الولايات المتحدة على ما يتصورونه ديمقراطية زائفة تنزع الى القهر فى الداخل وتتجه الى العدوان خارج الحدود فيما وراء البحار ، حيث تمارس الرأسمالية عمليات تزييف الديمقراطية ، وتكرس القهر فى الداخل والخارج . صحيح أن هؤلاء الشباب قد افرزوا نماذجا

---

(٤٧) مهرجان بلغراد المسرحى الدولى - دراسة بقلم يوفان تشيريلوف من رسالة اليونسكو العدد ٢٦٣ -ابريل ١٩٨٣

وأشكالا مسرحية عديدة سبقت الاشارة إليها ، نماذج تتصدى لهذا القهر والاستغلال فى المجتمع الرأسمالى المتقدم وكشفه ، لكن مايعنينا ونحن نتحدث عن المسرح الثالث هو مسرح الاقليات العرقية الأمريكية هناك .

لقد تبلور المسرح الأمريكى بصفة عامة واتسعت دائرة نشاطه بعد أن تجاوز قيود المسرح التقليدى ، وبدأ ظهور مدارس مسرحية عديدة ، وبدأ ظهور مسارح خاصة بالأقليات العرقية ، فقد أنشأ الأمريكيون الآسيويون فرقا مسرحية فى لوس أنجيلوس وسان فرانسيسكو ونيويورك ، كما فعل نفس الشئ الأمريكيون الأسبان والتشيكانو (*) وجميع الاقليات العرقية أصبحت تستخدم المسرح من أجل جلب الانتباه الى قضاياهم الملحة . ومناقشة قضايا التمييز العنصرى ومعاناتهم منها ، ودور الولايات المتحدة فيما وراء البحار وفى أمريكا الوسطى بصفة خاصة ، وهو ما تبنته فرقة سان فرانسيسكو الايمائية التى أنشئت عام ١٩٥٩ ومازالت تمارس نشاطها الى الآن .

★ المسرح الزنجى وعدالة القضية ★

والحديث عن المسرح الأسود أو مسرح الزنوج فى الولايات المتحدة الأمريكية له أهميته ، فهو يمثل ايجابيات الإيمان بعدالة القضية التى ينبغى الدفاع عنها ، والارادة الواعية ، والقدرة على العطاء . ومن أشهر فرق المسرح الأسود (فرقة نيويورك الزنجية) التى حققت نجاحا كبيرا على مدى أكثر من عشرين عاما ، وتعتبر تلك الفرقة مركزا لتدريب العاملين فى المسرح الأسود ، وقد عرضت إحدى مسرحياتها وهى (مسرحية جندىA Soldier's Play) لمؤلفها تشارلز فولد لأكثر من أربعة عشر شهرا ، وحصل عنها هذا المؤلف على جائزة (بوليتزر) وهى أرفع جائزة أمريكية تمنح فى مجال المسرح . وهناك أيضا (مسرح الحرية) فى فيلادلفيا ، ومسارح مماثلة فى كل من شيكاغو وسان فرانسيسكو وبلتيمور وأطلنطا ، ويكاد يكون لكل مدينة مسرح واحد على الاقل للكتاب الزنوج .

★ مسرح الجنوب الحر مرة اخرى ★

ويمثل (مسرح الجنوب الحر) أحد أعمدة ما أسميناه بالمسرح الثالث ، أنه « مثال رائع للدور الذى يمكن أن يؤديه المسرح السياسى فى حياة أى مجتمع ، وهو أيضا مثال على الفهم العميق لطبيعة الدراما ذاتها وقدرتها على التأثير ، وليس التأثير الفكرى فقط ، انما التأثير الفنى أيضا ، وقد اتخذ (مسرح الجنوب الحر) مدينة « نيو أورليانز » قلب الجنوب الأمريكى مقراً له ، وطاف

(*) التشيكانو هم الأمريكيون من أصل هندى وأسبانى .

أصحابه بمسرحياته حتى الآن أكثر من ثلاثين مدينة من مدن الجنوب على شواطئ المسيسبى، وقدموا (مسرحيات الغضب الزنجية) التى تعكس القدرة المكبوتة فى قلب كل زنجى أمريكى ورغبته فى التحرر ، وتعكس معاناته ومعاداته للعبودية المستترة فى بلده ، ومثلوا للزنوج فى كل مكان فى الجنوب ، رغم أن بعض هؤلاء الزنوج لم يكن قد عرف المسرح من قبل ، بل إن الكثيرين منهم الواقعين تحت ضغط الفقر المدقع والجهل واضطهاد الرجل الأبيض ، لم يكونوا يعرفون شكل خشبة المسرح ، ولكن سرعان ما تدفقوا من كل مكان فى الجنوب ليشهدوا مسرحيات (مسرح الجنوب الحر) فقد أحسوا أن هناك منبرا يعكس وجدانهم ومأساتهم وروحهم التواقة الى التحرر [٤٨]

ثانيا : المسرح الافريقى :

★ المسرح ليس تفردا اوربيا ★

إن وجود الظواهر المسرحية فى افريقيا السوداء جنوبى الصحراء [*] مثلما هو التعبير الشائع،ليؤكد حقيقة أن المسرح ليس تفردا أوربيا ، فجميع شعوب الدنيا مارست العمل المسرحى بصورة أو بأخرى ، وهذا مانعود لنؤكده دوما ، إذ ينبغى أن تتسع دائرة فهمنا للمسرح بعيدا عن النظرة المحدودة لمفهوم المسرح كمجرد مسرح أرسطى « ومنذ أن بدأ المسرح الاغريقى حوالى سنة ٤٩٠ قبل الميلاد حين مثلت اقدم مسرحية بقيت لنا وهى مسرحية « الضارعات » لاسخيلوس أمام نظارة من المواطنين الأثينيين » [٤٩] وقد مارس الأفارقة السود العمل المسرحى بل يمكن ارجاع أحد عظماء المسرح الرومانى هو (بابليوس تيرنس) ١٩٥ ق . م - ١٥٩ ق . م الى أصله الزنجى « فقد كان من سكان قرطاجة ، وغالب الظن أنه زنجى الأصل أحضر الى اوربا فى شبابه كرقيق ، وقد علمه سيده ، ويبدو أنه أصبح محسوبا لدائرة صغيرة من رجال الأدب وأنه قد كتب ملاهيه باعترافه لامتاع هذه الحلقة لا للحصول على تصفيق الجماهير » [٥٠] ونحن لا نقصد الزعم بأن (تيرنس) يمثل المسرح الأفريقى إنما نقصد التدليل على أن الانسان الافريقى مثله مثل غيره من أبناء الشعوب الاخرى ومنها الشعوب الأوربية ، قادر على العطاء ، قادر على ممارسة الفن المسرحى ابداعا فكريا وتمثيلا واخراجا ، كما أن أفريقيا السوداء عرفت الدراما الشعبية

---

(٤٨) سمير سرحان- المسرح المعاصر- مطبوعات الجديد - العدد التاسع عشر سبتمبر ١٩٧٣ - مرجع سابق.

(*) جنوب الصحراء الكبرى ، وبذلك تخرج الدول العربية المطلة على البحر المتوسط من الحديث عن المسرح الافريقى .

(٤٩) أ لارديس نيكول - المسرحية العالمية - الجزء الأول - ترجمة عثمان نوية -وزارة الثقافة - مكتبه الانجلو - الطبعة الأولى.

(٥٠) المرجع السابق .

الفولكلورية مثلما عرفت المسرح الدينى كطقوس وثنية ثم كمسرح دينى تمارسه الارساليات التبشرية فى الكنائس والأماكن المفتوحة .

بل وعرفت الدراما الأدبية ايضا من خلال الاحتكاك بالمستعمرين البيض ، ومع ذلك فالمسرح الأفريقى التقليدى يختلف عن نظيره الأوربى ، « فهو مسرح مجانى للعاملين فيه والمتفرجين عليه . الديكور فيه طبيعى يوحى بالثقة والبساطة والاطمئنان ، تلقى فيه حكمة الشيوخ لتكون أحكاما تنفذ الى ضمير الشباب ، وهو أيضا مسرح لايعرف البهرجة فى الأزياء ، فللأزياء فيه أهمية خاصة لأنها مرتبطة بالشعائر والأسلاف ، كما أنه مسرح لايعرف التعقيد فى الأحداث ، والبناء والصراع فيه ليس صراعا بين الآلهة والبشر كما فى المسرح الاغريقى القديم ، وليس صراعا بين العاطفة والواجب كما فى المسرح الأوربى بعد عصر النهضة ، ولكنه صراع بين القيمة والقيمة ، بين الواجب والواجب ، بين الواقع والمثال » . (٥١)

★ مسرح مشاركة وثورة تحررية ★

المسرح فى افريقيا السوداء اذن مسرح مشاركة ايجابية فعالة بين المتفرجين وبين الممثلين ، إن مسرح التفاعل المستمر بين الجانبين ، فيه الرسالة الاعلامية ثنائية الاتجاه ، وهو مسرح الأصالة حيث يعتمد على الأسطورة وحيث استخدام الاقنعة التى لكل قناع منها معنى خاصا ، ولكل منها دلالة خاصة ، وحيث استخدام الرقصات والموسيقى الافريقية والأزياء الافريقية ، واستخدام كل ذلك استخداما دراميا من أجل تحقيق وجود الانسان الافريقى فوق أرض أسلافه حرا له شخصيته الافريقية التى ينبغى أن يفخر بها ، وأن يعيش فى سلام ، وله الحق فى صنع حضارة سوداء جديدة ، فليس هناك ما يمنع من أن يتبوأ الرجل الأسود مكانة رفيعة من خلال حضارة زنجية تقوم شامخة بين الحضارات ، ولهذا فاننا نجد كتّاب المسرح الزنجى يتناولون دائما موضوع التحرير وأهمية الوقوف فى وجه التخلف والتبعية ، مع تثبيت القيم الأصيلة المتوارثة بحيث لا يخرج الأفريقى الأسود من جلده وإلا أصبح مسخا مشوها ، على ألا يتم أى من ذلك بعيدا عن مجالات التطور الصحيحة . ويكاد دارسو الدراما فى هذه الرقعة الواسعة فى أفريقيا جنوب الصحراء يجمعون على أن ثمة تيارين رئيسيين فى هذه الدراما وهما : التيار الشعبى والتيار الأدبى ، فالدراما الشعبية أو الفولكلورية تميل إلي إستخدام اللغات الأفريقية أو المهجنة (*) ومعالجة مواقف الحياة اليومية أو المعتقدات والقيم الاجتماعية السائدة فى أشكال فنية بدائية تقريبا ، على حين أن الدراما الأدبية تميل الى استخدام اللغات الأدبية (الانجليزية والفرنسية

---

(٥١) على شلش - الدراما الافريقية - كتابك ١٠٠ دار المعارف القاهرة ١٩٧٩ .

(*) اللغات المهجنة هى اللغات التى تنشأ بتأثير لغات المستعمرين ودخول مفردات لغاتهم فى اللغات المحلية مع تحويرها بحيث تخلق لغة جديدة مهجنة من لغتين أو أكثر .

والبرتغالية) ومعالجة موضوعات مستمدة من الحياة اليومية أو من الميثولوجيا في أشكال فنية متقدمة ، وبطريقة تكشف عن رؤية خاصة للكاتب [٥٢] وبعيدا عن الدراما الأدبية التى نستطيع رصدها فى عدد من الدول الأفريقية السوداء مثل نيجريا والسنغال ، فإن المسرح الافريقى تبدو فيه الرمزية أوضح ماتكون ، وهو فى أغلبه مسرح شفاهى غير مكتوب ويؤدئ فى الأماكن المفتوحة، وإن كانت بعض العروض تقدم فى المدارس والمقاهى ، « ومن الأشكال الدرامية فى هذا المسرح التقليدى ما يعرف بإسم (الانشاد) حيث تنشد جلائل أعمال الاسلاف ومآثرهم وما يمكن أن يسمى بالمناظرات الكلامية التى تدور عادة بين أثنين مثل حداد القرية وقصاصها،حيث يقوم الجمهور بدور الحَكَمْ وينال الفائز مكافأة من الخاسر . » [٥٣]

هذا واستخدام الاقنعة والموسيقى التقليدية والرقص والأزياء التقليدية فى الاحتفالات والاعياد الشعبية الأفريقية أمر شائع ، وتتجلى فيه روح الدراما التى ترتكز على أسس دينية وإجتماعية وإقتصادية . إن كل قناع له معنى ، وكل رقصة لها معنى ، وكل حركة لها معنى ، وكل أداء موسيقى له معنى ، وكل زى له معنى ، وجميع الحاضرين يشاركون فى الأداء ، فهناك أصرار مستمر على إبراز الذاتية الثقافية الأفريقية ، " إنها دراما المشاركة وليست دراما الفرجة . مسرح التلاقى وليس مسرح التلقى وهذا هو أهم مايميز المسرح الزنجى الأفريقى وهو من هذا المنطلق يعكس الحاجة الى التقارب والاتصال بين الطبقات الاجتماعية كما يمثل صورة عميقة نابضة لرغبة المجتمع فى أن يثبت وجوده أو أن يقوم بعمل حاسم يدعم به هذا الوجود » [٥٤] إنه المسرح كوسيلة أصيلة من وسائل الاتصال بالجماهير .

ثالثا : مسرح الضرورات الملحة فى امريكا اللاتينية :

« إن مسرح أمريكا اللاتينية الشعبى هو مسرح الطوارئ والضرورات الملحة ، وتختار مسرحياته عادة أو ترتجل تبعا للاحتياجات الاجتماعية المحلية ، ويستخدم المسرح كشكل من أشكال الجدل والاحتجاج لاستثارة الوعى والمساعدة فى رسم خطط العمل والتصرف ، ومما يجدر التنويه به فى هذا الصدد أن الطابع الاجتماعى أو السياسى لأى مسرحية لايمكن أغفاله قط حتى

---

(٥٢) الدراما الافريقية – المرجع السابق .

(٥٣) المرجع السابق

(٥٤) المرجع السابق

عندما يتعلق الأمر بكبريات المسرحيات العالمية ، من ذلك مثلا مسرحية (طرطوف) لموليير التى اتخذت وسيلة لمهاجمة جماعات أقصى اليمين التى كانت تفعل باسم الدين ماكان يفعله «طرطوف» (٥٥)

★ المسرح يُسقط العمدة ★

ويضرب الكاتب البرازيلى (أجوستو بوال) (*) مثلا بمغامرة قامت بها إحدى الفرق المسرحية فى إحدى بلاد الانديز ، وهى تقدم عروضها عبر المناطق الجبلية الوعرة ، وترتجل اسكتشات مستوحاة من حكايات حقيقية رواها عليهم الريفيون ، وكان من أنجح هذه العروض عرض تدور قصته حول عمدة شرير ، وعندما أقيم العرض فى بلدة العمدة ، كان رد فعل الجمهور عنيفا اذ توجهوا إلى دار البلدية واجيب طلبهم بإعتقال الرجل . وبعد ذك ببضعة أيام أعلنت الفرقة أنها ستقدم العرض نفسه فى بلدة مجاورة ، كان عمدتها شريراً أيضا ، فقرر ذلك العمدة استغلال إيمان الفلاحين فى المنطقة بخرافة مؤداها وجود شياطين تدعى (بستاكوس) وهى أرواح من أكلة لحوم البشر تتقمص شكل الآدميين وتلتهم البشر . وأذاع فى محطة الإذاعة المحلية The Local Radio Station أن فرقة من البستاكوس المتخفية فى شكل ممثلين موجووين بالقرب من البلدة ، فلما وصلت الفرقة وجدت شوارع البلدة خالية ، إذ كان السكان قد إختبأوا فى بيوتهم ، بل إن محطة الإذاعة المحلية كانت أيضا خالية من مذيعيها وموظفيها ، ولكن جهاز الارسال كان لا يزال مفتوحا ، وسرعان ما إرتجل الفنانون اسكتشات هاجموا فيها حيلة العمدة الذى كان مصيره نفس مصير العمدة الأول عندما اكتشف الناس الحقيقة ، ومن الجدير بالذكر أن من يشاركون فى أداء هذا النوع من المسرح ليسوا ممثلين محترفين ، إنما هم فنانون شعبيون ، بل هم الشعب ذاته .

★ وضوح العملية الاتصالية ★

والمسرح فى أمريكا اللاتينية مسرح تتضح فيه العملية الاتصالية وضوحا تاما ، إنه

---

(٥٥) المسرح حاجة ماسة - دراسة بقلم أجوستو بوال - مجلة رسالة اليونسكو العدد ٢٦٣ - ابريل ١٩٨٣ .

(*) أوجستو بوال : ناقد وفنان برازيلى .

كتب عن مسرح المقهورين ، وأدار عدة فرق مسرحية وشغل منصب مدير مركز دراسة ونشر تقنيات التعبير النشطة فى باريس وهى الطريقة المساة باسمه : « طريقة بوال » .

مسرح مشاركة بالمعنى الصحيح ، إنه يستقى مادته من الجماهير ويستنبط أشكالا مسرحية تناسب المكان والبيئة والتركيبة السكانية ، والقضايا والمشكلات القائمة فى المجتمع الذى سيعرض فيه العمل المسرحى الذى سيعبر عن الجماهير ذاتها . وقد ابتكر الفنان (أوجستو بوال) مسرحا جديدا أطلق عليه اسم « مسرح المقهورين » ، ويهدف هذا المسرح الى مساعدة أى إنسان مغلوب على أمره على التوصل الى نوع من التعبير المسرحى ، يمكنه من خلاله فهم أوضاعه على حقيقتها و العمل على تغييرها ، ويقوم هذا المسرح على أساس أن كل إنسان قادر على تحقيق أى شئ يدخل فى حدود امكانيات البشر .

★ مسرح تحريضى مباشر ★

صحيح أن هناك مسارح تقليدية ودور للأوبرا والباليه غاية فى الثراء والروعة يتمتع بها الأثرياء والخاصه فى كبريات المدن فى أمريكا اللاتينية ، لكننا نتحدث عن مسرح الإتصال بالجماهير ، مسرح القاعدة العريضة من الشعب ، مسرح يتضح فيه التواصل والمشاركة ويتحقق فيه وجود رجع الصدى Feed back ، مسرح يعرض الحقيقة ويطرحها للمناقشة ويطرح أسئلة تقول دائما : وماذا بعد ؟ لماذا لانغير أنفسنا ؟ لما لا نغير أوضاعنا ؟ ما هو الحل ؟ وها هو الحل... وهيا إلى التغيير ... هيا إلى العمل ... أنه مسرح تحريضى مباشر قائم عى المشاركة الايجابية للجماهير ... مسرح اتصال بالجماهير .

رابعا : مسرح الشتات فى الوطن العربى .. أصوات عديدة ..امة واحدة :

★ المسرح ظاهرة اتصالية فى المجتمعات العربية ★

إن الحديث عن المسرح العربى كوسيلة من وسائل الاتصال بالجماهير حديث يطول ، وهو يحمل سمات واضحة لكنها نابعة من متناقضات واضحة خلقتها ظروف بالغة التعقيد منذ أن بدأ الزحف حاملا رسالة الاسلام من قلب شبه الجزيرة العربية الى اقطار العالم المختلفة شرقا وغربا ، من الأندلس فى شبه جزيرة إيبريا الأوربية والغرب الأفريقى على المحيط الأطلسى الى بلاد فارس والهند والصين وجنوبى شرقى آسيا ، إلى قلب افريقيا السوداء ، شعوب عديدة لكن الرسالة واحدة سرعان ما وحدت اللسان ، فاللغة أيضا أصبحت واحدة فى معظم الأقطار ، لكن سرعان ماعاش المسلمون فى الشتات ، شتات الفُرقة بالرغم من الدين الواحد واللسان الواحد فى العالم العربى ، شتات تنوعت أسبابه من إختلاف فى أصول الحضارات إلى إختلافات عرقية إلى إختلافات مذهبية إلى اختلافات سببتها موجات متعاقبة من الاستعمار بأشكاله الاستيطانية

والاستغلاية الرأسمالية والمذهبية والامبريالية،الى اختلافات توجهها المصالح المتضاربة للقيادات المتصارعة التى توارثت جملة تناقضات التاريخ البعيد والتاريخ القريب ، تناقضات قد يصدق معها قول ما أشبه اليوم بالبارحة لكنه أولا وأخيرا نوع واحد وعميق من الشتات .

والمسرح كظاهرة اتصالية فى الوطن العربى ، هى برأينا ظاهرة أصيلة إذا نحينا جانبا الإلتصاق بأى من التعريفات التقليدية لفن المسرح وتقسيماته الأرسطية القديمة والأوربية التى أنبثقت منها مذاهب مسرحية وفنية عديدة ، ومن غير المطلوب فى هذه الدراسة الاتصالية مناقشة مثل تلك المذاهب والتعريفات التى بلغت أكثر من أثنى عشر تعريفا لمعنى كلمة مسرح ، لكن مايهمنا هو رصد ظاهرة المسرح كوسيلة من وسائل الإتصال بالجماهير عندنا ، والمسرح بهذا المعنى ظاهرة أصيلة فى عالمنا العربى انطلاقا من المعنى الاتصالى أى كوسيلة من وسائل نقل الافكار والآراء وتبادلها وتكوين الرأى العام والدعوة إلى التغيير وخلق عالم جديد ، إن بلادنا العربية قد عرفت بالضرورة ظواهر مسرحية عديدة كوسائل من وسائل الاتصال بالجماهير ، فقد كان هناك دائما نص مرتجل أو مكتوب وكان هناك أداء تمثيلى تعبيرى ، وكان هناك جمهور متلقى وكان هناك مكان للعرض وكانت هناك ملابس ومناظر ومؤثرات صوتية وضوئية أيضا ، ونحن فى هذه الدراسة لايعنينا كما سبق أن ذكرنا تقديم تاريخ كامل للمسرح العربى ، لأن ما يعنينا هو ما نسميه بالظاهرة الاتصالية المسرحية وتسجيل تطورها كظاهرة اتصالية أيضا ، ومع ذلك ، فنحن لا نستطيع أن نفهم النهاية دون أن نكون عى اتصال موضوعى بالمقدمات والبدايات فنوغل فى اعماق التاريخ الى عصور ما قبل الاسلام ، فانسان شبه الجزيرة العربية انبثقت لديه تلك الظاهرة مثله مثل غيره من مختلف شعوب الدنيا .

إن سكان شبه الجزيرة العربية كانوا مثل غيرهم فى أماكن أخرى من العالم يخشون الطبيعة ومظاهرها ، وكانت لديهم الكهوف والمرتفعات والأودية السحيقة ويتصورون عوالم علوية وعوالم سفلية ، وتصوروا قرى للجن وواديا أسموه وادى عبقر « وهو موضع كانت العرب فى القديم تظن أنه موطن للجن ، ثم نسبوا إليه كل شئ تعجبوا من حذقه أو جودة صنعه » [٥٦] وهو ما استوحاه أمير الشعراء أحمد شوقى فى مسرحيته الشعرية (مجنون ليلى) فى الفصل الرابع من المسرحية عندما جعل الجن يحتفون بقيس ، كما عرفوا السحر والسحرة ، وكانوا يخرجون للقنص والصيد وكانت لديهم آلهتهم التى يتقربون إليها ، وكان موضوع الخَلْق يشغلهم

(٥٦) المعجم الوجيز مادة عبقر - مجمع اللغة العربية الطبعة الأولى ١٩٨٠ ، القاهرة .

دائماً : « فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم تهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر ، فلما أفلت قال يا قوم إن برئ مما تشركون » (*) وكانوا يحجون الى الكعبة فى مكة أيام الجاهلية ويمارسون طقوسا محددة يطوفون بها فى تجمعات يرقصون رقصا دينيا طقسيا ويصفقون ويصفرون ويدعون وينشدون ويغنون ويأتون بحركات خاصة « وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » (**)

★ الاستسقاء كظاهرة مسرحية ☆

وكانوا يستمطرون السماء ويمارسون ما يعرف بالاستسقاء،وهى عملية طقسية حركية جماعية تتمثل فيها الظاهرة المسرحية الجماهيرية التى يشترك فيها الجماعة كلها . والاستسقاء لايزال معروفا فى العديد من مجتمعاتنا الصحراوية إلى الآن ، لكنه يمارس فى شكل صلاة وأدعية وأذكار « وعنه قال الامام الشافعى رضى الله عنه :

يخطب الامام فى الاستسقاء خطبتين كما يخطب فى صلاة العيد ، يكبر الله تعالى فيهما ويحمده ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ويكثر فيهما الاستغفار حتى يكون أكثر كلامه (استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل عليكم السماء مدرارا) .

« ويستحب الجمع فى الدعاء بين الجهر والاسرار ورفع الايدى فيه رفعابليغا » (٥٧)

★ السمر فى حياة البادية ★

ولنا أن نتصور حياة البادية وجلسات أهلها حول النيران للدفء والاضاءة والطهور ، وكيف كانوا يتسامرون ويمرحون ويرقصون ويغنون ، وكيف كان الحادى (***) يسوق الإبل ويحثها على السير بكلماته وأغانيه ، كما غرفوا أغانى الحجيج وأغانى الحض على القتال وأغانى العشق

(*) سورة الانعام الآيات ٧٥ - ٧٦ - ٧٧

(**) سورة الأنفال الآية ٣٤ .

الامكاء : هو الصفير،وتصدية : تصفيقا باليدين - مصحف الشروق الميسر .

(٥٧) الامام محيى الدين أبى زكريا يحيى بن شرف النووى - مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده -القاهرة - الطبعه الثالثه ١٩٥٢.

(***) الحادى الذى يسوق الابل ويحثها على السير بالغناء .

والهوى والدعوة الى العمل ومايساعد عليه ، كما عرفوا ممارسات شعوب غيرهم داخل أراضيهم من حبش وروم وفرس ، ففى الخبر أن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم ممن يلعبون فى يوم عاشوراء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتحبين أن ترى لعبهم ؟ قلت : نعم،فأرسل اليهم فجاءوا ، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين ووضع كتفه على الباب ومد يده ووضعت ذقنى عى يده ، وجعلوا يلعبون وأنظر وجعل «ﷺ»يقول : حسبك ؛ وأقول بعد ، مرتين وثلاث ثم قال : يا عائشة حسبك . فقلت : نعم؛ فأشار اليهم فأنصرفوا ، فقال رسول الله «ﷺ» : أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله !! (٥٨)

★ شواهد مسرحية واضحة ★

إن الشواهد المسرحية فى العصر الجاهلى وفى صدر الاسلام عديدة واضحة راسخة ، وجميعها كما رأينا تتسم بالطابع الجماهيرى والمتصل بالحياة مثلما هى متصلة بالدين ، حيث أخبار القبائل والملوك ومغامرات الفرسان وحكايات الجن والأساطير وقصص العشق وقصائد العشاق ، وعرف العرب القصاصين ، والقرآن الكريم قدم أحسن القصص وأكد مشروعية القص : « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وأن كنت من قبله لمن الغافلين » (*)

وهكذا حدد القرآن الكريم أهداف القص ، فهى عملية إخبارية تفتح آفاق المعرفة أمام السامعين « وإن كنت من قبله لمن الغافلين » كما تقدم العبرة من التاريخ بهدف اعلامهم وتقديم البينات من أجل التغيير الذى يعقب الفهم،ومن أجل تثبيت المفاهيم وتثبيت القلوب وترسيخ الإيمان .

« تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل ، كذلك نطبع على قلوب الكافرين » سورة الأعراف الآية ١٠٠ .

« كذلك نقص عليك من أنباء ماقد سبق » سورة طه الآية ٩٨ .

« فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » سورة الأعراف الآية ١٧٥ .

---

(٥٨) د . محمد عبد الواحد حجازى – موقف الاسلام من الفنون – المكتبة الثقافية ٣٨٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤ ، القاهرة .

(*) سورة يوسف الآية (٢) .

« لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب » سورة يوسف الآية ١١٠ .

« وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين » سورة هود الآية ١١٩ .

★ الراوى وبدء الممثل الفرد ★

وقد عرف العرب القصاص الذى عرف فى عصور مختلفة بأسماء متعددة ووظائف متشابهة، إنه الراوى والحكواتى والمحبظ ، وهو يمثل ظاهرة مسرحية أصيلة،وما يمكن أن نطلق عيه اسم الممثل الفرد ومايقدمه هو دراما الممثل الواحد Monodrama ، هذا الممثل الذى يتميز بالقدرة الفائقة على المحاكاة والتقليد ، ونحن نستطيع أن نعود بهذا اللون الى عهد الرسول(ﷺ) حيث كان القاص يجلس فى المسجد ومن حوله الناس ، ويبدأ بداية دينية وبتحية الإسلام وذكر الله سبحانه وتعالى ، ثم يبدأ فى رواية القصص،وهى فى مجملها قصص اجتماعية تدعو الى البر والتقوى . وكان للقصاص على مر العصور مكانته ، وكانت النصوص متوفرة دوما ، فهناك قصص حروب واقتتال القبائل ، ولعل من أشهر القصص والملاحم التى حظيت بشعبية متميزة قصص سيف بن ذى يزن وأبو زيد الهلالى سلامة والأميرة ذات الهمة وعنترة بن شداد ، وقد عرفت مختلف البلاد العربية هذا اللون من الفن والأداء الشعبى ، فيحدثنا المستشرق الإنجليزى أدوارد وليم لين حول ذلك فيقول : « على أنه توجد فى مصر وسيلة أخرى من وسائل التسلية أرقى من تلك التى سبق ذكرها - الأراجوز أو القراقوز - وهى الاستماع الى الرواة الذين يترددون على مقاهى القاهرة وغيرها من المدن ، ويجلس الراوى على كرسى صغير بغير مسند فوق المصطبة ويجلس بعض «السميعة» على المصطبة الى جانبه وبعضهم الآخر فوق مصاطب البيوت المواجهة للمقهى فى الشارع الضيق ، ويجلس آخرون على مقاعد من الجريد وكل منهم يحمل غليونة فيدخن ويحتسى القهوة ، وكلهم فى نشوة بالغة لاتحدثها القصة وحدها وإنما الطريقة التمثيلية التى يلقيها بها الرواى [٥٩] .

كما يحدثنا فى نفس الوقت عن طبقة من الشعراء الذين يرددون سيرة أبى زيد الهلالى وكانوا يسمونهم أبو زيدية ومنهم من يختصون برواية سيرة الظاهر بيبرس ويسمونهم الظاهرية بالإضافة الى العناترة أو العنترية نسبة الى سيرة عنترة بن شداد ، كما كانوا يرددون قصة دلهمة

---

(٥٩) ادوارد وليم لين - انجليزى يتحدث عن مصر - ترجمة فاطمة محجوب - كتب للجميع - دار التحرير للطبع والنشر سبتمبر ١٩٥٧ - القاهرة .

أو ذى الهمة وسيرة سيف بن ذى يزن التى يسميها العامة سيف اليزن أو سيف اليزل وقصص من ألف ليلة وليلة .

★ النياحة فى الجاهلية وبعد ظهور الاسلام ★

وهناك ظاهرة أخرى عرفتها المجتمعات العربية وهى ظاهرة « النياحة » وقد عرفت فى الجاهلية ونهى عنها الإسلام ، لكنها استمرت ولعلها ما زالت قائمة مستمرة فى بعض مجتمعاتنا ، وهى ظاهرة مسرحية جماعية ، فالناحبة تعدد مناقب المتوفى وتثير فى نفوس السامعين الألم والحسرة وتحمسهم للبكاء والنحيب وترديد مقولاتها المبكية الحزينة ، وكثيرا ما يصاحبها دق الطبل أو الرق أو الناى .

وهنا ننتقل الى ذكرى مقتل الحسين بن على رضى الله عنهما على يد شهر بن ذى الجوشن زمن يزيد بن معاوية سنة ٤٠ - ٤١ هجرية ٦٨٠ ميلادية . والإحتفال بهذه الذكرى على مدى عشرة أيام بدءا من اليوم الأول من شهر المحرم ، وفيها يشترك المحتفلون أنفسهم فى العرض ويشاهدونه كحضور، وهم يعيدون تمثيل مشهد استشهاد الحسين من لحظة وصوله الى كربلاء فى العراق وقطع المياه عنه وعن أهل البيت،الى أن تقطع رأس الحسين بعد موته عطشانا فى موكب حزين كله بكاء وصراخ وأنين « وفى تلك الأيام ينتشر المتحدثون والممثلون على المنابر والأماكن العامة وبعض المنازل الخاصة يرددون أحداث بطولة الحسين ويشيدون بمناقبة ، ثم يسردون المديح ويضمنونه حوادث تفسيرية مصحوبة بالغناء الرثائى والتوقيع المحزن [٦٠] .

★ مسرح الأراجوز وخيال الظل ★

وقد عرف العرب أشكالا مسرحية عديدة بامتداد الوطن العربى ، فهناك مسرح الأراجوز أو القراقوز وهو أقرب الى مسرح العرائس ، ويقوم بتحريك العرائس أو الدمى وبأداء الأدوار التمثيلية فى غالب الأمر فنان واحد أو ممثل فرد ، وهناك أيضا صندوق الدنيا أو السفيرة عزيزة حيث تتحرك الصور من خلال مكبر للصور التى يحركها الفنان الذى يؤدى جميع الأدوار ، فهو ممثل فرد أيضا ، وهناك خيال الظل الذى عرف فى مصر منذ أيام الدولة الفاطمية وتبلور بصورة فريدة على يد محمد بن دانيال الموصلى الذى رحل من العراق واستقر فى مصر سنة ٦٦٥ هجرية وتوفى بها سنة ٧١١ هجرية،وقد تحدث الأستاذ الدكتور إبراهيم حمادة عن هذا اللون من ألوان

---

(٦٠) محمد كمال الدين - العرب والمسرح - كتاب العربى ٢٩٣ مايو ١٩٧٥

المسرح فى كتابة الفريد « خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال » إستطاع فيه تحقيق وتقديم مجموعة من تلك الأعمال التمثيلية التى تعبر عن المجتمع المصرى خير تعبير كما تحمل نقدا للمجتمع .

★ شكل تمثيلي خالص ★

ولعل من المهم أن أنقل هنا عن المستشرق ادوارد ويليم لين شكلا تمثيليا مسرحيا خالصا لما له من أهمية خاصة فى إبراز العملية الإتصالية بالجماهير .

والدور المؤثر ها وكأداة من أدوات الأخبار والإعلام والتحريض والتغيير :

« وشخصيات المسرحية هم الناظر وشيخ البلد وخادمه والكاتب القبطى وفلاح مدين للحكومة بالضريبة وزوجة الفلاح وخمسة أشخاص يقوم اثنان منهم بدور الطبالين وواحد يمثل دور الزمّار واثنان يقومان بدور راقصين ، وتبدأ الرواية بالطبل والرقص والمزمار الذى يقدمه هؤلاء الخمسة ثم يدخل الناظر وبقية أشخاص الرواية الى الحلقة ، ويقول الناظر :

– ما هو المستحق على عوض بن رجب ؟

فيقول الموسيقيون الذين يقومون الآن بدور فلاحين سذج :

– إسأل القبطى أن يبحث فى السجل .

ويحمل الكاتب القبطى دواية – محبرة – كبيرة فى منطقته ، ويلبس عمامة سوداء ويسأله شيخ البلد :

– ما هو المبلغ المكتوب الى جانب إسم عوض بن رجب ؟

فيجيب الكاتب قائلا :-

– ألف قرش

فيقول شيخ البلد :

– وكم دفع منها ؟

فيقول الكاتب :

– خمسة قروش .

ويقول شيخ البلد مخاطبا الفلاح :

– يا رجل ، لماذا لا تدفع النقود ؟

ويرد الفلاح قائلا :

– ليس عندى نقود .

فيصيح شيخ البلد قائلا:

- ليس عندك نقود ... اطرحوه أرضا .

ثم يأتون بكرباج ويأخذون فى ضربه وهو يصيح مستنجدا ويقول :

- وحياة شرف ذيل حصانك يابيه ، وحياة شرف عصبة (*) مراتك يا بيه .

وبعد أن يقول هذه التوسلات المضحكة عشرين مرة يقف الضرب ، ويؤخذ فيلقى به فى السجن ، ثم تأتى إليه زوجته وتقول :

- كيف حالك ؟

فيجيب قائلا :

- إعملى فى معروفا يا امرأتى ، خذى بعضا من الكشك والبيض والشعرية واذهبى بها الى الكاتب القبطى وتوسلى إليه أن يطلق سراحى .

وتضع المرأة الكشك والبيض والشعرية كلها فى سلة وتذهب بها إلى بيت القبطى وتسأل الناس هناك قائلة :

- أين المعلم «حنا» الكاتب ؟

فيقولون :

- ها هو جالس هناك

فتقول له المرأة :

- يا معلم «حنا» إعمل معروفا إقبل منى هذه وأطلق سراح زوجى

فيسألها قائلا :

- من هو زوجك ؟

فتقول :

- الفلاح الذى يدين بألف قرش

فيقول لها :

- أحضرى عشرين أو ثلاثين قرشا وأعطها رشوة لشيخ البلد .

وتذهب المرأة ثم تعود والنقود فى يدها وتعطيها لشيخ البلد فيقول شيخ البلد :

- ما هذه ؟

فتقول المرأة :

(*) عصبة : منديل رأس يغطى رأس المرأة ويعقد من الخلف .

- هذه رشوة فخذها وأطلق سراح زوجى .

فيقول لها شيخ البلد :

- حسنا .. إذهبى الى الناظر .

فتدخل المرأة وتغيب لحظة تخطط عينيها فيها بالكحل وتخضب يديها ورجليها بالحناء ثم تعود الى الناظر وتقول :-

- مساء الخير يا سيدى

فيقول الناظر

- ماذا تريدين ؟

فتقول المرأة :

- أنا زوجة عوض الذى يدين بمبلغ ألف قرش .

فيسألها الناظر قائلا :

- ولكن ماذا تريدين ؟

فتقول :

- إن زوجى سجين وأتوسل إليك أن تطلق سراحه .

وهى إذ تحدثه تبتسم له وتظهر له بالإيماءة والإشارة أنها ستدفع الثمن ، وبعد ذلك يطلق الناظر سراح الزوج .

ويقول المستشرق ادوارد وليم لين :

- وقد مثلت هذه المسرحية أمام الباشا (محمد على باشا) لكى تفتح عينيه على المخازى التى كان يرتكبها الموظفون الذين يقومون بجمع الضرائب . [٦١]

★ البحث عن شكل أصيل للمسرح العربى ★

ولعل من غير المناسب أن يطول بنا الحديث عن تفصيلات أكبر بشأن نشأة المسرح العربى والتدليل على وجود الظاهرة المسرحية فى عالمنا العربى ، فالقضية ليست بحاجة الى المزيد ، فإن المذاهب المسرحية الحديثة والأشكال المسرحية الجديدة تكاد تقترب من العديد مما نعتبره مجرد ظواهر مسرحية فى تاريخنا المسرحى ، وما يعنينا هو ما يخدم الفكرة الأساسية لهذه الدراسة من

---

(٦١) الجليزى يتحدث عن مصر - مرجع سابق .

حيث أن المسرح وسيلة أصيلة من وسائل الإتصال بالجماهير ، وأما وقد عرفت البلاد العربية المسرح بشكله التقليدى المعروف ، المسرح الغربى المتوارث عن المسرح الإغريقى القديم ، وما لحق من تطورات عالمية من حيث الاشكال والمذاهب المسرحية والتى دخلت عالمنا بالضرورة ، فإننا ننطلق الى المسرح العربى إنطلاقا من أصالة الظاهرة المسرحية عندنا ، أى مَن خلال الجهود التى بذلت بحثا عن شكل جديد للمسرح العربى التى برزت فيه العملية الاتصالية مثلما كان الحال فى بدايات الظاهرة فى مجتمعنا حيث توافرت فى تراثنا كافة مقومات المسرح .

ولتكن البداية الحديث عن المسرح المصر عربى (*) ومحاولات إيجاد صيغة مسرحية جديدة نابعة من ذلك التراث وتتأكد فيها العملية الإتصالية « فبعد أن تأصل الفن المسرحى فى مصر واكتسب الشرعية الثقافية فى حماية الحس الوطنى بعد الإستقلال ، ظهرت فى ستينات القرن الحالى دعوات تنادى بالبحث عن قالب مسرحى (غير مستورد) يكون نابعا من صميم المسليات التراثية الشعبية وقادرا على مخاطبة طبقات الشعب العريضة وأداء مضامينها الخاصة » [٦٢] وقد دعا الدكتور يوسف إدريس الى البحث عن هذه الصيغة المسرحية غير المستوردة فى مقالات ثلاث نشرها فى مجلة الكاتب سنة ١٩٦٤ وطبّق هو نفسه ذلك عمليا فى مسرحيته الشهيرة «الفرافير » التى قدمها فى شكل السامر المعروف فى ريف مصر والذى تتم فيه المشاركة بين الممثلين والجماهير التى تحضر العرض ، والسامر هو المكان الذى يحضر فيه الناس للمسامرة أو هو مجلس السمر أو الذى يقوم بالمسامرة ، والجميع يتسامرون ، والسمر فن معروف فى الريف المصرى ويتم بصورة تلقائية فى الليالى المختلفة (٦٣) ونفس الشئ فعله بصورة مشابهة (محمود دياب) من حيث الرجوع الى شكل السامر المصرى فى مسرحية (ليالى الحصاد) بل نحن نجد الرائد المسرحى توفيق الحكيم أيضا يتحدث عن استحداث شكل مسرحى عربى فى كتاب مستقل أصدره عام ١٩٦٧ باسم « قالبنا المسرحى » [٦٤] وقد حدد فيه الأشكال التراثية التى يمكن استلهامها فى خلق الشكل المسرحى العربى الجديد وهى الحكواتى والمقلداتى والمدّاح ، وقد استلهم الحكيم السامر المسرحى المصرى الريفى فى مسرحيته « الزمار » سنة ١٩٣٠ كما فعل نفس الشئ

(*) المصرعربى : المسرح المصرى العربى

(٦٢) توفيق الحكيم والبحث عن قالب مسرحى عربى - دراسة للأستاذ الدكتور إبراهيم حمادة : مجلة فصول المجلد الثانى العدد الثالث إبريل - يونيو ١٩٨٢

(٦٣) انظر مادة - سامر - المعجم الوجيز - مجمع اللغة العربية - الطبعة الأولى ١٩٨٠ - القاهرة .

(٦٤) توفيق الحكيم - قالبنا المسرحى - مكتبة الآداب ١٩٦٧ .

فى مسرحية « الصفقة » التى جعل أحداثها تجرى فى جرن القرية وبجوار المصطبة ، وأدخل فيها الرقص والغناء والفن الشعبى . كما يمكننا أن نقف أمام تجربة أخرى رائدة للدكتور رشاد رشدى عندما استلهم (خيال الظل) فى مسرحيته (إتفرج ياسلام)، والحقيقة أن المسرح المصرى زاخر بنماذج فريدة لهذا المسرح العربى الجديد أو المسرح المصر عربى الذى يستلهم الشكل التراثى ويستلهم الموضوعات والحكايات التراثية مثلما فعل نجيب سرور فى مسرحية « ياسين وبهية » ومسرحية « آه ياليل ياقمر » ومثلما فعل صلاح عبد الصبور فى مسرحية « مأساة الحلاج» ومسرحية « بعد أن يموت الملك » ومثلما فعل الفريد فرج الذى استطاع استخدام أسلوب الحكاية الشعبية والقص بنجاح فريد ، فكان استلهامه لقصص ألف ليلة وليلة وتقديمه مسرحية « على جناح التبريزى وتابعة قفة » ومسرحية « حلاق بغداد » وكذلك فعل محفوظ عبد الرحمن فى مسرحية « حفلة على الخازرق » ومسرحية « عريس لبنت السلطان » والدكتور فوزى فهمى فى مسرحية « لعبة السلطان » والدكتور عبد العزيز حمودة فى مسرحية « ابن البلد » ويسرى الجندى فى « واقدساه » ومسرحية « رابعة العدوية » والشاعر محمد إبراهيم أبو سنة فى مسرحية « حمزة العرب » والشاعر فاروق جويدة فى مسرحية « الوزير العاشق » والأمثلة غير ذلك عديدة ، بل ونستطيع أن نتعرف الى الكاتب المسرحى الشاب لينين الرملى ومسرحيته «أهلا يا بكوات » ١٩٨٩ التى قدمها المسرح القومى كبداية لموسمه المسرحى لذلك العام ، مع عدم اغفال حركة جديدة تماما هى جماعة مسرح السرادق لعام ١٩٨٤ التى أخذت شكل السرادق الذى يقام فى المناسبات المختلفة فى الأفراح والمآتم في مصر ، خاصة لدى الفئات الشعبية ، مع استلهام التراث أيضا في الموضوعات المعروضة ، فتقديم تلك الأعمال فى جو احتفالى مثلما يحدث فى السرادق عادة ، والفن الذى يقدم فن جماعى يعتمد على مشاركة الجماهير مثلما حدث فى مسرحيات « احتفال الدراويش بإعلان جمهورية زفتى » ، و « عرس الدود » و « يحدث فى قريتنا الآن » .

★ جهود المسرحيين العرب ★

إن محاولة خلق مسرح عربى أصيل ليست وقفا على جهود المسرحيين المصريين ، فهى ظاهرة أيضا تبدو واضحة كما سبق أن ذكرنا فى مختلف أنحاء وطننا العربى الكبير ، فنحن نستطيع رصد العديد من المحاولات الجادة فى المغرب والجزائر وتونس وليبيا والعراق وسورية ولبنان وفلسطين والكويت وغيرها . ففى المغرب يزدهر ما يعرف بمسرح (الحلقة) وهو امتداد

لمسرح الراوى القديم ، وقد اطلق عليه اسم مسرح « الحلبة» أو مسرح«البساط» ، فهناك الراوى الذى يحيط به جماهير النظارة فى شكل حلقة ، ويشترك مع الراوى مجموعة من الممثلين الذين يؤدون أدوارا ثابتة معروفة ويرتدون ملابس ملائمة ويشترك جماهير النظاره فى الحوار ، وهذا المسرح عرفته المغرب منذ فترة طويلة لكنه استمر الى اليوم وتطور تطورا واسعا عى يد عدد من المسرحيين الرواد مثل الطيب الصديقى والطيب العلج وعبد الله سنوتى ، والطيب الصديقى له تجربة رائدة فى مسرحيته التى استوحاها من مقامات بديع الزمان الهمزانى ووظفها لقضايا معاصرة نقلا من العصر العباسى ، والمقامة كما هو معروف فن عربى أصيل عرفه العرب قبل الإسلام وتعتبر أدبا تمثيليا جماعيا يقوم على الحوار ومن أشهر المقامات مقامات بديع الزمان الهمزانى ومقامات الحريرى ومقامات الجاحظ،وهكذا كان مسرح «الشوك» الذى اتخذ شكل الكباريه السياسي فى سورية والذى يعتمد على الكلمة المباشرة ورد فعل الجماهير،فهو مسرح كلمة وجمهور،وفى سورية ايضا ما يسمى «بغرفة المسرح» ومسرحياتها يتلاحم فيها ايضا الفنان والجمهور فى شكل مسرحى عربى جديد ، وقدمت عددا كبيرا من المسرحيات التنويرية التحفيزية مثل مسرحية «حفلة سمرمن أجل ٥ حزيران» بل نحن نرى نفس الاتجاه فى لبنان الذى شهدنا له مسرحية " وايزمان وبن جوريون وشركاؤهما " ومسرحية «جحا فى القرى الامامية» . ان المسرح كوسيلة من وسائل الاتصال بالجماهير ارتبط ارتباطا وثيقا بقضايانا المعاصرة ، ولعل البحث عن شكل جديد للمسرح العربى قد انبثق من وضوح الرؤية امام المسرحيين العرب واهتمامهم بالمسرح كوسيلة اتصال يتم توظيفها لخدمة قضايا الانسان العربى فى نضاله من اجل حريته وحقيقة وجوده ، ووضح ذلك فى عملية « تسييس المسرح» اى توظيفه لمعالجة قضايا سياسية واجتماعية ومصيرية وتحريرية ، وقد اثبتت تلك الجهود ان الظاهرة المسرحية اصيلة لدينا ، وان المسرح ليس حكرا على الاغريق و لورثتهم من الأوربيين الغربيين بصفة خاصة ، فليس من المحتم المفروض ان يكون المسرح ارسطيا وان يكون الشكل الارسطى هو الاساس وما تبع ذلك الاساس من تطور معروف فى تاريخ المسرح ، ونحن فى بحثنا عن شكل مسرحى عربى جديد ومع استلهامنا للتراث واختيارنا للموضوعات التى نعالجها من خلال ذلك المسرح الجديد التراثى الاصيل ، نكون قد

اصّلنا فى ذات الوقت دور المسرح وأهميته كوسيلة اتصال تؤدى دوها التنويرى التثقيفى والتحريضى، وتأصل مسرح المشاركة والمواجهة .

★ مهرجان المسرح العربى المتنقل ★

ولنقف لحظات مع مهرجان المسرح العالمى المتنقل الذى اقيم فى الرباط بالمغرب فى الفترة من ١٦ الى ٢٦ ابريل سنة ١٩٨٤ لتتأكد لنا تلك الحقيقة ، حيث كانت جميع الاعمال اعمالا تراثية ويتاصل فيها الشكل المسرحى العربى الجديد مع تباين فى ذلك الشكل :

١- المغرب : مسرحية (قاضى الحلقة) متخذا شكل الحلقة فى تناول قضايا اجتماعية سياسية وقدمها الطيب العلج ومسرحية « كتاب الامتاع والمؤانسة » وقدمها الطيب الصديقى وهي مسرحية تراثية قدم فيها الاغانى الشعبية والحلقات ومحاكمة تراثية لافكار ابى حيان التوحيدى .

٢- الجزائر مسرحية « قالوا العرب قالوا » وتعالج ايضا الواقع العربى وما فيه من تمزق وتشتت وضياع وهى مسرحية تراثية ايضا تتناول احياء شخصية صقر قريش البطل العربى لكى يشهد ما حدث للعرب فى وقتنا الراهن .

٣- الجماهيرية الليبية : مسرحية «بضربة قتل عشرة » لعبد الله البوصيرى وهى تقوم بكشف واقعنا العربى من خلال محاكمة سياسية .

٤- العراق : مسرحية «المتنبى» وسيرته الذاتية التراثية مع اسقاطات سياسية على واقعنا.

٥- دولة الامارات العربية : مسرحية «مأساة ابى الفضل» وهى مسرحية تراثية تعالج قضية البطولة وارتباطها بفلسطين والقدس ومقابلة ذلك بأيام صلاح الدين الايوبى .

٦- المملكة الاردنية : مسرحية «فرقة مسرحية وجدت مسرحا فمسرحت هاملت» وهى تقدم فى شكل تراثى احتفالى .

٧- فلسطين : مسرحية «ثورة الزنج » للشاعر الفلسطينى معين بسيسو ، وهى مسرحية تراثية ايضا تتناول الصراع العربى الاسرائيلى .

هذا هو المسرح الثالث فى عالمنا العربى ، وفى غيره من بلدان العالم ، مسرح يتأكد معه دوره كوسيلة هامة من وسائل الاتصال بالجماهير ، تؤدى دورها الاخبارى والاعلامى والتثقيفى والتنويرى والتحريضى من شأنه ان يخلق رأيا عاما قويا قادرا على التنفيذ .

الفصل السادس
الصحافة ضمير العصر

الفصل السادس
الصحافة ضمير العصر

★ البداية فى مصر القديمة ★

لعل من الغريب حقا أن نذكر أن المصريين القدماء هم أول من عرف الصحافة وأصدر الصحف فالأمر يبدو نوعا من المبالغة فى التعصب ومحاولة إظهار المصريين القدماء فى صورة من توصل الى اختراع كل شيء،فما من جديد بعدهم،ومع ذلك فبالنسبة لموضوع الصحافة فقد استطاع باحث مصرى هو الدكتور محمود محمد الجوهرى أن يثبت أن المصريين القدماء قد عرفوا الصحافة وذلك فى رسالته لنيل درجة الدكتوراه فى الآداب عام ١٩٥٦ فهو يقول :

«وأقدم صحيفة عسكرية نقشت على الحجر من وجهين وأشرف على تحريرها بحذق ومهارة من يدعى " بتاح " وجرى توزيعها شهريا على قادة الجيش وطليعة الحكام ، وبلغ مجموع نسخها حوالى المائة ، وقد حليّت هاماتها بصورة الفرعون الأكبر " مينا " ومن حوله لفيف من الأسرى قطعت رؤوسهم ووضعت بين أقدامهم ، واشتملت موادها على أنباء المعارك وذكريات القادة وأعمال الجنود ولم ينسوا ان يبرزوا فيها لونا من ألوان التعبير الرمزى الذى تنتهجه اليوم صحافة القرن العشرين بأن رسموا ثورا ينطح قلعة تعبيرا عن أنتصار الملك على أعدائه » [٦٥]

ويذكر الدكتور محمود محمد الجوهرى فى مكان آخر من رسالته : «ولم يغفل المصريون عندما تقدم الزمن بهم ان يستخدموا أوراق البردى والجلد فى نشر افكارهم وآرائهم،فأعدوا نشرات دورية من البردى،وأخرى شهرية من الجلد،توزع على ذوى الشأن والحيثية من رجال الدولة ، وقد أحتوت نسخ من هذه الصحف والمجلات أنباء على درجة قصوى من الأهمية تتناول أحداث الحرب ومقدرة الجيش وتنقلات القادة . ولا نسرف فى التعبير إذا اعترفنا أن مثل هذه المواد التى نشرت من مئات السنين تماثل إن لم تطابق ما يبعث به المراسلون الحربيون لصحفهم فى عصرنا الحاضر[٦٦]

---

(٦٥) الصحافة والحرب . رسالة دكتوراه فى الآداب من جامعة القاهرة نوقشت - يوم ١٠ ديسمبر ١٩٥٦ أمام لجنة مكونة من الدكتور عبد اللطيف حمزة مشرفا والفريق عزيز المصرى عضوا والدكتور فؤاد شكرى عضوا .

(٦٦) المرجع السابق .

★ بين الصينيين والرومان ★

وفى نفس الوقت هناك من ينسب الى الصينيين فضل الريادة بعد مصر القديمة فى مجال الصحافة،وأنهم اصدروا عام ٩١١ ق الميلاد جريدة تسمى " كين كان " بينما يعتبر البعض الرومان كأول من اصدر صحيفة هى الوقائع الرسمية Acta Doria التى أصدروها عام ٥٨ قبل الميلاد.

★ المعلقات فى الجزيرة العربية ★

أما فى عالمنا العربى فقد كانت هناك المعلقات التى كانت تعلق على أستار الكعبة فى الجاهلية ، وتعرف بالمعلقات السبع، وهى لسبعة من شعراء الجاهلية واعظمهم ، وقيل عشرة شعراء ، والإجماع على امرىء القيس وطرفه وزهير وعنترة وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة ولبيد ، وان وردت أسماء لغيرهم مثل النابغة والأعشى ، ويمكن اعتبار المعلقات من أقدم صور الصحيفة فى العالم العربى زمن الجاهلية ، فهى صحائف معلقة تنقل فكرة من شاعر من قبيلة معينة الى سائر القبائل " فالمعلقات تمثل أنضج صور الشعر الجاهلى شكلا ومضمونا ، فاكثرها يبدأ بالوقوف على الأطلال ورحلة الحبيبة،وكثير منها يصور المطر والناقة والبقر الوحشى ، ويتضمن فخرا بالخلق العربى الجاهلى وينشر فلسفة الحياة الجاهلية،وأقلها يضم فخرا قبليا . فهى تصور الحياة الجاهلية ومثلها العليا ، كما تصور المثل الأعلى فى الفن الشعرى [٦٧] وهكذا فإن الفضائل التى يتغنى بها الشاعر من شجاعة وكرم وحفاظ على العرض والأمانة والأيثار - وأغاثة الملهوف والوفاء وغير ذلك تؤثر فيمن يقرأها فهو يود لو تحلى هو نفسه بهذه الفضائل ويتمنى لو كان فى نفس مقدرة هذا الشاعر الفذ فى نظم مثل تلك المعلقات ، إنها تحمل طبيعة نقل الأفكار كأوضح ما تكون .

★ المعلقات واوامر الحكام ★

وقد عرفت المعلقات فى انحاء عديدة من العالم لكنها لم تكن قصائد شعر ، بل كانت عبارة عن نشرات تحمل أخبارا،مثل معلقات يوليوس قيصر، فقد كان يصدر نشرة يومية ويعلقها فى الأماكن العامة ليعلم الناس أخبار الدولة ، وكانت هناك معلقات أخرى تحمل أوامر الحكام وتعليماتهم وأحكامهم ، وما زالت هناك العديد من صور المعلقات فى عصرنا الحاضر ، أنها نفس

---

(٦٧) الموسوعة العربية الميسرة : مرجع سابق .

المعلقات القديمة التى يطلب فيها القبض على مذنب هارب من العدالة أو عن طفل مفقود أو عن أى شخص متوفى أو بيع بالمزاد العلنى ، بل نحن نرى ذلك فى المدارس والمعاهد والجامعات ودور الحكومة والأندية الرياضية والإجتماعية ، ويدخل فى ذلك ما يصدره المعارضون والثوار من منشورات تحريضية تضم اخبارا وتدعو الى فعل ، بل وصحف الحائط أيضًا التى من أشهرها اليوم صحف الحائط فى بكين عاصمة الصين ، إذ كان ذلك يتخذ شكل ورقة Paper وهو الأسم الإنجليزى للصحيفة وهى تحمل أخبارا news وهو الأسم الحديث أيضا Newspaper .أليست المعلقات إذن الأم الحقيقية للصحف المنشورة ؟

★ تحول المعلقة الى صحيفة متداولة ★

لكن كيف تحولت المعلقة الى صحيفة متداولة ؟ إن لنا أن نتصور أحوال الأسواق التجارية فى ألمانيا على سبيل المثال والتى يسعى إليها الناس لشراء إحتياجاتهم ، وكيف كانوا يحتارون فى أختيار ما يريدون شراءه ، وكيف أن شخصا ذكيا أراد تحقيق ربح لنفسه ، فقام بكتابة أسماء أهم المعروضات وأسعارها لكى يقدمها للمترددين على السوق ، وهو يحصل على ثمن جهده من البائع وكذلك من المشترى ، فهو هنا يقدم إعلانا بالنسبة للتاجر وإعلاما بالنسبة للمشترى ،ولعل مثل هذا الشخص الذكى قد فكر فى أدخال بعض الاخبار مثل اخبار الأمير والحاكم ثم شىء من الأدب وقصائد ، وربما بعض النكات والفكاهات والطرائف والرسم ، وهكذا جمعت هذه الورقة الأخبار ومواد التشقيف والترفيه والاعلان ، وهى أهم أهداف الصحيفة الآن ، وهكذا وجدنا الأوراق الخبرية المنسوخة فى انجلترا Gazette (*) فى القرن الثالث عشر وفى كل من ألمانيا وإيطاليا وهولندة .

★ الصحافة كظاهرة ★

ونستطيع أيضا تتبع الصحافة كظاهرة مثلما هو الحال مع غيرها من الظواهر الأتصالية تطبيقا للمقولة التى نؤكد معها أن كل تغيير اجتماعى يؤدى الى وجود بيئة اجتماعية جديدة يصحبه بالضرورة شكل اتصالى جديد ، وهذا الشكل الاتصالي الجديد لا يوقف شكلااتصاليا سبقه ، وحول ذلك يقول الدكتور خليل صابات عن التحولات فى بعض الدول الأوربية الغربية :

«تكونت طبقة جديدة فى المجتمع هى الطبقة البرجوازية التى لا يجرى فى عروقها الدم

(*) Gazette كلمة انجليزية وفرنسية أيضا تعنى الاعلان أو البيان فى جريدة رسمية وأطلقت علي الجريدة أو الصحيفة الرسمية ثم على الصحيفة بصفة عامة ومنها كلمة Gazetteer بمعنى الصحافى.

الأزرق ولا تنتمى الى طبقة كبار الأسياد وكان هؤلاء البورجوازيون يريدون أن يعرفوا على وجه السرعة أهم التغييرات التى تحدث فى بلادهم وفى كل بلاد العالم المعروف آنذاك ، لقد بدأت أوربا تستيقظ من سبات العصور الوسطى فتقدمت الآداب والعلوم والفنون وكان من أثر ذلك أن تحررت العقول واتسع مجال البحث واستيقظت روح النقد وجاءت النظرية الحديثة التى تقول :(وأن الإمبراطور لا يستمد سلطانه من الدين وليس هو ظل الله على الأرض ، إنما الحكومة نظام وضعى لا دينى وما قامت إلا لصالح المحكومين) فكان لابد لهذه الأفكار الجديدة أن تنتشر وتذاع على الناس فظهرت الحاجة الى الصحافة . وبدأت تلك الأوراق تحمل أخبار العالم الناهض الجديد الذى يتطور بسرعة مقدسا حرية الفرد مؤمنا بالعلوم والمعارف متطلعا الى مستقبل تسوده العدالة والمساواة (٦٨)

هكذا كان المناخ الجديد الذى ساد غرب اوربا وشمالها عندما أصاب المدن والموانئ، بها الكثير من الرخاء نتيجة الاستكشافات الجغرافية وعبور الاطلنطى الى الامريكتين وظهور الطبقة البرجوازية Bourgeoisie ، وهم سكان المدن أو الطبقة الوسطى الجديدة من اصحاب المصالح التجارية والصناعية ، وتبع ذلك حدوث الأنشقاق البروتستانتى والاصلاح الدينى ، وفى ظل هذه البيئة الجديدة كان لابد ان تظهر المطبعة مثلما ظهرت الأوراق الخبرية ثم الصحف ، وقد اتاحت المطبعة طباعة " الأنجيل " حيث كان أول ما طبع جوتنبرج مخترع المطبعة ، وبذلك بدأ يشيع الكتاب المقدس بين الناس فى أوربا بعد ان كان وقفا على الخاصة والكهنة ، ثم انتشار الأوراق الخبرية الى ان ظهرت الصحف الحديثة التى حمل بعضها اسم Gazette بمعنى ورقة خبرية ، وقدأخذت الصحف تتكاثر لتغطى حاجة المجتمعات الجديدة حتى وصل عددها فى نهاية القرن السابع عشر الى ١٤٠ صحيفة ثم تضاعف العدد بعد ذلك مرات ومرات وحمل بعضها اسم PaPer ورقة ومعها كلمة أخبار News مع الحرص فى الكثير منها على ان يكون الأسم معبرا عن الخبر وعن الآنية : - The Time-Journal - Daily News - Newsweek -News of theWorld The Morning Journal - The Morning Herald - The Morning Post - The Daily Daliy Mirror Mail-News Chronical- بينما حملت احدى الصحف المصرية المحررة بالانجليزية الاسم القديم Gazette وهى The Egyptian Gazette وصحيفة مصرية أخرى باسم The Egyptian Mail

(٦٨) وسائل الاتصال نشأتها وتطورها (مرجع سابق)

★ الصحافة بمعناها الحديث ★

والحقيقة أن الصحافة لم تعرف بمعناها العصرى (أى إصدار صحف يومية أو دوريات لنقل الاخبار) إلا مع بدايات القرن السابع عشر ، فاذا كانت اول صحيفة صدرت فى المملكة المتحدة هى Weekly News التي اصدرها ناثانيل بترعام ١٦٢٢،فان ابرز صحفها جريدة The Times اللندنية التى انشأها جون والتر سنة ١٧٨٥ ، وفى فرنسا التى عرفت الأوراق الخبرية الخاضعة تماما لرقابة الدولة،فقد أصدر فيها الكاردينال ريشليو سنة ١٦٣١ La Gazette deFrance ، وقد احتفظت بطابعها الاخبارى شانها شأن الأوراق الخبرية التى حملت اسمها ، لكن صدورLa Press سنة ١٨٣٦ نقل الصحافة الفرنسية نقلة واسعة فى الشكل والمضمون معا فقد عمل مؤسسها أميل دى جيرادان على تخفيض ثمنها بقاعدة ان بيع الصحيفة بثمن رخيص يؤدى الى التوسع وزيادة التوزيع ، وزيادة التوزيع تؤدى الى زيادة الاعلانات وزيادة الأرباح ، وسرعان ما شهدت اوربا تقدما كبيرا وازدهارا ملحوظا فى عالم الصحافة .

★ مجتمع جديد ... بيئة جديدة ... وسيلة اتصال جديدة ★

أما فى الولايات المتحدة فالبداية كانت من النقطة التى انتهت اليها الصحافة فى أوربا ، فالمطبعة كانت موجودة فعلا ، وكان صاحب المطبعة هو الذى يصدر الصحيفة،وكانت عبارة عن أوراق أخبارية أيضا تصدر اسبوعيا أو بغير انتظام،وعند إعلان الاستقلال عام ١٧٧٦ كان هناك حوالى خمس وثلاثين من الصحف أو الأوراق الأخبارية ، تقوم على أكتاف الناشر الطابع أو الصحفى الطابع صاحب المطبعة،لكن تاريخ الصحافة الامريكية مدين لشاب صغير لم يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره هو"بنيامين داى"وهو من رجال الطباعة أيضا قام بتخفيض ثمن الصحيفة التى قام بإصدارها The Sun وجعل ثمنها سنتا واحدا،بينما كان ثمن النسخة من الصحف الأخرى حوالى ست بنسات،وقام بتمويع المواد المنشورة خاصة التحقيقات الصحفية من مراكز الشرطة وغيرها ، فازداد التوزيع ، وقامت الصحف الأخرى بتقليد The Sun،وبدأ انتشار الصحف فى كل مكان نتيجة وجود مجتمع جديد وبيئة جديدة بحاجة الى وسيلة اتصال ترتبط بها، إنها نفس القاعدة أو المقولة " ان كل تغيير اجتماعى يصحبه بالضرورة شكل اتصالى جديد " وهكذا كانت الحياة الامريكية التى ظهر فيها التغيير الاجتماعى الجديد مع ازدياد سيل المهاجرين من مختلف انحاء العالم وأثناء الحرب الأهلية ، وبعدها جاءت سنوات الرخاء ووجود وازدياد انتاج الصناع والحرفيين والمزارعيين ونشاط نقابات العمال،مع الأقتراب من تحقيق الحلم الامريكى فى

الحرية الكاملة والعدالة والحياة الأفضل،وهكذا أصبحت السوق رائجة للصحف والمجلات والكتب وبدا كما لو كانت أمريكا ستغرق فى موج جارف من الصحف (٦٩)

★ نظرة تاريخية فى عالمنا العربى ★

ولعل من المفيد أن نقدم جانبا من تاريخ الصحافة فى عالمنا العربى ، وهو بموقعه الفريد بين قارات العالم وتفاعله المستمر مع مسيرة الحضارة مدا وجزرا ، منه واليه ، فمصر كانت أولى الدول العربية التى عرفت الصحافة فى صورتها الحديثة ، وكانت أولى الصحف هى ما أصدره رجال الحملة الفرنسية على مصر ، فقد أصدروا فى ٢٨ أغسطس ١٧٩٨ جريدة Le Courrier de L'egypte وكانت تنشر الأخبار الواردة من فرنسا بصفة خاصة وكانت La Decade Egyp-tienne (*) وصدر العدد الأول منها فى أول أكتوبر ١٧٩٨ وكانت تنشر ما يكتبه علماء الحملة الفرنسية ، وكانت الصحيفتان تصدران بطبيعة الحال باللغة الفرنسية، ولذلك فأن اول صحيفة مصرية حقيقية وأول صحيفة عربية هى «الوقائع المصرية» التى اصدرها محمد على عام ١٨٢٨ وما زالت تصدر كجريدة رسمية إلى الآن بالأضافة الى صحيفة أخرى بالفرنسية أصدرها رجل فرنسى فى عهد محمد على أيضا هى Le Moniteur Egptien (**) ثم تسابقت الصحف المصرية مع المد الحضارى الذى عاشته مصر منذ بداية نهضتها بالرغم من ظروف القهر الداخلى والمؤامرات الخارجية من قبل الدول الإستعمارية ، ولعل من المفيد أن نثبت هنا عددا من أبرز ما صدر من صحف ومجلات مصرية عربية وهى :

١- يعسوب الطب (١٨٦٥) مجلة طبية شهرية محررها محمد على (الحكيم)
٢- الجريدة العسكرية (١٨٦٥) .
٣- وادى النيل (١٨٦٧) أول صحيفة أهلية أصدرها عبد الله ابو السعود .
٤- روضة المدارس (١٨٧٠) وكانت تصدر عن ديوان المدارس وأسسها رفاعة رافع الطهطاوى
٥- جريدة اركان حرب الجيش (١٨٧٣)

---

(٦٩) اريك بارنو – الاتصال بالجماهير – ترجمة صلاح عز الدين وفؤاد كامل وأنور المشرى – مكتبة مصر ١٩٥٨ – القاهرة .

(*) Courrier : بريد Decade عقد عشر سنوات .

(**) Moniteur مرشد . دليل .

٦- كوكب الشرق (١٨٧٣) أصدرها سليم حموى أسبوعية ثم يومية .(بالأسكندرية)
٧- روضة الأخبار (١٨٧٥)
٨- الأهرام (١٨٧٦) أصدرها سليم وبشارة تقلا (بالأسكندرية)
٩- ابو نضارة (١٨٧٧) أصدرها يعقوب صنوع واغلقها الخديو إسماعيل لنقدها سياسته.
١٠- الأتحاد المصرى (١٨٨١) أصدرها روفائيل مشاقة وماهر حسن فراج (بالأسكندرية)
١١- البرهان (١٨٨١) أصدرها يوسف شينى (بالأسكندرية)
١٢- التتنكيت والتبكيت (١٨٨١) أصدرها عبد الله النديم .
١٣ - المفيد (١٨٨١) أصدرها مصطفى ثابت
١٤ - الطائف (١٨٨١) لسان حال الثورة العرابية ورأس تحريرها عبد الله النديم .
١٥ - مصر (١٨٨١) أصدرها أديب وعونى اسحق (بالأسكندرية)
١٦- الزمان (١٨٨٢) أصدرها خليل اليازجى .
١٧- مرآة الشرق (١٨٨٢) أسبوعية أصدرها خليل اليازجى أيضا
١٨ - الحضارة (١٨٨٢)

ومع هزيمة الثورة العرابية الوطنية فى سبتمبر ١٨٨٢ ونجاح الأنجليز فى احتلال مصر، توقفت الصحف والمجلات الوطنية وصدرت صحف ومجلات جديدة بعضها عميل للاحتلال أو مهادن له،والآخر مؤيد لدولة الخلافة العثمانية أو للفرنسيين، بينما ظلت الأقلام المصرية الوطنية تعمل بصدق من أجل الحرية والأستقلال واستعادة الهوية المصر عربية (*) فى صحف كاملة الولاء للوطن .

١- العروة الوثقى (١٨٨٤) وأصدرها فى باريس بالعربية جمال الدين الافغانى والأستاذ الأمام محمد عبده .
٢- المقطم (١٨٨٤) أصدرها يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس وكانوا من عملاء

(*) المصرعربية : المصر عربى : مصطلح يطلق لتأكيد انتماء مصر إلى العالم العربى وللفترات التاريخية التى بدأت بدخول العرب مصر وتحولها الى دولة عربية إسلامية . (٦٤١)م .

الأنجليز وتوقفت عن الصدور مع ثورة يوليو ١٩٥٢.

٣- المؤيد (١٨٨٨) أصدرها الشيخ على يوسف وهى صحيفة وطنية بارزة حظيت بانتشار واسع .

٤- الاستاذ (١٨٩٢) أصدرها عبد الله النديم .

٥- الهلال (١٨٩٢) أصدرها جورجى زيدان

٦- اللواء (١٩٠٠) لسان حال الحزب الوطنى وأصدرها الزعيم الوطنى مصطفى كامل .

٧- الجريدة (١٩٠٧) أصدرها أحمد لطفى السيد .

٨- الأهالى (١٩١٠) بالأسكندرية

٩- الكشكول (١٩٢١) أصدرها سليمان فوزى أسبوعية معارضة للوفد

١٠- السياسة (١٩٢٢) يومية ناطقة باسم حزب الأحرار الدستوريين وصدر عنها السياسة الأسبوعية عام ١٩٢٦ وكانت منبرا أدبيا وسياسيا متميزا .

١١ - منبر الشرق (١٩٢٢) أصدرها فى جنيف بسويسرا الشيخ على القاياتى ثم من القاهرة عقب عودته من منفاه .

١٢-البلاغ (١٩٢٣) مسائية ناطقة بلسان حزب الوفد أصدرها عبد القادر حمزة .

١٣- كوكب الشرق (١٩٢٤) وفدية أيضا وأصدرها أحمد حافظ عوض .

١٤- المصور (١٩٢٤) أصدرها أميل وشكرى زيدان .

١٥- كل شىء (١٩٢٤) أصدرها أميل وشكرى زيدان .

١٦- العلم المصرى (١٩٢٥) أصدرها الحزب الوطنى الجديد .

١٧- روزاليوسف (١٩٢٥) أسبوعية فنية اصدرتها فاطمة اليوسف

١٨- الدفاع الوطنى (١٩٢٦) أصدرتها الحزب الوطنى الجديد أيضا .

١٩- الفكاهة (١٩٢٦) أصدرها أميل وشكرى زيدان .

٢٠- الدنيا المصورة (١٩٢٩) أصدرها أميل وشكرى زيدان

٢١ - الشعب (١٩٣٠) كانت ناطقة باسم حزب الشعب الذى أسسه أسماعيل صدقى .

٢٢- الجهاد (١٩٣٠) أصدرها محمد توفيق دياب (وفدية)

٢٣- الصرخة (١٩٣٣) ناطقة باسم جماعة مصر الفتاة قبل تحولها الى حزب سياسى .

٢٤- الأخوان المسلمون (١٩٣٣) ناطقة باسم جماعة الأخوان المسلمون .

٢٥- آخر ساعة (١٩٣٤) أصدرها محمد التابعى .

٢٦- الأثنين والدنيا (١٩٣٤) أصدرها أميل وشكرى زيدان .
٢٧- روزاليوسف (١٩٣٥) يومية وفدية أصدرتها فاطمة اليوسف التى سبق أن أصدرتها أسبوعية فنية .
٢٨- المصرى (١٩٣٦) أصدرها محمود أبو الفتح ومحمد التابعى وكريم ثابت وأصبحت وفدية تماما بعد أن استقل بها محمود أبو الفتح وكانت أوسع الصحف انتشارا .
٢٩- الوفد المصرى (١٩٣٧) ناطقة باسم حزب الوفد .
٣٠- الدستور (١٩٣٨) ناطقة باسم الحزب السعدى .
٣١- مصر الفتاة (١٩٣٨) ناطقة باسم حزب مصر الفتاة .
٣٢- أخبار اليوم (١٩٤٤)أصدرها مصطفى وعلى أمين أسبوعية .
٣٣- الكتلة (١٩٤٤) أصدرها مكرم عبيد بعد خروجه من حزب الوفد وتكوينه حزب الكتلة .
٣٤- اللواء الجديد (١٩٤٤) أصدرها فتحى رضوان .
٣٥- بنت النيل (١٩٤٥) أصدرتها درية شفيق ناطقة باسم المرأة .
٣٦- الكتكوت (١٩٤٦) للأطفال ثم كملحق لمجلة بنت النيل .
٣٧- جريدة الأخوان المسلمون (١٩٤٦) يومية ناطقة باسم جماعة الأخوان المسلمين .
٣٨- صوت الأمة (١٩٤٦) وفدية أصدرها صبرى أبو علم .
٣٩- النداء (١٩٤٧) وفدية أصدرها ياسين سراج الدين .
٤٠- الجماهير (١٩٤٧) أصدرها محمود النبوى .
٤١- الأساس (١٩٤٧) أصدرها السعديون .
٤٢- الزمان (١٩٤٧) أصدرها ادجار جلاد - مسائية
٤٣- صباح الخير (١٩٥١) للشباب عن دار روزاليوسف .
٤٤-الجيل الجديد (١٩٥١) عن دار أخبار اليوم .

وعقب ثورة ٢٣ يوليو صدرت أيضا العديد من الصحف والمجلات نذكر منها :

١- التحرير (مجلة) صدرت أول أكتوبر ١٩٥٢ وصدرت فى بادىء الأمر عن الشئون العامة للقوات المسلحة الى أن تم أنشاء دار التحرير للطباعة والنشر سنة ١٩٥٣ فصدرت عنها .
٢- القاهرة (١٩٥٣) صباحية ثم مسائية لصاحبها أسعد داغر
٣- الجمهورية (١٩٥٣) لسان الثورة .

٤- الرسالة الجديدة (١٩٥٤) عن دار التحرير للطباعة والنشر

٥- حواء الجديدة (١٩٥٥) عن دار الهلال .

٦- الشعب (١٩٥٦) واتحدت مع الجمهورية فى جريدة واحدة باسم الجمهورية جريدة الشعب (١٩٥٩)

٧- المساء (١٩٥٦) مسائية عن دار التحرير للطباعة والنشر .

٨- الطليعة (١٩٦٥) شهرية يسارية عن الأهرام .

٩- أكتوبر (١٩٧٦)عن دار المعارف

١٠- مصر (١٩٧٧) ناطقة باسم حزب مصر العربى الاشتراكى .

١١- الأحرار (١٩٧٧) ناطقة باسم حزب الأحرار الأشتراكيين .

١٢- الأهالى (١٩٧٨) ممثلة لليسار وناطقة باسم حزب التجمع الوطنى التقدمى العربى .

١٣- الشعب (١٩٧٩) ناطقة باسم حزب العمل الأشتراكى .

١٤- مايو (١٩٨١) ناطقة باسم الحزب الوطنى الديمقراطى

١٥- مصر الفتاة .. توقف صدورها .. ناطقة باسم حزب مصر الفتاة مع وجود صراعات داخل الحزب لم تحسم الى الآن(١٩٩٥)

١٦- العربى (١٩٩٢) الجريدة الناطقة باسم الحزب العربى الديمقراطى الناصرى.(٧٠)

★ الصحافة كظاهرة ★

لقد اصبحت الصحافة ظاهرة شملت دول العالم اجمع ، وتواجدت فى اشكال عديدة من الصحف والمجلات وهى تنتشر بالآلاف حتى فى نطاق الدولة الواحدة ، بينما

يتضاءل عدد الصحف والمجلات فى بعض البلاد الى عدد محدود لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة ، وقد تكون صحيفة واحدة فى دولة تخضع لنظام شمولى يصدر عنه تلك الصحيفة الواحدة ، ولعل من المناسب أن نضرب مثلا بفرنسا التى يتسع فيها نطاق حرية التعبير الى مدى بعيد ففى عام ١٩٨١ كان يوجد بها ٣٣,٠٠٠ ثلاثة وثلاثون ألف جريدة ومجلة وهذه الصحافة تجدها تنقسم وتنقسم الى اعداد هائلة من النوعيات والأسماء ، ويلاحظ أن هذا الحشد الضخم غير المتجانس يتغير تغيرا مستمرا ومظاهره تختلف غالبا من نوعية لأخرى وبالتالى تتبين

---

(٧٠) المرجعان الأساسيان لهذا الأحصاء هما :

١- الموسوعة العربية الميسرة - مصنف صحافة (مرجع سابق)

٢- وسائل الأتصال نشأتها وتطورها - دكتور خليل صابات (مرجع سابق)ولمزيد من المعلومات والأحصائات بشأن الصحف والمجلات المصرية والعربية والأجنبية يرجع الى المصدرين السابقين

الاختلافات والتناقضات بين الفئات التى تصدرها كما يتبين ايضا تنوع أذواق ومتطلبات قارئيها [(٧١)]

" اما فى المانيا الاتحادية - الاتحادية والديمقراطية قبل توحيد الالمانيتين - ففى عام ١٩٨٣ أصبح يصدر بها ١٢٥٥ جيدة يومية وفى الولايات المتحدة الامريكية ١٧٤٤ جريدة يومية اذ يوجد ضمن ٦٦٠٠٠ ست وستون ألف مدينة ١٥٤٤ مدينة تمتلك كل منها جريدة محلية واحدة على الاقل [(٧٢)]

وفى جمهوريات ما كان يسمى بالاتحاد السوفيتى تنتشر الصحف والمجلات ويتسع نطاق اصدار نوعيات مختلفة منها ، فهناك الصحف التى تصدر مركزيا والصحف الأخرى التى تصدر فى الجمهوريات التى يتكون منها الأتحاد السوفيتى السابق بالاضافة الى الصحافة الإقليمية والصحافة المنبثقة عن مؤسسات الدولة " حيث توجد ١٣,٤٠٠ ثلاثة عشر الف وأربعمائة من المطبوعات منها ٥٢٠٠ من المجلات المتخصصة و٨٢٠٠ جريدة إخبارية و ٤٠٥ جريدة يومية ، وتستعين الصحافة ب٧٥ لغة من لغات شعوب الاتحاد السوفيتى ولكن اللغة الروسية هى السائدة .."[(٧٣)]

وقد استطاع الدكتور ابراهيم المسلمى احصاء ٣٩٩ صحيفة محلية صدرت فى مصر في الفترة من ١٥ فبراير سنة ١٨٨٦ الى ٣١ يناير ١٩٨٦ توقف صدور معظمها بينما سجل صدور ثلاثين صحيفة اقليمية خلال سبع سنوات فقط من أول يناير سنة ١٩٧٩ حتى آخر يناير ١٩٨٦ " سواء مملوكة لأفراد إو لهيئات حكومية وشعبية وهى نسبة ليست قليلة فهناك صحيفة تصدر كل ثلاثة شهور تقريبا وهذا يعنى إن هناك انطلاقا جديدا فى صحافتنا الأقليمية بدأت تظهر بشائره " [(٧٤)]

---

(٧١) بيير البير - الصحافة - ترجمة فاطمة عبد الله محمود - الألف كتاب الثانى - ٤٤-الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ .

(٧٢) المرجع السابق

(٧٣) المرجع السابق

(٧٤) د. إبراهيم عبد الله المسلمى - الصحافة الاقليمية فى مصر - نشأتها وتطورها - مطبعة بسم الله ١٩٨٨

وبالرغم من القيود العديدة المفروضة على اصدار الصحف ، فقد صدرت عن الأحزاب السياسية فى مصر العديد من الصحف والمجلات مركزيا واقليميا ومحليا،بالأضافة الى ما يصدر من صحف بترخيص من دول اجنبية ، تفاديا لمشاكل الترخيص فى مصر ، وبذلك تكون الصحافة على المستوى المركزى ، والصحافة الأقليمية والمحلية بصفة عامة،تشهد ازدهارا واضحا في مختلف انحاء العالم وبصفة خاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية والأتحاد السوفيتى السابق والمملكة المتحدة وفرنسا بل والصين واليابان أيضا والكثير من بلدان آسيا وأفريقيا .

★ فى محاولة لتصنيف الصحف ★

اننا اذا حاولنا تقديم تصنيف صحيح للصحف بصفة عامة،فإننا سنجد بحكم ما هو قائم فعلا صعوبة كبيرة فى تقسيم الصحف الى أنواع تختلف بصورة واضحة عن بعضها البعض،فيما يتعلق بالصحف اليومية بصفة خاصة،والتى تجعل من الأخبار الدعامة الأساسية التى تقوم عليها، وهى سمة مشتركة بين جميع الصحف ، فبالأضافة الى الأخبار المحلية والقومية والعالمية توجد أيضا الموضوعات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والادبية والتحقيقات الصحفية التي تتمثل أساسا فى تغطية أحداث بعينها، ويقدم عنها ما يمكن أن نطلق عليه الرواية الاخبارية ، فالصحف تمثل المصدر الاساسى لمعلوماتنا عن الأحداث اليومية وعن كل ما يجرى حولنا " والحكم على قيمة الاخبار واهميتها يتوقف على شخصية الجريدة ، فمن الصحف ما يسعى الى الاثارة أكثر مما تسعى اليها صحف أخرى ، وبعض الصحف يصرخ حتى يسترعى انتباه القراء،بينما البعض الآخر يتحدث بلهجة أخف [٧٥] وهكذا يتسع نطاق الاخبار ليشمل اخبار الجرائم والحوادث واسرار المشاهير والنجوم وما يعتبر من الفضائح،ونواحى التسلية والترفيه بما فيها قراءة الطالع او ماذا تقول النجوم (البخت)،ثم الاعلانات والخدمات المختلفة مثل الأحوال الجوية وأسعار العملات والبورصة ونتائج المباريات الرياضية الهامة ، إنها فى مجموعها تتناول زوايا الاهتمامات الانسانية، والصحف تشبع ذلك الاهتمام الانسانى " عن طريق اختيارها " لبعض الاخبار ومعالجتها بواسطة المقال او النقد اوالتعليق السياسى او الاجتماعى الى غير ذلك ، فهى فى محتواها تخاطب اتجاهات القراء إذ أن كل قارىء يشترى الصحيفة التى تناسب اتجاهاته

---

(٧٥) مرجع سابق . An Introduction to Media

أو تحاول الصحيفة ان تقنع قراءها حتى وان اختلفت اتجاهاتهم [٧٦]

ان هذا التنوع فى المادة الصحفية يتضح بصورة أكبر فى الاعداد الاسبوعية التى تصدرها الصحف اليومية ، مثل اخبار اليوم (السبت) وأهرام الجمعة وجمهورية الخميس والعدد الاسبوعى من جريدة المساء (السبت) وفى المملكة المتحدة والولايات المتحدة يوجد ما يعرف بصحف يوم الاحد ، وتكاد تكون ظاهرة خاصة بالبلدين ولها اهمية كبيرة وتوزع على نطاق واسع، وهذه الظاهرة الواضحة فى عادات الأنجليز وأهل أمريكا الشمالية فى استهلاكهم للصحافة ليس لها وجود فى القارة الأوروبية حيث نجد ان صحافة اليوم السابع من الاسبوع تحتفظ بنفس بناء الصحف اليومية حتى اذا كانت صفحات الرياضة والمواضيع الترفيهية فيها كبيرة ومتعددة بشكل ملحوظ "[٧٧] وهكذا تبقى الصحيفة اليومية المصدر الأساسى للاخبار والصحيفة أو الجريدة العظيمة كما يصفها ويقول عنها ادوارد واكين Edward Wakin [*]

هى فى الأساس جريدة تقوم باكتشاف الأخبار وتنظيمها وطبعها ، وهى أخبار مرهونة بوقتها ، لها أهميتها وتستأثر بعناية الناس واهتمامهم وتؤدى هذه المهمة وفقا لأصول المهنة وبطريقة جذابة وهى جريدة ذات وقار تعد بحذق وتزدهر بفضل دقتها وعمقها وتحرص فى احسن أحوالها على ان تقدم المعلومات الهامة بأسلوب يبعث على الاهتمام دون ان تشوهها [٧٨]

★ شخصية الصحيفة ★

مما تقدم يتضح فعلا مدى صعوبة تقديم تصنيف دقيق شامل لأنواع الصحف ، ومع ذلك فهناك بالضرورة بعض الاختلافات بين صحيفة وأخرى فيما يتعلق بالشكل، وفيما يتعلق بمواعيد الصدور صباحا او مساءا ، وفيما يتعلق بالاتجاهات ، خاصة الاتجاهات الحزبية والايدلوجية والنظرة الي العالم ، ويتمثل كل ذلك بصورة واضحة فى الآراء التى تنشر فى الصحيفة فى أعمدة الرأى والمقال الصحفى والتى تجعل للصحيفة شخصية خاصة متميزة تعرف بها ، وتتضح معالم تلك الشخصية المميزة أيضا عن طريق معالجة الاخبار التى تختارها ، فهى أمام عملية نبذ واختيار للأخبار التى تناسب أو لا تناسب اتجاهاتها وتوجهاتها، وهى بعد عملية النبذ والاختيار تقدم الرواية

---

(٧٦) د. دكتور عبد العزيز الغنام - مدخل فى علم الصحافة- الجزء الاول - مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٧.

(٧٧) بيير البير - مرجع سابق

(*) ادوارد واكين أستاذ مادة الاتصالات بجامعة فوردهام الأمريكية

(٧٨) مرجع سابق

الاخبارية او التحقيق الصحفى لما تراه جديرا بان يتم تناوله بدرجة اكبر من التفصيل ، فالصحيفة دائما مع أو ضد، والموقف المحايد أكذوبة ، فالصحيفة التى تزعم انها محايدة بعدم خوضها فى الأمور السياسية والاجتماعية التي تهم الشعب انما تتخذ موقفا يكرس أوضاعا قائمة لكى يبقى الحال على ما هو عليه ، وكان ذلك اوضح ما يكون فى بعض الصحف التى كانت تصدر فى بدايات الاحتلال الانجليزى لمصر ، وكانت تحظى دائما برضاء سلطات الاحتلال،فاستمرت ولم توقف ولم تصادر يوما،وهكذا نستطيع معرفة وتحديد هوية كل صحيفة،وقد حدد ادوارد واكين شخصيات عدد الصحف الامريكية في كلمات قليلة إذ يقول :

١- جريدة New York Daily News:ان حولنا اوغاد وجرائم من كل نوع ... اقرأ أخبارهم الوافية مع الصور .

٢- Washington Post: اليقظة واجبة،حتى لا يفلت الأمر من يدك،طالع جريدتنا فتتنبه سلفا الى ما هو خليق بان يقع "(٧٩)

وفى ظل نظم الحكم الشمولية فى مختلف انحاء العالم من الممكن ان نجد شخصية الصحيفة متمثلة فيما يلى :

* ان لدينا نظاما للحكم وحكومة نؤيدها ومهمتنا الدفاع عن سلبياتها وتحويلها الى انجازات.

وقد نجد الصحيفة أخري لهاالتزامات فكرية اوسياسية أو اجتماعية تقول :

* إننا نواجه موجه عارمة من الفساد ولن ندع المفسدين ينعمون بما ارتكبوه من جرائم فى حق الوطن .

★ المجلات بين العمومية والتخصص ★

أما بالنسبة للمجلات فاننا نواجه بسيل منها يتضح فيه مدى التنوع الكبير فى الشكل والمضمون معا ، والتنوع يشمل مواد المجلة ذاتها ، فالمجلة العامة غير النوعية، والمجلة فى اللغة تعنى الصحيفة تجمع طرائف المعرفة (٨٠) وفى الفرنسية فأن كلمة مجلة .Magazine . تعنى المحل التجارى،وهو ما يربط بين المقصود بالمحل التجارى الذى تتنوع فيه البضائع المعروضة وتنوع

---

(٧٩) المرجع السابق .

(٨٠) انظر : المعجم الوجيز - مصنف المجلة - مجمع اللغة العربية - القاهرة .

المواد المنشورة فى المجلة ، ولعلنا نجد فى ذلك بعض الارتباط بين ما سبق أن ذكرناه من أن ان الصحيفة نشأت من خلال ما كان يصدره شخص ما عن السلع وأسعارها وبائعيها داخل السوق ، وما تبع ذلك من إضافة مواد تحريرية أخرى إلى أن تكامل شكل الصحيفة ومضمونها من اعلام واعلان وتسلية وتثقيف واثر ذلك على تكوين الرأى العام .

والتنوع فى المضمون تنوع ملموس،يعطى لكل مجلة شخصيتها المتميزة،سواء من ناحية الموضوعات التى تهتم بنشرها ، والاسلوب الذى تتبعه فى معالجة تلك الموضوعات،مثلما هو الحال مع الصحيفة ، لكن المجلات فى مجموعها تتنوع فى تخصصاتها بقدر تنوع الحاجات والاهتمامات والأذواق والحرف والوظائف والمهن الخاصة ، ومن المجلات ما هو جاد او وقور او سمج او مشبع بالتقوى او ثرثار او مشاكس أو لاه أو ممل أو جسور أو بذىء أو عادى أو مسرف ، والمجلة بوصفها وسيلة من وسائل الاتصال،تستطيع ان تجمع بين هذه الصفات جميعا لانها تقدم شيئا لكل شخص [٨١]

لكن المهم ان تبقى لكل مجلة شخصيتها من خلال نوعية اهتماماتها وطرق معالجتها لتلك الاهتمامات ، لقد اصبح التخصص سمة من سمات العصر، وقد برز هذا الاتجاه التخصصى فى مجال إصدار المجلات بدرجة كبيرة ، فهناك مجلات المرأة والطفل والاسرة والشباب والمراهقين والزراعة والصناعة والتاريخ والجغرافيا والهوايات والرياضة والفكاهة والحدائق ودليل الراديو والكاريكاتير والقصص المسلسلة ودليل التليفزيون والسينما والمسرح والبيئة،بل وتخصصات دقيقة مثلما هو الحال فى مجلات الهوايات،فنجد مجلة خاصة بالشطرنج أو نجد فى المجلات الطبية مجلة خاصة بأمراض القلب ، وفى الحدائق مجلات خاصة بزراعة الزهور،وفى شئون المنزل مجلات خاصة بترتيب الزهور أيضا،ولنضرب لذلك مثلا أكثر وضوحا عن بعض المجلات النسائية الأمريكية فهناك مجلة Woman's Dayوهى مجلة نسائية نوعية عامة شاملة بينما نجد مجلة Essence تتخصص فى مخاطبة المرأة السوداء ومجلة Sports Woman and Woman's Sports وتختص بالرياضة الخاصة بالمرأة ومجلة Cosmopolitan وتختص بالفتاة الأمريكية

---

(٨١) الصحافة بيير البير - مرجع سابق .

ومجلة Mccalts وتخاطب المرأة الجديدة ومجلة Redbook تخاطب المتزوجين والمتزوجات حديثا .

هذا ويتسع نطاق التخصص ووضوح الشخصية اوالهوية من خلال المجلات التى تصدر عن الاحزاب السياسية والجمعيات الخاصة والطوائف والاتحادات والنقابات والشركات والهيئات المختلفة والأندية وغيرها .

★ المجلات المصورة ★

تلعب الصورة دورا هاما فى الصحافة الحديثة ، فالصورة لها القدرة على ان تحكي وتروى وتعلق وتؤكد وتثبت بالدليل الواضح ، وبها ندرك وعن طريقها نقتنع وننفعل وتبرز ردود افعالنا ، وقد اتجهت المجلات بصفة خاصة الى استخدام الصورة علي نطاق واسع ، والاجهزة الحديثة جعلت نقل الصور لمسافات بعيدة أمرا ممكنا وبقدر كبير من الدقة والفورية ، وفى مصر نجد مجلة المصور ومجلة آخر ساعة مثالين واضحين للمجلات المصورة ، ولكن هناك مجلات مصورة قامت على اساس ان تحتل الصورة مكان الكلمة ، وعرفت الصحافة ما يسمى بالمقالات المصورة ، وقد ظهر هذا الاتجاه اولا فى المانيا ، ثم فى الولايات المتحدة الامريكية بصفة خاصة وان جاءت نهايته نهاية مأساوية ، والمجلة الرائدة فى هذا المجال هى مجلة Life الامريكية التى صدر العدد الاول منها فى ٢٣ نوفمبر ١٩٣٦ ثم مجلة Look الامريكية أيضا وقد صدرت بعد المجلة الاولى بعامين ، واما عن النهاية المأساوية ، للمجلات المصورة فتتمثل فى عدم قدرتها على الصمود اقتصاديا ، فقد عجزت مجلة Look عن الاستمرار واحتجب عام ١٩٧١ بالرغم من وصول رقم توزيعها الى ٦،٥ مليون نسخة ثم مجلة Life التى توقفت عام ١٩٨٢ وكان توزيعها ٨،٥ مليون نسخة(*) بينما صمد الأتجاه بنحو التخصص الموضوعى والنوعى للمجلات الى جانب المجلات العامة الشاملة،وجميعها تتمتع بالقدرة على تناول اهتمامات القراء بقدرة فائقة على التحليل والتفسير .

(*) توقفت مجلة Life بصفة خاصة بسبب المزاحمة التلفزيونية وارتفاع تكلفة إصدارها،حيث وصل هامش ربحها بالنسبة للدولار الواحد ٣،٥ سنتا فقط،ويهبط هذا الربح سنة بعد سنة بسبب التضخم،بالاضافة الى زيادة اجور البريد

★ سلعة سريعة التلف ★

نعود للحديث عن الصحيفة وخصائصها والتى تتكون أساسا من مجموعة من الأخبار نقرأها ونستوعبها فى كافة صور المعالجة الفنية الحرفية للعمل الصحفى ، وقد نعود اليها متى أردنا ، نتصفحها ثم نختار ما يروق لنا او يحظى باهتمامنا،فنتانى فى قراءته واستيعابه ، ومع ذلك فالصحيفة تبقى سلعة سريعة التلف والبوار ، وان كان من الممكن ان تحتفظ بقيمتها بعد ذلك كتاريخ ، وهى بهذه الصفة لا يتم تداولها إلا من خلال المكتبات العامة او حيث يحتفظ باعدادها كاحد مصادر التاريخ ، فدور الصحيفة كمصدر نستقى منه الأخبار ينتهى بعد لحظات من صدورها ، لان عجلة الأحداث تدور ولا تتوقف ابدا عن الدوران،فكل لحظة تاتى بخبر جديد وما يحدث الان عرضة للتغيير والتبديل بعد لحظات،فطبيعة الخبر انه يقدم معلومات جديدة وانه يتصف بالآنية والفورية Newsupdates مهما اختلفت صور تناوله من مجرد خبر الى تعليق او تحقيق صحفى او رواية اخبارية او مقال تحليلى .

★ الصحافة والرأى العام ★

ان ما ينشر فى الصحيفة يقصد به أن يقرأ ، إن ما ينشر يمثل رسالة اعلامية يتلقاها مستقبل هو القارىء،فاذا وصلتنى الرسالة فقد عرفت ، وهى لابد محدثة بى أثرا ، فاذا كان الخبر فى مختلف صوره يقدم معلومات جديدة عن أحداث جديدة او يكشف عن احداث او افعال مضت لكنها تعرف لاول مرة ، فهى هنا تكسب جدتها لا من تاريخ حدوثها لكن من واقع الكشف عنها ، والاعلام عنها،وهى لابد ان تستحوذ على الاهتمام لما لها من اهمية بالنسبة للمتلقى أى القارىء ، تلك الاهمية النابعة من درجة تأثير الأحداث المطروحة على حياتنا،ورد الفعل الاساسى هنا هو تكوين رأى عام إزاء الاخبار والاحداث والقضايا والآراء والافكار المعلن عنها،والرأى العام عبارة عن وجهات نظر معظم أفراد الجماعة حيال ما تطرحه الصحيفة من قضايا واحداث وقرارات بل وحيال متخذى تلك القرارات التى تفرض نفسها من خلال دورها المؤثر على الافراد والمجموع ، ان الصحيفة تمدنا بسيل من المعلومات التى تتناول أحداث العالم الكبرى والاحداث المحلية وآراء

وافكار الشخصيات العامة والبارزة بل وآراء وافكار كل من له علاقة بتلك الاحداث مهما صغر شأنه ، ونحن نهتم بأخبار الشخصيات العامة من الحكام والقادة والمفكرين والسياسيين وغيرهم لما لهم من تأثير على حياتنا حتى من خلال تصرفاتهم الشخصية ، فانحرافات متخذى القرارات المؤثرة وان كانت تبدو تصرفات أو كسلوك شخصى،الا انها تؤثر بالضرورة على عملية اتخاذ القرار والذى تنعكس آثاره على المجموع ، بل ان اخبار الانجازات العلمية والاختراعات والاكتشافات الطبية والعلاجية لا نهتم بها كمجرد انجازات،بل لما سيكون لها من تأثير على حياتنا ، وتناول كل ذلك بالشرح والتفسير والتحليل والنقد والتعليق ، انما يساعد على تكوين رأى عام مؤثر قد يوافق على القضايا المطروحة او يعارضها او يتخذ موقفا حياديا او موقفا وسطا ، وهو هنا يمثل رأى الجماعة،بل هو حُكم صادر من المحكمة العليا لجماهير الشعب،ومع ذلك فان القضية ليست بهذا القدر من البساطة ، فالرأى العام يمكن تحويله وتعديله،ويمكن خداعه وتضليله،ويمكن تحييده ويمكن تسييسه وتوجيهه، وهذا ما يجعل الصحفيين الشرفاء يقفون دائما فى مواجهة مسئولياتهم وضمائرهم،فأقلامهم أسلحة ينبغى ألا تستخدم الا لصالح المجموع .

★ سلطة رابعة ورقابة شعبية واعية ★

هكذا استطاعت الصحافة تاكيد مكانتها كسلطة رابعة بعد السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية ، سلطة رابعة تمثل ضمير الشعب ونبض الشارع ودفاع الجماهير عن مصالحها ، وقد اثبتت الصحافة كسلطة رابعة قدرتها الفائقة على التأثير وتحويل الأفكار واحداث التغيير،لقد كانت البداية نهاية الحكم الملكى فى مصر ما أثارته الصحف المصرية عن الاسلحة الفاسدة وكشف نواحى الظلم التى كان يعانى منها جماهير الشعب خاصة الفلاحين،والذى كانت ذروته ما أثارته بعض الصحف عن احداث قرية"بهوت"التى ثار فلاحوها عام ١٩٥١ ضد اقطاعى يمتلك أراضى القرية جميعها ، وقد أنهت جريدة أخبار اليوم أحد تحقيقاتها عن احداث تلك القرية بعبارات تقول:

« وما وقع هذا الأسبوع ليس حادثا بسيطا ... وليس معركة كما يقولون ... بل أخطر من

الاثنين بكثير . انها نتيجة طبيعية لان تمتلك أسرة واحدة كل شيء الارض ووزارة المالية .. والحكومة كلها »[٨٢]

وكانت هناك مجموعة من التحقيقات التى نشرت بشأن محاولة هدم حى عابدين المحيط بقصر عابدين وتفريغه من سكانه من عامة الشعب من اجل تجميل المنطقة المحيطة بالقصر وقد تصدى لهذه العملية بصفة خاصة الكاتب أحمد حسين فى مقالات ملتهبة يهاجم فيها الملك السابق فاروق جعل لها عنوانا يقول " رعاياك يا مولاى " ..!!

وفى الولايات المتحدة الأمريكية استطاعت صحيفة . Washington Post . اسقاط الرئيس الأمريكى نكسون بكشفها ما يعرف بفضيحة . Water Gate. وأخرجته من البيت الأبيض فى أغسطس ١٩٧٤، وهى الفضيحة المتعلقة بقيام رجال الرئيس بالتجسس والتنصت على المكالمات الهاتفية للحزب المعارض اثناء انتخابات الرئاسة الأمريكية ، كما اخرجت الأنباء التى نشرت عن فضيحة ما يعرف بـ.Iran Gate العديد من مساعدى الرئيس ريجان ، وهى قضية بيع الأسلحة لإيران وتحويل حصيلة البيع لثوار الكونترا بأمريكا اللاتينية ، بل ان التحولات الكبرى فى اوربا الشرقية التى شملت المانيا الديمقراطية (سابقا) وبولندة ويوغسلافيا السابقة وتشيكوسلوفاكيا قبل تقسيمها إلى دولتين والمجر وغيرها ، إنما يرجع أساسا لما تناولته الصحف من أخبار عن التحولات التى يشهدها الاتحاد السوفيتى السابق ، جورباتشوف وسياسته من خلال البروسترويكا " prostrioca أى اعادة البناء والجلاسنوست glasnost أى التحدث بصوت عال أى المصارحة . وفى مصر لنا ان نذكر كيف استطاعت جريدة الأهرام بنشر خبر عن أحد المحافظين يقول انه قد اوقف قطارا ، توربينيا يعمل بين العاصمة القاهرة ومدينة الاسكندرية ذهابا وايابا وغير مسموح له بالتوقف فى اى مدينة أخرى متوسطة ، يقول انه قد اوقف هذا القطار فى محطة طنطا المتوسطة لكى يحضر مناسبة قومية اتضح فيما بعد انها مباراة لكرة القدم وتناولت الموضوع ذاته عدد من الصحف الأخرى ومنها صحف المعارضة وكانت النتيجة اهتزاز مكانة ومقعد المحافظ وإقالة اكبر مسئول فى هيئة السكك الحديدية وكان المحافظ من اقوى الوزراء المحافظين واصبح الخبر من ابرز اخبار عام ١٩٩٥، كما استطاع صحفى ناشىء فى جريدة معارضة هى جريدة (الشعب) اخراج واحدا من اقوى الوزراء هو اللواء زكى بدر وزير الداخلية

---

(٨٢) يرجع الى التحقيق الصحفى المنشور فى عدد جريدة أخبار اليوم الصادر يوم ١٩٥١/٦/٣ تحت عنوان : أخبار اليوم تحقق حادث يهوت - لماذا حرقوا قصر البدراوى ؟

قام بتسجيل خطبة سياسية له ونشر تفاصيلها فى الجريدة وكان بها العديد مما يؤخذ عليه كوزير مسئول وتم اقالة الوزير القوى .

وهكذا لم تعد الصحف تنقل الأخبار،بل اصبحت تصنع الأنباء وهكذا يتأكد دور الصحافة وسطوتها وتأثيرها الفعال كسلطة رابعة وكرقابة شعبية واعية تستعيد معها مقولة منسوبة لنابليون بونابرت « أنى أخشى صحفا ثلاث ضدى أكثر مما اخشى ألف بندقية "

★ سلطة رابعة ... ولكن ★

لكن الحديث عن الصحافة كسلطة رابعة « وكرقابة شعبية وابراز دورها الفعال فى تكوين الرأى العام المؤثر ، وتعديل السلوك والعادات والحرص على المصالح العليا للشعب ، وتأكيد دورها كعامل ايجابى يساعد على تحقيق التنمية ، وتثبيت القيم النبيلة ، ونبذ كل ما يعوق التقدم فى كافة المجالات ، لكن الحديث عن الصحافة من خلال تلك الجوانب المشرفة،لا يقدم لنا سوى جزءامن الحقيقة ، فالصحافة مثلها مثل غيرها من وسائل الاتصال الجماهيرية إذا ما أسيء استخدامها،تصبح قادرة على ترسيخ اوضاع عقيمة ، وقيم سلبية بالية ، وتساهم على تحويل الرأى العام نحو غايات يخطط لها قوى مسيطرة ، سواء كانت تلك القوى قوى متحكمة عن طريق سطوتها ونفوذها الاقتصادى الاحتكارى ، أو نفوذها السياسى ، والتى تكون بمثابة جماعة ضغط Lobby اقتصادية أو سياسية بصفة أساسية،ولعل المثل الواضح الصارخ هو جماعات الضغط التى تنظمها الصهيونية العالمية واسرائيل ، وهى جماعات ضغط مؤثرة تتحكم فى وسائل الاتصال الجماهيرية فى الأماكن الحساسة من العالم مثل فرنسا ، والمانيا الاتحادية والمملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية ، وحول تأثير اللوبى الصهيونى على وسائل الأعلام فى العالم بعد حرب عام ١٩٦٧ يقول مستر هارولد بايلى سفير المملكة المتحدة السابق فى القاهرة والذى عمل ممثلا لبلاده فى الامم المتحدة فى جنيف :

«ليس فى نيويورك كلها امريكى واحد يعتقد بان اسرائيل هي التى بدأت العدوان ، وان اوربا كلها تعرف ان اسرائيل هى التي بدأت العدوان ، لكنها لا تجد امامها معتديا الا العرب»[٨٣]

وهكذا يظل التحيز والتضليل الاعلامى الي أقصى مدى فى وسائل الاتصال الغربية . ان التحيز كما يرد على ألسنة معظم الناس فى نقل الأنباء وتحريرها يعنى المحاباه والتحيز . اي تعمد صياغة مضمون الأنباء وتقديمها بصورة يراد بها نصرة قضية حزب معين

(٨٣) جريدة الأهرام القاهرية فى ٣١ يوليو ١٩٦٧

ومرشح معين وايدلوجية معينة [٨٤]

والتضليل الاعلامى يمارس على اوسع نطاق فى الولايات المتحدة الامريكية بصفة خاصة ، ويجعل ذلك ما يطلق عليه حرية الصحافة أكذوبة كاملة ، وحول ذلك يقول هربرت أ. شللر أستاذ مادة وسائل الاتصال بجامعة كاليفورنيا :

" انه من الصحيح تماما فى تصورى وصف الولايات المتحدة الامريكية بانها مجتمع منقسم يمثل فيه التضليل الاعلامى احدى الادوات الرئيسية للسيطرة فى ايدى مجموعة صغيرة حاكمة من صناع القرار من اصحاب الشركات ومسئولى الحكومة " [٨٥]

اننا يجب ان نضع الى جانب تلك الصور القاتمة الصورة الأخرى المشرقة للصحافة الملتزمة التى تعمل على المحافظة على المصالح العليا للشعب ، فالصحافة ستظل بالرغم مما قد يشوه صورتها فى بعض البلاد شرقا وغربا ، ستظل منبرا للحرية والقيم الايجابية النبيلة والحق والعدل ، وستظل وسيلة من وسائل تطوير حياتنا ، وسلطة رابعة حقيقية وأداة رقابة شعبية منحازة دوما لصالح الجماهير .

★ طريق محفوف بالاخطار ★

وتاريخ الصحافة فى عالمنا العربى حافل بنماذج مشرقة للصحافة الحرة النبيلة سبق ان قدمنا نماذج من بعض فعالياتها،وقد كافح الكثير من الرواد من اجل تأكيد دور الصحافة كسلطة رابعة وكقوة قادرة على قيادة الجماهير نحو المستقبل ، وقد تحملوا فى سبيل ذلك الكثير من صنوف العنت والقهر من قبل السلطات الاستعمارية والقوى المعادية لمصالح الشعوب ، ولعل اوضح مثال على ذلك فى عالمنا العربى هو ما جاء في قانون المطبوعات المصرى الصادر أيام الاحتلال الانجليزى لمصر والذى كان يسمح بالقبض على كل من يمارس مهنة الصحافة بتهمة التشرد حتى لو كان يعمل فى مهنة اخرى ، ويوصف الصحفى بأنه جورنالجى او جازيتا تجى على سبيل التحقير ، ويروى الاستاذ سلامة موسى حكاية عاصرها وكان شاهدا عليها فيقول :

" اذكر انى كنت فى دكان حلاق كنت اوثره على غيره لانه كان يستخدم حلاقا يدعى

---

(٨٤) أوستن رانى - قنوات السلطة - ترجمة موسى جعفر - سلسلة المائة كتاب بغداد ١٩٨٦

(٨٥) هيربرت أ شيللر - المتلاعبون بالعقول - ترجمة عبد السلام رضوان - سلسلة عالم الفكر -١٩٨٦ ، الكويت

المصرى* كانت له اتصالات بالصحافة ،وكان يجيد الكتابة فى شئون العمال ، وبينما هو يشتغل بقص شعرى إذا بشرطى يدخل ويلقى القبض عليه ويقيده ، وكانت التهمة التى سيق بها الي مركز البوليس هى " التشرد "،كما القى القبض فى مدينة المنيا فى صعيد مصر على موظف حكومى هو//على صادق سلامة وتم تسليمه " انذار تشرد" وكان كل ما ارتكبه انه كان يراسل صحف القاهرة وينتقد المدير والوكيل فى المديرية وقد اصدر بعد ذلك صحيفته الاسبوعية باسم " الانذار " فى ذكرى هذا الحادث " (٨٦)

أما الشيخ على يوسف صاحب جريدة « المؤيد » اكبر الصحف المصرية فى زمانهاوكان صحفيا لامعاءواحد قادة الرأى العظام فله حكاية غاية فى الغرابة،إذ حكم القاضى الشرعى بالتفريق بينه وبين زوجته ابنة الشيخ عبد الخالق السادات شيخ الطريقة الوفائية،وكان من الاشراف الذين يقال ان نسبهم ينتهى الى النبى ﴿ﷺ﴾ اما سبب التفريق فكان كما جاء فى قول الشهود الذين جاء بهم الشيخ السادات ان الشيخ على يوسف بدأ عمله فى الصحافة مصححا ، وهذا عمل وضيع ولا يفعله إلا عديم الأصل ، ووقف محامى الشيخ السادات يمجد موكله ويقول انه يعيش على أملاك واسعة تركها له آباؤه الأمجاد ، ويقارن بينه وبين الشيخ على يوسف الذى يضطر الى العمل لكسب رزقه ويحترف مهنة حقيرة هي الصحافة ، وهى مهنة دنيئة يحرمها الشرع الاسلامى لانها تقوم على الجاسوسية وكشف الاسرار وهذا منهى عنه شرعا ....." (٨٧)

لقد كان طريق الصحافة وعرا محفوفا بالاخطار، أخطار تحقير المهنة ، وأخطار عدم انتظام الكسب وضآلته ، وأخطار مصادرة الحرية ذاتها ، وبالرغم من كل ذلك فقد شق الصحفيون طريقهم وانطلقوا محققين اسمى درجات النجاح ، واصبح للصحافة والاعلام معاهد متخصصة يتلقى فيها صحفيو واعلاميو المستقبل الدراسة الاكاديمية المناسبة مثل كليات واقسام الاعلام فى جامعات القاهرة والزقازيق وسوهاج والاسكندرية وغيرها ، وهكذا اصبحت مهنة الصحافة مهنة من أشرف وأعظم المهن التى يتطلع اليها شبابنا بامتداد ارضنا العربية ، وفى كل مكان من العالم ، مهنة يضحى افرادها بوقتهم وجهدهم بل وحياتهم من أجلها ، ففى عام ١٩٧٠ قتل سبعة عشر صحفيا فى كمبوتشيا وحدها،واذا رجعنا الى تقرير رابطة " صحافيون بلا حدود " فى فرنسا نجد ان

---

(٨٦) سلامة موسى – الصحافة حرفة ورسالة – مطبعة مصر –١٩٥٨ .

(٨٧) د. عبد السلام الترمانينى – الزواج عند العرب فى الجاهلية والاسلام – سلسلة عالم المعرف – الكويت ١٩٨٤ – مرجع سابق

ثمانية وعشرون صحفيا قد قتلوا منذ بداية عام ١٩٨٩ فى أنحاء متفرقة من العالم،وأثناء أداء مهمتهم الصحفية وفرضت الرقابة والحظر على ٩٢١ صحيفة واعتقل اكثر من ٢٥٠ صحفيا كما قتل العشرات من الصحفيين فى الجزائر خلال الصراع الدائر هناك بين الجيش الجزائرى والمعارضة الاسلامية بعد الغاء الانتخابات البرلمانية التى فاز فيها الاسلاميون وكادوا يؤكدون فوزهم فى المرحلة الثانية من الانتخابات والوصول الى الحكم .

كما سقط العشرات من الصحفيين فى جمهورية البوسنة والهرسك على مدى اكثر من ثلاث سنوات حتى عام ١٩٩٥ وهم يؤيدون رسالتهم فى تغطية انباء الحرب الدائرة هناك بين المسلمين والصرب والكروات ويكشفون عن جرائم الحرب الوحشية التى يرتكبها الصرب ، وفى مصر يناضل الصحفيون المصريون من آجل الغاء العديد من القوانين التى تحد من حريتهم فى النقد والتعبير ، وحقهم فى اصدار الصحف والغاء قانون هو الأشد عنفا صدر عام ١٩٩٥يعرّض الصحفى للقبض عليه والحبس ويفرض عليه الكشف عن مصادر معلوماته والمحاولات المستمرة لاصدار قانون جديد للصحافة يحقق امل الصحفيين المصريين فى وجود صحافة حرة اصيلة .

★ انجازات تكنولوجية فى خدمة الصحافة ★

لقد تأثرت الصحافة بل واستفادت استفادة كبيرة من الانجازات التكنولوجية المتقدمة عبر العصور ، كما تأثرت بالمتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفكرية التى لا تتوقف فى مختلف أنحاء العالم ؛ وأثرفيها كل ذلك سلبا وايجابا ، ولنا ان نتصور كيف تأثرت الصحافة باختراع اللاسلكى والتلغراف والتلفون والكهرباء والتصوير الضوئى وطباعة الأوفست المتطورة وأساليب جمع وصف الحروف من الجمع اليدوى الى الجمع التصويرى الحديث والجمع بالحاسب الآلى وطباعة الألوان وتقدم البريد وظهور القطار والسيارة والسفن السريعة والطائرات والكابلات البحرية والأقمارالصناعية والاتصال عبر الأقمار الصناعية والاتصال عن بعد Tele- communication عن طريق التلغراف والتلفون او الراديو أو التليفزيون حيث أجهزة التلغراف الكاتب Ticker الذى يرسل ويتلقى برقيات الاخبارعبر المسافات الشاسعة مكتوبة على شريط Ticker tape والصور المنقولة بالتلغراف أو التليفون Telephotograph وأجهزة التلكس Telex وهى الوسيلة السريعة لنقل الرسائل عبر الـ Teleprinter بين المشتركين ، والفاكسيملى أو الفاكس facsimile لنقل المادة المطبوعة أو المخطوطة أو الخرائطءوالصور الفوتوغرافية بدقة متناهية عن طريق التلفون فى مدة لا تزيد على ١٢ ثانية فقط،وبحيث يمكن نقل طبعات من الصحف عن

طريق هذه الوسيلة الالكترونية الحديثة التى يمكن ربطها أيضا بأجهزة كمبيوتر ونظام معلومات او بيانات Data تنقل بطريقة اتوماتيكية ، بل لقد اصبح فى وسع الصحفى ان يكتب موضوعه او مادته الاخبارية فى موقع الاحداث على آلته الكاتبة وتنتقل المادة فى نفس اللحظة الى موقع الجريدة جاهزة للطبع وبالمساحة المطلوبة وسمك الحروف المطلوب مع العناوين ، انها تكنولوجيا العصر التى اصبحت خادما مطيعا للصحافة فى كل مكان .

★ وعَوْلَمه Globalisation المعلومات فى خدمة الصحافة ★

لقد وصلت الانجازات التكنولوجية اليوم حدا كبيرا من التقدم انقلبت معه كافة الموازين السابقة ، فكل يوم يأتى بالجديد فى عالم الطباعة ، وعالم اصدار الصحف المرتبط بها ، فالصحافة تعتمد تماما على الحاسب الآلى وتقنيات الاتصال الحديث التي برزت فيها شبكة المعلومات الدولية Internet التى أدت الى عَوْلَمَة Globalisation المعلومات ، بمعنى ان المعلومات بصفة عامة أصبحت متاحة للكافة فى كل ركن من اركان الدنيا عن طريق الاقمار الصناعية للأتصالات التى يزدحم بها الفضاء وبذلك تحولت عمليات الطباعة ذاتها الى طباعة رقمية Digitalisation أو يمكن الآن تحويل الكلمات والصور والخرائط وبيانات ورسوم بيانية وجداول الى ارقام كمبيوترية تتحول فى المطبعة إلى مادة مطبوعة .

ولعل من اهم انجازات العولمة فى عالم الصحافة والتى تدخل بها القرن القادم ، هو ذلك الكمبيوتر المحمول Portable Computer الذى يمكن عن طريقه إرسال رسائله وتقاريره وصوره من مواقع الاحداث الى الجريدة مباشرة مهما كان موقعها فى طرف من اطراف الدنيا ، بل يمكن للصحف عن طريق هذا الكمبيوتر المحمول استدعاء أية معلومات وبيانات يريدها من اجل استكمال موضوعه ، فيصله ما يريد على شاشة الكمبيوتر المحمول مع امكانية معالجة النصوص ليقوم ببثها بعد ذلك الى جيدته التي تستقبل المواد ليقوم ببثها بعد ذلك الى جريدته التى تستقبل المادة على شاشات الكمبيوتر بها ايضاءليقوم المتخصصون بمراجعتها وادخال أية تعديلات عليها بحيث تصل الى المطبعة كمبيوتريا ايضا ، وقد تم اخراجها لتبدأ عملية الطباعة ، وهذا كله يتطلب بالضرورة وجود الامكانيات التكنولوجية الواسعة التى تجعل من هذه الخطوات أمرا ممكنا .

★ ضربة قاتلة للصحف التقليدية ★

ولعل الأخطر من ذلك هو ظهور الصحيفة الالكترونية التى تهدد وجود الصحف التقليدية التى بين أيدينا اليوم ، فقد توصل الامريكى روجر فيلدر Roger Filder الى اختراع صحيفة

الكترونية جديدة عبارة عن جهاز كمبيوتر يزن اقل من كيلو جرام واحد ، ومزود بقرص يبلغ سمكه ٢سم مما قد يوجه ضربة قاتلة للصحف التقليدية ، ويعد نذير سوء لهذه الصحف ، حيث ستحل محلها الصحف الالكترونية المصممة للأستقبال عن طريق اجهزة الكمبيوتر وتعتمد الصحيفة الجديدة على اللمس ، حيث انه بمجرد ان يلمس شخص زراً معينا فى جهازه تظهر على شاشة العرض البللورى الصفحة الاولى من الصحيفة وبتوالى اللمسات تظهر باقى صفحات الصحيفة من "الفيديو كليب" الى الصورة والرسوم البيانية والتحليلات ، ومن بين مميزات هذا القرص تطوير الاعلان الذى يحقق فى العادة ٨٠ ٪ من عائدات الصحف فى الولايات المتحدة الأمريكية ، فبمجرد لمسة على الزرار ، تتحول بيانات الاعلانات الرقمية الى صور فيديو متحركة (بنظام الفيديو كليب) تزود القارىء بمعلومات إضافية عن المنتج ، وبلمسات اخرى يمكن للمستخدم ان يطلب السلع المعلن عنها او حتى يحجز منضدة فى المطعم المفضل لديه ، وأوضح فيدلر Fidler انه قد تم تصميم الصحيفة القرص بحيث يكون استخدامها بالغ السهولة ، وسهولة، الجهاز الخاص بها هو اعظم نجاح ، حيث يتمكن القارىء من الاطلاع على أحدث الانباء الصحفية فى اى وقت واى مكان ، ومن المنتظر ان يظهر النموذج الاول لهذه الصحيفة فى السوق الامريكية عام ١٩٩٧ [٨٨]

★ الطبعات الدولية للصحف .. لماذا ؟ ★

لقد جعلت التكنولوجيا الحديثة المستخدمة فى نقل الصور والمطبوعات ، جلعت عملية إصدار طبعات دولية من الصحف والمجلات امرا ممكنا ، بمعنى ان ترسل صفحات الجريدة عبر الوسائل الالكترونية الحديثة الى بلد او اكثر من بلدان العالم حيث تتلقاها الاجهزة اللازمة هناك ويتم طبعها وتوزيعها فى نفس وقت صدورها فى البلد الاصلى الذى تصدر منه الجريدة مثلما هو الحال مع الطبعات الدولية لجريدة الاهرام القاهرية التى تصدر فى لندن ونيويورك وكذلك جريدة القبس الكويتية وغيرهما فى نفس يوم الصدور فى القاهرة والكويت ، والهدف الاساسى من اصدارمثل تلك الطبعات الدولية لصحف الدولة الام هو توفير تلك الصحف والمجلات لابناء الدولة والمهتمين بشئونها والناطقين بلغتها فى نفس وقت الصدور فى البلد الاصلى وبتكلفة اقل بعد أن ارتفعت اسعار النقل الجوى بصورة كبيرة ، وبذلك يتم ربط المواطنين بوطنهم بصورة سريعة فعالة

---

(٨٨) وكالات الانباء من بولدر - ولاية كلورا و الامريكية - وجريدة الاهرام القاهرية الصفحة الاولى الطبعة الثالثة فى ٢٦ سبتمبر ١٩٩٥.

عن طريق نقل المعلومات والاخبار ووجهات النظر الرسمية والشعبية فى الوطن،مع الوقوف فى موقف المنافسة بل والسيطرة فى مواجهة الصحافة الأجنبية والخبر الاجنبى .

★ بين الطبعات الدولية وصحافة الاغتراب ★

ان الطبعات الدولية التي تصدر فى دولة اجنبية عن طبعات أصلية فى البلد الأم ، تختلف تماما عما نسميه بصحافة الاغتراب ، وهى الصحف والمجلات التى تصدر وتطبع فى دولة اجنبية وتكون توجهاتها بصفة اساسية الى أبناء البلد الأم او المغتربين فى الخارج ، مثلما هو الحال مع الصحف والمجلات العربية التى تصدر فى كل من لندن وباريس وغيرهما ، ويتم اللجوء الى ذلك عادة من أجل تخطى عقبات إصدار التراخيص فى بلد ما،أو تخطى سلطات الرقابة الحكومية والحصول على قدر اكبر من الحرية فى نشر الافكار ، او قد تكون هناك دول أو أنظمة تريد اصدار مثل هذه الصحف أو المجلات لكى تحمل افكارا معينة والدفاع او تبنى قضايا محددة تخدم تلك الدول او الانظمة ، والصحف والمجلات العربية التى تصدر خارج أوطانها هى صحف عربية مغتربة وليست طبعات دولية ، وكثيرا ما تعود ليتم توزيعها فى الوطن العربى، حيث ان الجماهير العربية هى الجماهير المستهدفة ، وليست جماهير المواطنين فى البلد الذى تطبع فيه الصحيفة او المجلة ، بالاضافة الى الجماهير العربية المغتربة والمهتمين بالشئون العربية ، وقد اتسع نطاق اصدار الصحف والمجلات المغتربة بعد ازدياد حدة الحرب الاهلية اللبنانية حيث كانت بيروت بصفة خاصة ساحة اصدار مثل تلك الصحف والمجلات .

والجدير بالذكر ان الصحافة العربية قد عرفت الاغتراب منذ زمن طويل ، فعندما قام الخديو اسماعيل بنفى الكاتب الصحفى المسرحى يعقوب صنوع عام ١٨٧٢ أصدر جريدته ابو نضارة فى باريس ، وكذلك فعل الامام محمد عبده وجمال الدين الافغانى عندما أصدرا جريدة " العروة الوثقى " فى باريس عام ١٨٨٤ وكانت تحمل فكرة الدعوة الى عزة الاسلام وحرية العالم الاسلامى وكذلك فعل الشيخ على القاياتى الذى اصدر جريدة "منبر الشرق" من منفاه فى جنيف بسويسرا عام ١٩٢٢.

★ بين صحف الحائط وصحافة الماستر ★

اننا لا نستطيع ان ندخل صحف الحائط وما يعرف بصحافة الماستر Master التى تكتب على الآلة الكاتبة العادية أو الكمبيوتر وتطبع منها نسخ محدودة بآلات التصوير الضوئى او آلة طباعة الاوفست الصغيرة،وكذلك النشرات غير الدورية التى تصدر عن الانشطة العمالية والنقابية والطلابية او الفلاحية ، اننا لا نستطيع ان ندخلها فى اطار الصحافة بالمعنى السابق تناوله وطبقا لما تم ادراجه من خلال تصنيف الصحف ، لكننا فى نفس الوقت لانستطيع تجاهل تلك الظاهرة

التى اتسع نطاقها والتى يؤكدها ما اشتهرت به صحف الحائط فى جمهورية الصين الشعبية وصحف الحائط الشهيرة فى العاصمة بكين ، والتى لعبت دورا كبيرا فى نقل الافكار والآراء وتقرير وتحريك الاحداث هناك خاصة فى اثناء ما يعرف بالثورة الثقافية ، وكثيرا ما تعتبر صحف الحائط متنفسا للتعبير عن الآراء والافكار والمطالب والاحتياجات فى الجامعات والكليات والمعاهد والمصانع والشركات والأندية والنقابات .

وفى مصر وجد الى جانب صحف الحائط ما يعرف بصحافة الماستر ومطبوعات الماستر التى ازدهرت بدءا من منتصف السبعينيات بسبب عوامل عديدة اقتصادية وسياسية وايدلوجية ، وقد سمى الجيل من شباب الكتاب والصحفيين الذين يصدرون مطبوعاتهم وصحفهم بهذه الطريقة "بجيل الماستر " ولعل من اهم العوامل التى ساعدت على ترسيخ تلك الظاهرة التى كانت منتشرة فى منتصف السبعينات والثمانينات فى كافة انحاء مصر مايلى :

١- رخص اسعار الماستر حيث كان من الممكن للكاتب ان يصدر عددا محدودا من مجلته اوكتابه فى حدود ثلاثين جنيها او اكثر قليلا .

٢- السرعة ، فطباعة الماستر تستطيع ان تنهى كتابا او مجلة فى أيام معدودة .

٣- كثرة عدد المطابع التى يمكن ان تقدم هذا النوع من المطبوعات .

٤- قرار رفع الرقابة عن المطبوعات الذى اصدره ممدوح سالم رئيس الوزراء ونشر بجريدة الأهرام يوم ١٩٧٦/١٢/١٢ .

٥- قدره الكاتب على المناورة فى مواجهة نصوص قانون النشر وعلى سبيل المثال فان قانون النشر يحظر صدور نشرة دورية دون ترخيص ، لكن الأدباء الذين كانو يريدون لمجلاتهم ان تستمر كتبوا علي هذه المجلات " نشرة غير دورية " مما يذكرنا بما فعله بيرم التونسى من قبل عندما فرض القانون عليه الا يصدر جريدة او مجلة دون ترخيص فأصدر مجلة " المسلة " وكتب عليه " المسلة لا جريدة ولا مجلة " هربا من المساءلة (٨٩)

★ الصحافة الوطنية بلغات اجنبية ★

وهناك من الصحف والمجلات ما يصدر داخل الوطن بلغات أجنبية ، والجمهور المستهدف لها هم الاجانب المقيمون الناطقون بتلك اللغات ، حيث يستقون منها الأخبار والأحداث ، ويطلعون من خلالها على الأفكار والآراء وأبعاد السياسة القائمة والانشطة المختلفة مثلما هو

---

(٨٩) محمد السيد عيد - مطبوعات الماستر صوت صارخ فى البرية - دراسة مقدمة الى المؤتمر الرابع لأدباء مصر فى الاقاليم من ١٢-١٥ سبتمبر ١٩٨٨

الحال مع الصحيفتين اللتين تصدران بالانجليزية فى مصر وهما : الجريدة المصرية The Egyp- tion Gazette و(البريد المصرى) The Egyptian Mail (البريد المصرى التى تصدر صباح كل اسبوع والصحيفة التى تصدر بالفرنسية La Progré Egyptienne وجريدة "فوس" التى كانت تصدو باليونانية .

ويرجع تاريخ اصدار مثل تلك الصحف الوطنية التى تصدر بلغات اجنبية الى سنوات طويلة مضت ، فاذا تجاوزنا ما سبق ان ذكرناه عن أول صحيفتين فرنسيتين اصدرهما نابليون بونابارت عام ١٧٩٨ بصفتهما جريدتين غير وطنيتين ، فاننا نجد والى مصر محمد على قد سمح لرجل فرنسى هو كامى توروليه Camille Turles باصدار صحيفة وطنية باللغة الفرنسية باسم Le moniteur Egyptien (المرشد المصرى) فى مدينة الاسكندرية وهى جريدة كانت تقرأها الجالية الفرنسية والجاليات الاجنبية ويطلع عليها معاونو الوالى من الفرنسيين ، ويتزود منها الطلاب العائدون من فرنسا ، وتكون لسان صدق للوالى ولاعماله عندما يرسلها خارج البلاد ، كما انها كانت سلاح الوالى للرد بها على صحيفة الحكومة التركية والتى كانت ايضا باللغة الفرنسية (المرشد العثمانى)Moniteur Ottoman والتى كانت دائبة الطعن فى محمد على والتشهير به .

كما صدرت فى عدد من المدن المصرية التى كانت تتواجد بها جاليات اجنبية كبيرة صحف بالانجليزية والفرنسية واليونانية مثل صحيفة Journal du Canal فى بورسعيد ، بينما خصصت اول صحيفة سياسية اقليمية فى مصر تنتمى الى افكار الحزب الوطنى هى جريدة العدل التى صدرت فى مدينة طنطا عام ١٩٠٨، خصصت جانبا منها باللغة الفرنسية وحول ذلك يقول صاحبها ومدير سياستها عثمان محمد فى مقال بعنوان الى الأمة المصرية الكريمة :

"رأيت بعد التفكير الطويل ان اقوم بانشاء قسم فرنساوى فى جريدتنا الصغيرة الحجم الكبيرة الفائدة لترد باللغة الفرنساوية على كل ما يلصقونه بالمصريين الكرماء من التهم التى هم براء منها ، والفائدة المادية من وراء ذلك معدومة بالمرة لان الجريدة سترسل لكبار رجال المجالس النيابية والكتاب فى الخارج بدون مقابل وان هذا القسم سيقتصر على رفع أصواتنا كلما جدت ظروف حتي لا يتمكن اعداء مصر من ان يرمونا بما ليس فينا ، لاننا بإذن الله سنقف بالمرصاد لمختلقي الاكاذيب ثم افتتحت الصحيفة بمقالة لسعادة المفضال محمد بك فريد رئيس الحزب الوطنى بعنوان La Sitiuation de L'Egypte ثم نشرت ملخصا لترجمة هذه المقالة بعنوان " حالة مصر الحاضرة [٩٠] .

---

(٩٠) د. ابراهيم المسلمى - الصحافة الاقليمية فى مصر - مرجع سابق

الفصل السابع

السينما كوسيلة اتصال بالجماهير

الفصل السابع
السينما كوسيلة اتصال بالجماهير

★ وتحققت بعض أحلام البشر ★

تمثل السينما ظاهرة كبرى من ظواهر الاتصال ، فهى لا تمثل اختراعا يمكن ان تنسبه الى مخترع بعينه،بل هى نتاج جهود مكثفة جمعت بين الفنان والكيميائى والمهندس والكهربائى والميكانيكى، جهود تدعمها أحلام البشر وقدرتهم على التخيل والابداع ، جهود استمرت سنوات وسنوات عديدة،اثمرت فى النهاية وجود هذا العملاق الاتصالى السحرى العجيب،الذى اخذ بلب البشرية وكتم انفاسها امام معجزة الصور الثابتة التى لا تتحرك ، ثم الصور التى تتحرك ولا تنطق ثم الصور التى تتحرك وتنطق ، وسرعان ما انتشرت تلك الظاهرة فى كافة أرجاء الدنيا فى سنوات متقاربة ، وانتقلت من فترات التجريب الى العروض الجماهيرية لافلام السينما الصامتة الى افلام السينما الناطقة ثم الملونه ثم تكنيك الشاشة الكبيرة والتقنيات الحديثة فى مجالات التصوير والاضاءة والصوت والخدع ، واذا بها صناعة ضخمة لها سطوتها وقدرتها غير المحدودة على السيطرة على عقول الجماهير ، واذا بها تصبح أيضا شكلا من اشكال التعبير ، وتصبح مجالا واسعا للدعاية وترويج الافكار والمبادىء واشعال الثورات وتحريك الشعوب او تخديرها واغراقها فى غياهب الوهم والحلم الزائف ، او افسادها واصابتها باللامبالاة وتحييدها إزاء قضاياها الملحة فى مواجهة القوى المعادية التى تحاصرها ، أو بتقديم كل ما هو سطحى . وقد تكون سينما من أجل التقدم والبناء وتحقيق العدل والوقوف الى جانب الحق ، واذا بها ايضا وعاء او ذاكرة ضخمة للتاريخ تسجل دقائقه واللحظات الحاسمة فى حياة الشعوب ، مع تقديم المعلومات وأروع ابداعات الانسان الأدبية والفنية ، فقد نشاهد فى لحظات قصيرة منظرا من فيلم سينمائى يعرض مكانا محدودا به أناس يرتدون ملابس معينة،ويتحدثون لغة او لهجة خاصة،فنعرف عنهم الكثير خلال تلك اللحظات القصيرة ، بينما كانت معرفة ذلك تحتاج الى صفحات عديدة من كتاب لشرحه وفهمه ، وهكذا اصبح الوليد الصغير عملاقا واصبحت السينما أداة فاعلة تمثل واحدة من اهم ذرى وسائل الاتصال بالجماهير .

★ ما قبل البدايات ★

اننا نستطيع ان نرجع بدايات السينما ، او بتعبير ادق ما قبل البدايات الى ما دونه الفنان والمهندس والعالم الكبير ليوناردو دافنشى Leonardo Davenchi من ملاحظات ذكرها جيوفانى باتستادى

لابورتا Giovannidella Porta فى كتابه السحر الطبيعى Natural Magic عام ١٥٥٨ ، فقد لاحظ « دافنشى » ان الانسان اذا جلس فى حجرة تامة الظلام،بينما تكون الشمس ساطعة خارجها وكان هناك فى احد جوانبها ثقب صغير جدا فى حجم رأس الدبوس،فان الشخص الجالس فى الحجرة المظلمة يمكنه ان يرى على الحائط الذى فى مواجهة هذا الثقب الصغير ظلالا او خيالات، لما هو خارج الحجرة ، مثل الاشجار أو العربات أو الانسان الذى يعبر الطريق نتيجة شعاع من الضوء ينفذ من الثقب الصغير .

وبعد ذلك تم التوصل الى حقيقة ان وضع عدسة مكان الثقب ، يجعل الظلال أو الخيالات أكثر وضوحا ، لكنها تكون مقلوبة ، لكن فى تطور آخر أمكن صنع صندوق يتم تثبيت العدسة فى أحد جوانبه ، وباستخدام عدد من المرايا ، اصبح من الممكن ظهور الظلال أو الخيالات على حاجز زجاجى فى الصندوق وفى وضع صحيح غير مقلوب ، وقد اطلق على هذا الصندوق اسم "الغرفة المظلمة " كما اننا يمكن ان نعود مع فترة ما قبل البدايات الى اكتشاف الفانوس السحرى The Magic Lantern فى القرن السابع عشر ، والذى كان يعتمد على فكرة أننا إذا وضعنا ضوءا مبهرا أمام عدسة مكبرة أمكننا عكس صور الأشياء فوق شاشة معلقة على مسافة من الفانوس السحرى فى غرفة مظلمة .

★ التقاط الصور والاحتفاظ بها ★

وكان على البشرية ان تنتظر سنوات طويلة امتدت الى قرنين من الزمان،لكى يصبح التقاط الصور والاحتفاظ بها أمرا ممكنا ، بل وتصبح وسيلة من وسائل الاحتفاظ بالتاريخ ، "فالتقاط الصور ينطوي على الرغبة فى امعان النظر فى الاشياء والاحتفاظ بها ، واللفظة التى تعبر فى اللغة الفرنسية عن النظر Regarder ، لفظة موفقة فى هذا السياق ، فالصور التى التقطها ووكر ايفانس Walker Evance اثناء فترة الكساد الاقتصادى ، كانت تهدف الى تحقيق هذا الغرض بالذات ، وهى تمعن النظر في الأشياء التى كانت بسبيلها الى الاختفاء بعد ثلاث او اربع سنوات وحفظها فى الذاكرة (٩١) والحقيقة ان الفضل الاول فى تحقيق امكانية التقاط الصور والاحتفاظ بها انما يرجع الى جهود فوكس تالبوت Fox Talbot فى انجلترا ، وما حققه التعاون

---

(٩١) من وجهة نظر المصور - مقابلة مع المخرج السينمائى الالمانى « فيم فندر » - مجلة رسالة اليونسكو ص٥ العدد ٣٢٣ - ابريل ١٩٨٨

بين الفنان الفرنسى لويس داجير Louis Dáguerre والكيميائى جوزيف نيبس Joseph Niepce عام ١٨٢٩ حين أعلن داجير انه قد حقق النجاح المنشود،ولم يكد ينقضى عام ، حتى كان الفنان الامريكى صمويل موريس Morris الذى كان على قدر من الثقافة العلمية شأنه فى ذلك شأن داجير ، يأخذ صورا لزوجته وابنته فوق أحد أسطح المبانى فى حى مانهاتن ، فلما كان عام ١٨٥٠ شهدت نيويورك واحدا وسبعين معرضا لصور من هذا الطراز ، وفى عام ١٨٦٠ وما بعدها خلال الحرب الاهلية كانت الكاميرا تعمل كمخبر صحفى (٩٢)

وهكذا تحقق حلم البشرية فى التقاط الصور والاحتفاظ بها باختراع التصوير الفوتوغرافى photography الذى أخذ فى الانتشار فى أرجاء الدنيا ، حتى اذا جاءت الثمانينات من القرن التاسع عشر كان ايستمان Estman قد اخترع أول أوراق حساسة لفيلم على بكر لكاميرات كوداك، بدلا من استخدام لوحة منفصلة لكل صورة ، وهكذا امكن الاحتفاظ بالصور ، صور الاشخاص وصور الحيوان وصور الاشياء ، وبقى ان تتحرك تلك الصور حيث ان جميع العمليات السينمائية المعروفة فى هذه الايام لها أصل فوتوغرافى .

★ ظاهرة استمرار الرؤية Persistance of vision ★

واذا كنا نقول الصور المتحركة او ان الصور تتحرك ، فاننا لاتعنى مدلول العبارة حرفيا ، لان الصور لاتتحرك تحركا ماديا ، بل ان الانسان هو الذى يتوهم وجود الحركة ، فالصور التي نراها على الشاشة الآن عبارة عن صور ثابتة ، كما ان كل صورة منها تختلف عن الصور الأخرى اختلافا بسيطا فى الحركة طبقا لاختلاف لحظات التصوير مع وجود الحركة ، والصورة عند عرضها بواسطة آلة العرض تظل على الشاشة مدة ١/١٦ من الثانية ، وبما ان عين الانسان تحتاج الى ضعف هذا الوقت لكى تتأكد من الصورة ، فانها تخدع عند تغيير الصورة بأخرى وترى الصور تتحرك، وذلك طبقا للظاهرة المعروفة بظاهرة أستمرار الرؤية Persistance of Vision وهذا هو ما يخلق حركة وهمية أو توهم الحركة ، إن آلة التصوير السينمائية الحديثة وكذلك آلة العرض السينمائى ، تتآمران معا فى تحويل الصورة الثابتة الى صورة متحركة بالتعاون مع العين الانسانية ، فواقع الأمر أن الفيلم يتألف من صور ثابتة أو اطارات لهذه الصور ، وكلما دارت ٢٤ صورة أو إطارا فى الثانية الواحدة فى جهاز العرض وانطبعت على الشاشة ، خلقت لدى المشاهد وهما بأن هناك حركة مستمرة ، وهو وهم يستقر فى العين البشرية التي يتألف دورها من ملء

(٩٢) الاتصال بالجماهير - اريك بارنو - ترجمة صلاح عز الدين وآخرين مكتبة مصر - القاهرة - مرجع سابق

المسافات البيضاء التي تقع بين كل إطار وآخر، وتحتفظ العين بالمنظر وقتا قبل ان تعرض الصورة التالية على الشاشة فتسد الثغرة بين المنظرين ، وطولها جزء من الثانية(*) وقد لاحظ المخرج الجمار برجان أن صناعة السينما تقوم على خداع العين البشرية، فقام بقياس كمية المسافات البيضاء الفعلية التى توجد فى فيلم طوله ٦٠ دقيقة فقال ان الفيلم يحتوى على ٢٧ دقيقة من الاظلام التام بمعنى البياض الواقع بين الصور (٩٣)

وكان اول من قام بتوظيف هذه الظاهرة هو هنرى فيتون Henry Fitton الذى اخترع آلة اسمها ثورماتروب عام ١٨٢٦ ، وكانت عبارة عن صندوق مستدير بداخله عدد من الاقراص Discs على كل قرص منها رسم ، وعندما تدور الأقراص تتحرك الصور وتعطى الاحساس بالحركة طبقا لظاهرة استمرار الرؤية .

وفى عام ١٨٣٣ استحدث جوزيف بلاتوه Joseph Plateau آلة اسمها فينا كستسكوب phenakistoscope تقوم على اساس نفس الفكرة السابقة القائمة على ظاهرة استمرار الرؤية ثم جاء الانجليزى و.ج هورنر W.G Horner عام ١٨٣٤ فقدم آلة اسماها زيوتروب Zoetrope او عجلة الحياة The wheel of life، وتعتمد على وجود اسطوانة دوارة عليها قطعة قماش مرسوم عليها مناظر متعاقبة Sequences ، وفى عام ١٨٧٧ ادخل اميل رينولد Emile Re-nauld تحسينا على « عجلة الحياة » تلك باستخدام مرايا تعكس الصور ، وهو ما أُدى الى اختراع آلة تسليط الصور على الشاشة .

★ البداية الحقيقية مجرد رهان ★

اما البداية الحقيقية ، فكانت مجرد رهان بين رائد التصوير الفوتوغرافى ادوارد ماى بريدج Edward Maybridge ومربى الخيول ليلاند ستانفورد (Stanford) فى كاليفورنيا عام ١٨٧٢ (**) وكان الرهان بين الرجلين نتيجة خلاف حول ما اذا كان الحصان يرفع جميع ارجله عن الأرض عندما يركض ام لا ، وقد قام المصور ماى بريدج بتصوير الحصان فى اوضاع مختلفة عند الجرى بان احضر عشر كاميرات فوتوغرافية ووضعهم في خط مستقيم وجعل بين كل كاميرا والأخرى مسافة قدم واحدة ، وجعل هناك حبلا متصلا بالمحرك الذى يفتح العدسة عندما يمر الحصان لتلتقط صورة

---

(٩٣) مقدمة الى وسائل الاتصال تأليف ادوين واكين ترجمة وديع فلسطين - مطابع الاهرام - ١٩٨١ .

(*) الصورة التى تتكون على شبكية العين تبقى عليها فترة قصيرة مدتها ١/١٢ - من الثانية بعد زوال الجسم المكون لهذه الصورة

(**) كان سنا نفورد حاكم ولاية كاليفونيا فى نفس الوقت .

ن تلقاء نفسها وهكذا تمكن من الحصول على عشر صور لاوضاع مختلفة تثبت صحة نظرية
لاند ستانفورد حاكم ولاية كاليفورنيا ، الذى قال ان الحصان وهو يركض تكون حوافره الاربعة
، لحظة من اللحظات بعيدة كلها عن الارض » وقد قام «ماى بريدج » فيما بعد بتثبيت سلسلة
ن صور كهذه على حافة قرص ، بحيث لا يتسنى رؤية صورة واحدة فى وقت واحد من خلال
تحة مواجهة للقرص،فاذا دار القرص بسرعة رأى المشاهد صورة لجواد يعدو،وفى عام ١٨٨٠
رض هذا الصور على شاشة واطلق على آلة العرض زوبرا كسكوب Zoopraxiscope وكانت هذه
آلة تعرض فى الواقع صورا متحركة ، الا ان الطريقة كانت بعيدة عن الكفاءة ، فقد كان من
ضرورى استعمال عشرات الكاميرات لتخرج صور لاتستغرق مدة عرضها سوى ثوان
مدودات » (٩٤).ومع ذلك فقد كان ذلك الرهان هو البداية الحقيقية بعد ان قام المصور بتثبيت آلات
تصوير الفوتوغرافى بحيث تقوم كل واحدة بتحسين لحظة مختلفة من حركة حوافر الحصان ،
لقد تطورت كل آلة من آلات التصوير السينمائى وجهاز عرض الافلام من فكرة اعادة البناء
لاصطناعى لحركة الحوافر (٩٥).

★ خطوات أخرى على الطريق

ثم جاءت الخطوة التالية على يد الانجليزى ويليم فريس جرين William Fries Green
عام ١٧٩٠ باختراعه القرص الدوار ، الذى قدمه من نافذة الاستديو الخاص به فى بيكاديللى Pic-
adill والذى كان قد عرف بأمر مادة السيليلويد Cellullid من الاسكندر باركس Alexamder
Parks من برمنجهام ، والذى اكتشف تلك المادة عام ١٨٦٥ ، وقد قام ويليم فريس جرين
تصوير عدة مناظر لحدائق هايد بارك بانجلترا على فيلم طوله ٢٠ قدما ، بطبعه وعرضه ، وقد
ظهر ركن من الحديقة والعربات والناس وهى تمر ، وكان القرص سريعا بشكل مضحك ، ولكنه كان
عملا عظيما فى ذلك الوقت ، وفى فرنسا كان هناك ايتين جولس ماراى Etienne Joles Marey
الذى اخترع فى عام ١٨٨٢ البندقية الفوتوغرافية Photographic Gun والتى تلتقط صورا
بسرعة كبيرة إذ كانت تستطيع التقاط ستين صورة فى الثانية ، وكان ان صور بها صورا لطيور
أثناء طيرانها .

---

٩٤) الاتصال بالجماهير - مرجع سابق .

٩٥) كيف نفهم وسائل الاتصال - مارشال ماكلوهان - ترجمة د. خليل صابات وآخرون-مؤسسة فرانكلين - القاهرة - نوفمبر ١٩٧٥

★ توماس أديسون يدخل الساحة ★

وفى الولايات المتحدة الامريكية كان هناك المخترع العظيم توماس أديسون Tomas Alva Edison (١٨٤٧- ١٩٣١) الذى اخترع مع مساعده وليم ديكسون William Dickson آلة التصوير التي يمكنها التقاط ١٢ صورة او اكثر فى الثانية ، اعتمادا على اختراع ايستمان Est- man لبكرات الافلام التى حلت محل اللوحات المنفصلة للصور ، وقد اطلق على هذه الآلة اسم كينتوجراف kinetograph وكذلك آلة عرض تلك الصور التى اطلق عليها اسم كينتوسكوب kintoscope،وكان على المشاهد ان ينظر من خلال فتحة عليها عدسة زجاجية مكبرة لكى يشاهد فيلما طوله خمسين قدما ، وتستغرق مدة عرضه ثلاثة عشر ثانية فقط ، وذلك نظير سنت واحد ، وما ان جاء عام ١٨٩٤ حتي كانت هذه الأجهزة الشبيهة تماما بصندوق الدنيا الذى كان معروفا فى مصر ، قد انتشرت على ارصفة الشوارع حيث ينظر الناس من خلال الكنتو سكوب ليروا راقصة تقدم رقصاتها او رجلا يروى حديقة،وقد عرضت هذه الآلة ولاقت نجاحا كبيرا فى معرض شيكاغو الدولى .

★ خطوة أخرى رائدة ★

وفى عام ١٨٩٥ تحققت خطوة كبرى على طريق مولد الفن السينمائى باختراع آلة العرض التى تقوم بتسليط الصورة على الشاشة ، وذلك بالجمع بين الكنتو سكوب والفانوس السحرى ، وكان ذلك فى الولايات المتحدة الامريكية على يد توماس آرمات Thomas Armatوودفيل لاثان Woodville Lathan وفى انجلترا على يد روبرت بول Robert Poul الذي تعرف على اختراع أديسون وأعجب به ، ثم قام بادخال تحسينات عليه ، مثل إضافة حاجز يخفى الضوء عن الفيلم ، مما جعل المناظر تبدو أكثر وضوحا ، كما جعل الشاشة التى كانت قريبة من آلة العرض عند أديسون ، جعلها تبعد عنها ، وفى عرض أول فيلم له فى انجلترا عام ١٨٩٥ جعل مساحة الشاشة سبعة اقدام ، وجعلها تبتعد عن آلة العرض أربعين قدما ، وكان روبرت بول قد لاحظ ايضا ان الفيلم فى آلة أديسون يدور بسرعة كبيرة ، حيث كانت الصورة تظهر على الشاشة لمدة قصيرة جدا لا تزيد على ١/ ١٠٠٠ من الثانية ، أى أن الصورة لم تكن واضحة ، فقام بتركيب عجلة صغيرة على شكل خطاف فى آلة العرض يمر عليها الفيلم،فقلت سرعته وتم القضاء على اهتزاز الصور وعدم وضوحها ، وقد اطلق بول على آلة العرض الجديد هذه اسم ثياترو جراف Theatrograph .

★ شهادة ميلادالفن السابع ★

وفى فرنسا تحقق الجازَ كبير على طريق مولد الفن السينمائى الحقيقى على يد الأخوين لوميير - أوجست ولويس لوميير Auguste and Louis Lumiere ويعتبر يوم ٢٨ ديسمبر عام ١٨٩٥ تاريخ المولد الحقيقى لفن السينما الفن السابع (*) وهو اليوم الذى أفتتح فيه الأخوان لوميير أول عرض سينمائى لهما فى الصالون الهندى فى الجراند كافيه فى باريس باول آلة ميكانيكية تعرض الصور المتحركة على ستار ، ويشاهدها فيه الجمهور نظير أجر محدد ، وكان العرض عبارة عن عشرة افلام طول كل منهما حوالى ٥٠ قدماوكان عدد الحاضرين فى أول عرض ٣٥ شخصا اصبح هذا العدد بعد خمسة اسابيع ٢٠٠٠شخصا يوميا ، وكان ثمن تذكرة الدخول فرنك واحد ، وهكذا كانت بداية انتشار دور العرض ايضا ، وقد تبع قيام الأخوان لوميير بتدريب عدد من الاشخاص بعث بهم الى خارج فرنسا لنشر اختراعهماوكان ان بدأ فعلا انتشار الفن السينمائى ودور العرض على نطاق واسع وكظاهرة لها سمة خاصة فى كافة انحاء اوربا والولايات المتحدة الامريكية .

★ بداية عصر جديد ★

كان انتشار دور العرض السينمائى بداية عصر جديد بدأت فيه السينما تتربع على عرش الفن والثقافة والسياسة والأدب والعلم والتعليم وحفظ التاريخ ، ففى اوائل عام ١٨٩٧ تم بناء أول دار يتم تخصيصها بصفة أساسية لعرض الافلام السينمائية فى الولايات المتحدة الامريكية ، وكان مكان العرض قبل ذلك مجرد محلات او دكاكين متسعة ، بها مقاعد من الخشب ، وكان بعضها بدون مقاعد ، وكان الجمهور يشاهد العروض وهو واقف ، كما كان موعد العرض يتحدد بحضور عدد كاف من الناس لا بمواعيد محددة للعرض،فاذا امتلأ المكان بالناس بدا العرض .

والحقيقة انه قبل مضى عشر سنوات فقط على افتتاح اول دار عرض يتم انشاؤها وتخصيصها للعروض السينمائية ، كان هناك فى الولايات المتحدة الامريكية اكثر من عشرة آلاف

(*) الفن السابع هو الاسم الذى اطلقه على السينما الناقد الفرنسى ريتشو كانودو (١٨٧٩ -١٩٢٣) باعتبارها قد جاءت بعد فنون ستة سبقتها وهى فنون الرسم والنحت والعمارة والموسيقى والشعر والرقص .

مسرح نيكلى او ما كان يعرف بدور النيكل نيكل اوديون Nickelodeons إذ كان رسم دخول هذا الدور نيكل واحد Nickel (*) وكانت اول دار عرض نيكلية قد انشئت فى الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٠٢ .

اما فى انجلترا فقد انشئت اول دار عرض فخمة فى لندن تعرض برنامجا واحدا مدة عرضه ساعتان وتقدم حفلين نهاريين يوميا ، وحفلا مسائيا فى يوم الاربعاء ويوم السبت من كل اسبوع وكان هناك اوركسترا بجوار الشاشة غير ظاهر للجمهور يقوم بالعزف .

وفى فرنسا بنى تشارلز باثية Charles Pathe امبراطوريات سينمائية ضخمة انتشرت فى كافة انحاء العالم ، واصبح الطلب العالمى على آلات العرض السينمائى جارفا بدرجة ان مالكى آلات العرض وكاميرات التصوير لم يكن فى استطاعتهم دائما الحصول على ما يلزمهم من افلام لعرضها،ولهذا بدأوا يستأجرون الافلام بدلا من شرائها ، وتحولت السينما الى صناعة واستثمار تجارى كبير الى جانب الفن .

وفى نفس الوقت بدأ ظهور التخصصات فى العمل السينمائى ، وقد اذن ذلك بانتهاء مرحلة من مراحل التجريب فى السينما ، فقد تعود المشاهد الآن على مشاهدة الصور وهى تتحرك بعد أن تعود على مشاهدة الصورر الفوتوغرافية الثابتة ، كما أن الأفلام الاولى لم تكن افلاما بالمعنى الصحيح،فقد كانت مجرد أفلام يراد بها اثبات الحركة ، جنود يتدفقون على ظهور الخيل ، أطفال يسبحون ويمرحون فى حمام السباحة ، الأمواج وهى تتلاطم على شاطىء البحر ، قطار يسير ويدخل المحطة،وجميعها تعتمد على الحركة ، وقد اعقبت هذه الفترة او المرحلة التجريبية الاولى مرحلة الفيلم الصامت الذى يعتمد على قصة أو حكاية ، وتبلورت بذلك صناعة السينما فظهر الكاتب او المؤلف والمخرج وكاتب السيناريو والمنتج والموزع والذى يقوم بالعرض وعشرات التخصصات المتنوعة ، وسرعان ما انتشرت فى الولايات المتحدة الامريكية الشركات السينمائية مثل شركة اديسون Edison وفيتاجراف Vitagraph وبيوجراف Biograph حتى اذا وصلنا الى عام ١٩٠٩ كانت هذه الشركات قد انتشرت بشكل جارف ، واتجهت الانظار الي ولاية كاليفورنيا حيث الطقس المناسب للتصوير ، وولدت بذلك هوليود عاصمة السينما فى العالم ، وبدأ ظهور النجوم الكبار ولمعانهم،وبدات الجماهير تهتم بأسمائهم فاعطوهم الحب والشهرة .

(*) النيكل Nickel عملة معدنية امريكية تساوى خمسة سنتات .

★ استحداث حركات جديدة للكاميرا ★

وقد حدث فى ذلك الوقت تطور كبير وسريع فى الفن السينمائى باستحداث حركات جديدة للكاميرا مثل التحريك الأفقى - الاستعراض والتحريك الرآسى اعلى واسفل عموديا Tilting Tiltوالتحريك الى الامام Trackgin - Dolly in والتحريك الى الخلف Track out - Dolly out وحركة الرافعة Crane وهى بمثابة المزج بين الحركة الاستعراضية Pan الأفقية والرأسية Tiltوحركة التصوير المنقولة على العربة Travelling (٩٦) .

واللقطات المقربة Closeshots والمقربة جدا Extreme closeup واللقطة عن بعد Ex-treme long shot واللقطة البعيدة long shot واللقطة المتوسطة Medium Shot واللقطة العريضة Wide Shot واللقطة الواسعة العريضة Wide angle واللقطات المقلوبة Upside down كما بدأ ظهور التوليف او المونتاج Editing،وكان اول الاعمال الرائدة فى هذا المجال للأمريكى أدوين سى بورتر Edwin . S . Porter الذى قدم فيلم « حياة رجل مطافىء اميركى » سنة ١٩٠٢ A life of on American Fireman وقدم فيلم سرقة القطار الكبرى The great train rob-bery سنة ١٩٠٣ وهذا الأخير يعتبر انطلاقة كبرى فى صناعة السينما ، فقد استخدم فيه اللقطة المكبرة القريبة Big Close up لأول مرة ، كما كان أول فيلم يعتمد على قصة حقيقية مليئة بالحوادث والمخاطر،وكان طول الفيلم ٨٠٠ قدما وتكلف مائة دولار فقط ، لكنه اعطى دخلا للمنتج وهو اديسون نفسه،ضعف هذا المبلغ فى الأسبوع الاول فقط .

وبحلول عام ١٩٠٥ كان الانجليزى سيسيل هيوارث Cecil Heworth يقدم فيلما استخدم فيه المونتاج المتميز ، هو فيلم روفر المنقذ Rescued by Rover وهكذا اكتشف صناع الافلام أن هذه اللعبة المسلية يمكن ان تكون حقيقة شكلا من أشكال الفنون ، وقاد هذا الاتجاه الفرنسى جورج ميليه Gorge Melies الذى كانت له دراية واسعة بالمسرح والألعاب السحرية فانتج قبل عام ١٩١٤ اكثر من ألف فيلم سينمائى معظمها يقوم على الحيل السحرية ، خالقا جوا من الخيال والذكاء،وكان من بين افلامه الاولى التى جلبت له شهرة عالمية فيلم رحلة الى القمر A trip to the moon (١٩٠٢) وهو من افلام الخيال العلمى Science fiction التى تحدثت عن غزو الفضاء الذى حققه علماء افذاذ ورواد عظام .

---

(٩٦) ابحاث الحلقة الدراسية فى مجال كتابة السيناريو - قاسم حول سعدون وآخرون - المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلام - طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية -١٩٨٦ .

وكانت فرنسا رائدة ايضا فى تقديم أفلام لها احترامها ، استخدمت فيها الديكورات والملابس التاريخية ،وقدمت موضوعات أدبية ، وكثيرا ما جذبت اليها عددا من نجوم المسرح المشهورين وكان تأثير ذلك على السينما كبيرا فى ايطاليا وروسيا والدانيمارك وبريطانيا ، وأصبحت السينما فعلا عملا فنيا له احترامه ومكانته .

اما السينما الامريكية فلم تكن تخشى منافسة السينما الاوربية نظرا لاتساع وضخامة السوق المحلى فيها حتى اذا جاء عام ١٩١٤ ، واندلعت نيران الحرب العالمية الاولى، توقف تقدم السينما الأوربية وان أزدهرت جريدة الاخبار المصورة News Reel ، اذ كان التصوير يتم فى ساحة القتال ، بينما أزدهرت السينما الامريكية وتقدمت تقدما مذهلا وكان دى . و. جريث وراء هذا التقدم الكبير ، والاكتشافات المثيرة « وكان اولها تغيير مكان الرؤية ، فبعد ان صور جزءا من مشهد من زاوية معينة ، صور جزءا من زاوية اخرى ، وهنا شعر شركاؤه بالقلق وتساءلوا : «الن يشعر المتفرجون بالدوار ؟ أتراهم يتحملون هذه الانتقالات المحمومة المستحيلة ؟ » ثم اتضح ان الجمهور قد ارتاح الى دوره الجديد كمشاهد موجود فى كل مكان ، فلما ظهر فيلمه (بعد سنوات طويلة) After Many Years كان ذلك حدثا تاريخيا فحتى ذلك الوقت - باستثناء ما قدمه ادوين بورتر فى فيلم سرقة القطار الكبرى - كانت جميع اللقطات تؤخذ من مسافة ثابتة ، وكانت فى العادة لقطات طويلة او متوسطة وكان الجمهور يرى الممثلين على الشاشة كما كان يراهم اشخاصا علي المسرح تقريبا ، اما فى ذلك الفيلم الذى اقتبس موضوعه عن قصة للشاب الانجليزى نيسون فقد لجأ المخرج جريفث Griefith الى شيء جديد ، وإذا بالجمهور يرى فجأة فى وسط المنظر لقطة مكبرة Close up وكان لها وقع مذهل عند الجمهور [٩٧]

وباستخدام جريفث اللقطات القريبة المكبرة اصبح المتفرج ايجابيا وفى نشاط مستمر ، فهو ينظر الى جانب ، ثم ينظر الى جانب آخر ، ينظر من بعيد ثم من قريب ، مرة من فوق كتف البطلة ومرة بعينية ومرة بعينيها ، واصبح الفيلم عبارة عن لقطات متتابعة فى تركيب دقيق الحساب ، وفى عام ١٩١١ قرر جريفث استخدام بكرتين لعرض الفيلم الواحد مما سمح بامتداد مدة عرض الفيلم بعد ان كان طول الفيلم لايزيد على ١٠٠٠ قدم ويستغرق عرضه حوالى ١٢ دقيقة اذ كانت البكرة الواحدة لاتتسع لاكثر من ذلك ، وكان المعارضون لعرض افلام طويلة يخشون عدم قبول الجمهور للجلوس مدة طويلة لمشاهدة الفيلم ، لكن ثبت العكس ، وكان الجمهور سعيدا وهو

---

(٩٧) الاتصال بالجماهير - مرجع سابق

يشاهد فيلما مدة عرضه ساعتان ، وهو فيلم الملحمة الايطالية الكبيرة «كيوفادس» الذى عرض بالولايات المتحدة عام ١٩١٣ ، والذى استمر عرضه تسعة أشهر متتالية ، لاقى خلالها نجاحا كبيرا[٩٨] .

وتعتبر الفترة من عام ١٩١٩ حتى بداية ظهور الافلام الناطقة عام ١٩٢٧ ، فترة ازدهار الافلام الصامتة ، وقد قدمت خلال هذه الفترة اعمال سينمائية ضخمة رائعة مثل فيلم "الوصايا العشر" للمخرج سيسيل دى ميل وقد تكلف مليون دولار بحساب ذلك الزمان ، وحقق نجاحا كبيرا وايرادات ضخمة ، وكان تشارلى شابلن من أبرز نجوم الافلام الصامتة ، وكان قد بدأ نشاطه السينمائى فى الولايات المتحدة عام ١٩١٣ وعمره ٢٤ عاما ، وفى خلال عام واحد كان قد اكتسب شهرة عالمية » وفى عام ١٩١٦ وقع عقدا بمبلغ ٦٧٠ الف دولار فى العام ، فقدم فيلم «الغلام » « والبحث عن الذهب » « وامرأة من باريس » ، وفى هذا الفيلم الأخير تقدم تشارلى شابلن خطوات جديدة فى الاخراج مثل القطار اثناء وقوفه فى المحطة ثم ظهور البطلة وهى تتجه نحو خيال القطار وهو يتحرك ، كما ظهرت افلام « رودلف فالنتينو » ومنها فيلم «دماء ورمال» وفيلم « ابن الشيخ » وكذلك افلام « دوجلاس فيربانكس » مثل فيلم « الفرسان الثلاثة » وفيلم « علامة زورو » وفيلم « روبن هود » .

وكان الفيلم الصامت يحقق للمشاهد دورا ايجابيا متميزا اثناء المشاهدة ، وعندما بدأ استخدام الصوت قوبل ذلك بمعارضة شديدة من الكثيرين من المشتغلين بصناعة السينما ، اذ كان المشاهدون ينفعلون ويندمجون ويعلقون على الأحداث ، فهم ينتقلون من عالمهم الخاص الى العالم الذى ينقله اليهم الفيلم ويجدون لهم دورا فيه ، ففى أثناء اندماجهم مع الشخصيات كانوا يصيحون عندما يتعرض بطلهم الى اى خطر ، ويثورون عندما يتعرض لظلم ويحثونه على التمرد والانتقام من العدو ، ويسبون المجرم ويرشدون عن مكانه ، ويطلقون النكتات ، ولعل ذلك يذكرنا بما حدث فى انجلترا اثناء عرض احد هذه الافلام الصامتة وكان الشريط مليئا بالشروخ التى ظهرت على الشاشة وكأنها زخات مطر، فصاح أحد التلاميذ " الدنيا تمطر" فاسرع جميع زملائه بفتح مظلاتهم ورفعها فوق رؤوسهم حيث كان الانجليز يحملون معهم مظلاتهم دائما بسبب عدم استقرار الطقس فى لندن ، وعندما اكتشف التلاميذ الحقيقة اخذوا يضحكون بصوت عال الى ان جاء مدير السينما وطردهم ، ومع ذلك فقد كان هناك فى بعض دور العرض من يقوم بالشرح أثناء

(98) The Hamlyn Story of the movies Compiled by Mary Devis Janice Anderson and Peter Arnold The Hamlyn Publishing Group Lim London . 1975.

عرض الفيلم الصامت مع تأدية بعض المؤثرات الصوتية مثل صوت القطارات او فتح الباب .

★ وبدات الصور تتكلم ★

وكان من الطبيعى الا يتوقف تطور الفن السينمائى عند السينما الصامتة ، فقد كانت هناك محاولات ترجع الى عام ١٩٠٢ ، وكان للالمان فضل الريادة فى هذا المجال ، وكان لابد من الانتقال من تلك المرحلة الى مرحلة الافلام الناطقة .

وكانت طريقة الفيتافون Vitaphone اول طريقة تم بها تقديم اول فيلم ناطق ، آى الفيلم الذى تكون فيه الاصوات والمؤثرات الصوتية متزامنة Sychron zed مع الصور المرئية وقدمه الاخوان وارنر Warner Brothers ، ففى ٦ اغسطس عام ١٩٢٦ فى مسرح وارنر فى مدينة نيويورك تم عرض فيلم « دون جوان » ، وقد سجل معه الصوت والموسيقى ، لكن الغريب ان هذا الفيلم لم يحقق اى درجة من الاثارة والاهتمام ، لكن النجاح الحقيقى جاء مع الفيلم الثانى (مغنى الجاز) The Jazz Singer والذى عرض في نوفمبر عام ١٩٢٧ ومن بطولة مغنى الجاز الشهير آل جولسون AlJolson وكان هناك فى الحقيقة ٨٢١ كلمة فقط فى الفيلم كله ، وجميعها بصوت آل جالسون ، واصبح هذا التاريخ وهذا الفيلم يمثلان الميلاد الحقيقى للسينما الناطقة .

ثم جاء فيلم اضواء نيويورك Lights of Newyork سنة ١٩٢٨ ليكون أول فيلم ناطق تماما all talking picture ، وعلى مدى سنة واحدة كانت الآلاف من دور السينما قد تم تزويدها باجهزة للصوت ، وتطورت طرق تسجيل الصوت التى استحدثتها « معامل بل للتليفونات The Bell Telephone Laboratories التى كانت تسجل الصوت على اسطوانات ضخمة يتزامن فيها الصوت مع الصورة بطريقة ميكانيكية ، وهو النظام الذى تبنته شركة الاخوة وارنر ، وقد نتج عن مولد السينما الناطقة انتهاء مهن عديدة كانت تجد لها عملا فى فترة السينما الصامتة The Si-lent Era لكنها خلقت فرصا جديدة لممثلى وممثلات المسرح والكتاب والموسيقيين ونجوم الفدفيل Vaudville ونجوم الراديو ، وسرعان ماحل محل اسطوانات الاخوة وارنر الضخمة ، نظاما صوتيا مرئيا Phonofilm يكون فيه الصوت مسجلا على نفس نسخة الفيلم المصورة ، ومع تقدم وازدهار تقنيات التسجيل الصوتى ، كانت الديالوجات والمؤثرات الصوتية والموسيقى تسجل منفصلة باستخدام عمليات صوتية مغناطيسية، ثم تمزج وتخلق أجواء رائعة بالغة حدالكمال .

وهكذا يتأكد لنا ان السينما تمثل في حقيقتها ظاهرة Phenomenon ولا تمثل اختراعا بالمعنى الحقيقى لمفهوم الاختراع فقد شارك فى خلقها وتطويرها وتطور ادواتها العديد من الرواد

الى ان وصلت الى ما وصلت اليه من التقدم ، وما تسعى اليه اليوم من تحقيق ما هو افضل فى عالم الغد ، ونحن إذ نتحدث عنها كظاهرة اتصالية انما نتحدث عنها كوسيلة كبرى من وسائل الاتصال بالجماهير ونسبق بذلك الحديث عن الراديو والتلفزيون باعتبارها قد سبقت فى مولدها هاتين الوسيلتين الطاغيتين من وسائل الاتصال بالجماهير ، وعندما تربعت هوليود على عرش السينما ، واستطاعت خلال فترات ازدهارها الطويلة وسنوات كفاحها واصرارها على الوقوف فى وجه التليفزيون الذى جعلها تفقد بمرور الزمن بعض ما كانت تتمتع به من ابهار وسحر وخبرة واستطاعت التكيف فى صور واشكال عديدة بدءا من تطوير صناعة السينما ذاتها وتطوير صالات العرض التى اصبحت اكثر ثراء وراحة مع تزويدها بوسائل سمعية افضل واكثر تطورا ، وشاشات عريضة ، واذا بنا نشاهد الافلام الملونة وقد اكتسحت الساحة .

كما جاءت عملية التكيف هذه عن طريق اقتحام شاشة التلفزيون ذاتها، بتقديم الافلام الى جماهير المشاهدين عن طريق المحطات التليفزيونية ، فيشاهدها الناس وهم فى منازلهم ، خاصة هؤلاء الذين هجروا صالات العرض ، حيث يمكن لهؤلاء مشاهدة هذه الافلام حسب خريطة البرامج الثابتة والمعلنة والخاصة بكل محطة تلفزيونية ، اذ عن طريق طلب افلام بعينها من خلال تلفزيون الكابل Cable – التلفزيون السلكى – نظير اشتراك خاص او عن طريق طبع الافلام على اشرطة الفيديو كاسيت او اسطوانات الليزر وغير ذلك من منجزات تكنولوجيا العصر ، بل يمكن القول ان هوليود وهى عاصمة السينما العالمية « قد حاربت التلفزيون اساسا بجعله تابعا لها ومساعدا ، فنجد اليوم ان الجانب الاكبر من امكانات صناعة السينما مسخرة لانتاج برامج التلفزيون ، ولكن السينما عمدت الى تكنيك جديد فى هذه المواجهة ، اعنى انتاج الافلام ذات الميزانيات الضخمة ، والحقيقة المؤكدة ان الفيلم الملون هو اكثر الوسائل التى تقرب السينما من تأثير الصورة التليفزيونية ، فالتصوير السينمائى الملون يقلل الى حد كبير من كثافة الصوت ويخلق الى حد ما الظروف البصرية اللازمة لمشاركة المشاهد [٩٩]

وقد استطاعت السينما تحقيق العديد من الانجازات التى تتمثل فى التقنيات الحديثة فى التصوير،واستحداث آلات تصوير متطورة،وقد بدأت السينما تطورها الواسع منذ ايام جريفث Griffith الذى قام بتغيير مكان الرؤية ، مما جعل للمشاهد دورا ايجابيا بوجوده فى كل مكان تقع فيه الاحداث، لكن المستحدثات الجديدة جعلت المشاهد اشد قربا ويشعر انه يعيش فى قلب تلك الاحداث ،

---

(٩٩) كيف نفهم وسائل الاتصال – مرجع سابق .

مثلما فعلت السينيراما Cinerama وهى عبارة عن نظام للشاشة العريضة جدا Extra Wide يعتمد على ثلاث كاميرات ، وقد اخترعها فريد وولر Fred Waller ، وكان اول فيلم تم تصويره وعرضه بهذه الطريقة فيلم « كيف تم غزو الغرب How the west was won عام ١٩٦٢ ، وقد تم ادخال العديد من التحسينات على هذا النظام الذى يجعل المشاهد اسير الخداع البصرى ، ويشعر وكأن القطار الذى يجرى امامه على الشاشة سيصطدم به ، أو أن المعركة بالسلاح الابيض تعرضه للخطر ، فيتحرك فى مقعده لكى يتفادى ضربات السونكى او كأنه يطير أو يسقط من ارتفاع كبير بل والسينما الحسية التى يشعر معها المشاهد انه معرض لأخطار الزلازل عندما يشعر ان الكرسى الذى يجلس عليه يتأرجح ، ويشم الروائح المختلفة ، بالاضافة الى التقنيات الحديثة فى التصوير وآلاته المتطورة ، والاضاءة والخدع والمؤثرات الصوتية والميكانيكية والصوت المجسم والديكور والملابس والاكسسوار والانتاج الضخم باهظ التكاليف ، مع التطور الكبير فى المعالجة السينمائية والتخصصات الدقيقة فى الكتابة واعداد السيناريو والاخراج ، واذا بنا نعيش اروع الاعمال التاريخية ومعجزات افلام الخيال العلمى وافلام الكوارث والزلازل والبراكين والحرائق ومثل حوادث سقوط الطائرات او اصطدامها في الجو ، بالاضافة الى افلام المطاردات البوليسية مثل خطف الطائرات وخطف الاتوبيسات والقطارات وخطف الاطفال ، والافلام النفسية والافلام التى تتناول حياة المتخلفين عقليا او كبار المجرمين وفظائع الحكام الديكتاتوريين ، وافلام الكاراتيه والعنف مع وجود الافلام الرومانسية والافلام التى توجه الى الاسرة ، بالاضافة الى الافلام الجنسية الفاضحة او المستترة والافلام السياسية والايدلوجية والافلام التسجيلية والافلام التي تعتمد علي ابداعات الفكر العالمى وكبار المؤلفين .

ويبقى ان نقول « ان عرض العلاقات الانسانية يثير فى النفس الشعور بالتوتر ، ويغرى الانسان بالتعرف على نفسه في الآخرين ، وذلك يحرك فى النفوس نزعتها المغمورة المكبوتة تحت التوتر »[١٠٠] « كما ان الحركة العامرة بالمعنى تأسر الاهتمام ، وتخلق لدي المتفرجين الشعور بالتوتر والاحساس بالمشاكل ، فيقوم المتفرجون بالقاء الاسئلة داخل اذهانهم [١٠١] ان المتفرج هنا

---

(١٠٠) الأتصال بالجماهير – مرجع سابق .

(١٠١) المرجع السابق .

يشعر ان الاحداث التى يراها على الشاشة تشبه الأحداث التى تقع فى واقع الحياة ، فهو اذن يعيش واقعة ، والسينما هنا تنتقل الى عالمه الخاص من خلال عالم أخر هو من صنع الفيلم السينمائى .

★ السينما الامريكية ..وتأكيد بطش القوة ★

والسؤال الذى يطرح نفسه الأن هو :

*** هل استطاعت السينما الامريكية وقد تربعت على عرش السينما العالمية لأجيال عديدة ، مع احتوائها لكافة منجزات العصر التكنولوجية ، والتى تم استحداثها واستخدامها فى صناعة السينما ، هل استطاعت استغلال كل ذلك وجعله فى خدمة الانسان حيثما كان ؟**

ان الحقيقة تقول ان السينما الأمريكية لم تكن لتعمل يوما من اجل صالح الانسان وخدمة البشرية والتخفيف من معاناة المظلومين والمقهورين بما فى ذلك الانسان الامريكى ذاته ، ولعل من الغريب ان يتحدث زعيم ثورى مثل الرئيس أحمد سوكارنو رئيس اندونسيا المستقلة الأسبق الى مجموعة من مديرى شركات السينما فى هوليود عام ١٩٥٦ ، ويقول لهم انه يعتبرهم قادة سياسيين راديكاليين (*) وثوريين عملوا على تعجيل التغيير السياسى فى الشرق بسرعة كبيرة فلقد كان الشرقيون يشاهدون فى افلام هوليود عالما يملك فيه كل الناس العاديين سيارات ومواقد وثلاجات كهربائية ، وهكذا نظر الشرقى الى نفسه كإنسان عادى فوجد نفسه محروما من كل الحقوق الطبيعية للأنسان العادى (١٠٢) .

إلا ان مارشال ماك لوهان Marchal Macluhan يقول تعقيبا على مقولة الرئيس أحمد سوكارنو :

« ان هذا الجانب الرئيسى للفيلم السينمائى غير مُدرك فى اميريكا الا بشكل ضئيل ، فنحن فى اميريكا لا ننظر الى افلامنا كحوافز للثورة او لاثارة الفتنة ، وانما نحن نعتبرها نوعا من العزاء والتعويض ، او كشكل من اشكال الدفع المؤجل باحلام اليقظة ، ولكن الانسان الشرقى

(*) تشير الراديكالية - الى الفكر الاجتماعى والسياسى اليسارى والسلوك العملى والسلوك العملى المرتبط به الذى يطالب بضرورة احداث تغييرات جذرية ومباشرة فى النظم القائمة .
[قاموس علم الاجتماع - مرجع سابق]

(١٠٢) كيف نفهم وسائل الاتصال - مرجع سابق .

على حق في موقفه هذا ونحن المخطئون »[١٠٣].

ويعود مارشال ماك لوهان ليؤكد ان السينما الامريكية تقدم لعملائها اكثر السلع سحرا واخذاً بالألباب ، وهي الاحلام ، ولذلك فليس مصادفة أن السينما قد برعت كوسيلة اتصال في ان تقدم للفقراء ادوار الثراء والقوة التى تفوق ما يستطيع البعض ان يحلم به ... وهكذا نجد ان حياة المظاهر قد اعطتها السينما للفقراء بسخاء :

" آه كم انا محظوظ .. محظوظ وساعيش فى رفاهية فلدى حفنة من الاحلام" كان ذلك هو بعض حقيقة السينما الامريكية التى هيمنت طويلا على صناعة السينما العالمية ، وحاصرت الفكر والثقافة فى مختلف انحاء العالم ، وقامت ببيع الاوهام والاحلام الزائفة وما يطلقون عليه الحلم الامريكى المتمثل فى الرجل الذى يصعد من قاع المجتمع الي القمة ، ويمتلك المنزل الخاص الذى تحيطه حديقة والثلاث سيارات للأسرة الواحدة والموقد الكهربي والتليفزيون والثلاجة ومكيفات الهواء وغيرها من وسائل الرفاهية ، وابراز الامريكى « السوبر » القادر على كل شيء بدءا من ايام العصر الكولونيالى « الاستعمارى» الاستيطانى الاول ، حيث ابادة الهنود الحمر مشروعة ، أو فى قلب افريقيا حيث ابادة الرجل الاسود مشروعة ، بينما يهلل المشاهدون ويصفقون لعمليات الابادة كتحية للرجل الابيض ، وتأكيدا لعنصريته ، وان الزنوج وغيرهم من الأجناس هم اهم اسباب التخلف ، فهم القتلة والسفاحون وتجار المخدرات والجنس ومرتكبو كافة الجرائم ، مع ابراز الدور البطولي للمخابرات المركزية الامريكية والمقاتل الامريكى ، وتضخيم هذه القوة واهميتها لخدمة المصالح الامريكية ، وهى فى مجملها مصالح قائمة على حماية الرأسمالية الامريكية ، واستنزاف موارد الشعوب الأخرى ، وإبراز الولايات المتحدة كقوة قادرة ذات اذرع طويلة قادرة على تحطيم من يتصدى لها ، بالإضافة الى خدمة العنصرية الاسرائيلية التى تمثل الدولة فيها خط الدفاع والهجوم الاول للمصالح الامريكية فى الشرق الاوسط، وتشويه صورة أبناء العالم الثالث والعرب بصفة خاصة وشعوب امريكا اللاتينية ، بالاضافة الى الاتحاد السوفيتي السابق ودول ما كانت تسمي بالكتلة الشرقية او دول الستار الحديدى كما كانو يطلقون عليها ، وذلك قبل سقوط حائط برلين وعودة ألمانيا موحدة والتحولات والتغيرات الكبرى التى اسقطت الشيوعية ، وان لم تسقط الاشتراكية ذاتها كحلم كبير للبشرية في كل مكان ووصم كل هؤلاء بالتخلف الحضارى والدونية .

...

(١٠٣) المرجع السابق

★ صائد الغزلان المعتدى ★

« ولعل من المهم ان نذكر فيلم صائد الغزلان The Deer hunter اخراج مايكل سيمينو، وهذا الفيلم واحد من عشرات الافلام التى تتحدث عن الحرب الفيتنامية،وقد حاز هذا الفيلم على جائزة الاوسكار لعام ١٩٧٩ وقد عرضه التليفزيون المصرى مؤخرا .

يبدأ هذا الفيلم بتقديم صورة مثالية رائعة لحياة الشباب الامريكى القادر على المرح والحب والكسب مجسدا فيهم « الحلم الامريكى »الذي تحدثنا عنه،وكمهاجرين من اصل روسى ، ويتم تجنيد مجموعة من هؤلاء الشباب للسفر للقتال في فيتنام وهناك يقع عدد منهم فى الاسر ، ويتعرض هؤلاء الامريكيون النبلاء الشرفاء زينة الشباب كما يصورهم الفيلم ،يتعرضون لوحشية الفيتناميين الشماليين الساديين الذين لا يعرفون الرحمة ، وتبلغ وحشيتهم ذروتها بوضع الأسرى الامريكيين فى اقفاص من سيقان اشجار المامبو المغمورة فى الماء ، ويخرجونهم واحدا بعد الآخر مثلما يقوم مربو الحيوانات باخراج الحيوانات حيوانا بعد الآخر للذبح ، وهنا يخرجونهم لكى يتسلى بهم الفيتناميون الشماليون من خلال لعبة « الروليت الروسى » وهى لعبة قاتلة،إذ يمسك الشخص وهو الأسير هنا بالمسدس الذى وضعت فيه رصاصة واحدة ، ويدير الخزانة او ساقية المسدس ، ويصوبه الى جانب من جبهته ، ويضغط على الزناد ، فاذا كانت الرصاصة فى مكانها الصحيح ، قتل فى الحال بينما تنقذ حياته لبعض الوقت اذا لم تكن الرصاصة فى مكانها امام ابرة الضرب ، وهكذا يكون الرهان : هل سيقتل الأسير او يتأجل قتله ؟

وهكذا قلب الامريكيون الحقائق ، فهم الغزاة ، وهم ممارسو التعذيب الحقيقى ، والفيتناميون يدافعون عن ارضهم ، لكن هكذا تقلب الحقائق دائما ، وللحقيقة نقول ان مظاهرات احتجاجية عديدة نظمت للإعتراض على منح هذا الفيلم جائزة الاوسكار ، وفى مهرجان برلين السينمائى الدولى عام ١٩٧٩ الذى عرض فيه هذا الفيلم ، اعترضت الدول المشاركة ، وانسحبت جميعا ، وان بقيت دول اوربا الغربية والولايات المتحدة الامريكية ومصر ، وهكذا لم تكن السينما الامريكية فى مجملها تميل ولو ميلا بسيطا نحو تأكيد معانى العدل والمساواة والأخذ بيد الانسان نحو ما هو افضل ، بل هى كما يقول المؤرخ الاجتماعي الامريكى ويليم مانشستر William Manchester ان منتجي الافلام - الامريكية - قد حققوا مزيدا من الاموال فى كل سنة ، بعد سنة بتجاهلها الى حد بعيد مشقة الحياة خارج دار السينما [١٠٤] .

---

(١٠٤) مقدمة إلى وسائل الاتصال - مرجع سابق .

★ الافلام ذات الرسالة ★

وكان لابد ان تنحدر هوليود من قمة زعامتها لعالم السينما ، ومع ذلك فقد عاد اليها بعض النجاح باتجاهها نحو ما يمكن ان نطلق عليه الواقعية الصحيحة فى بعض ما تنتجه من أفلام، وما يمكن ان نطلق عليها "الافلام ذات الرسالة" ويرى (ياك هنرى) وهو واحد من كبار كتاب السيناريو فى هوليود ان فيلم « الخريج » يمثل هذا التحول الجديد وقد عرض هذا الفيلم فى عام ١٩٦٨ بعد أن كان نصه (أى السيناريو) قد رفض من جانب جميع شركات السينما ، لانه يتضمن وجهة نظر انتقادية للمواصفات الامريكية ، ولكن الفيلم ضرب جميع القواعدِ السابقة للنجاح ، وغيّر بذلك قواعد النجاح ، و قد رأى الشباب من رواد السينما فى دور « الخريج » الذى مثله « داستن هوفمان » .

صورة الطالب الذى يتخرج من مدرسة ثانوية ، ثم يتخذ من المؤسسة موقفا مضادا وقد استطاع « هوفمان » القليل الحجم العادى الملامح ، ان يمثل الفيلم بصورة طبيعية واقعية حقيقية، ومن هنا بدأت هوليود تكتشف ممثلين يشبهونه بين الجمهور ، لأن الجمهور يجب ان يرى نفسه على الشاشة،ويحب الواقعية الصحيحة التى تتمثل فى هؤلاء الممثلين ذوى الملامح العادية (١٠٥)

★ فى خدمة الامبريالية الامريكية ★

ومع ذلك فلا تزال هوليود تمارس نفس ممارستها القديمة ، وتضع نفسها فى خدمة الامبريالية الامريكية ومصالحها واستثماراتها وتسلطها على مقدرات الانسان الامريكى ذاته ، ومقدرات أبناء الشعوب الاخرى ، ولعل فى مقولة شهيرة لوزير الخارجية الامريكية الأسبق "ويليم روجرز" ما يؤكد مثل تلك التوجهات الامريكية فهو يقول : « اننا نملك ٦٠ ٪ من الاستثمار الاجنبى المباشر فى العالم ، ولنا تواجد ومصالح فى كل انحاء العالم ، وانه من الطبيعى تماما بالنسبة للأمريكيين ان يكونوا كذلك، بل ان علينا ان نقبل ذلك سواء اردنا أو لم ترد - اذ ان أى ميل للانعزالية سينطوى فى تصورى على مخاطره كبيرة (١٠٦) .

والحقيقة انه ما من فن امكن توظيفه لخدمة شعب من الشعوب ودولة من الدول ، مثل

---

(١٠٥) المرجع السابق

(١٠٦) هربرت . أ . شيللر - المتلاعبون بالعقول - ترجمة عبد السلام رضوان - عالم المعرفة الكويت - اكتوبر ١٩٨٦ .

الفن السينمائى فى الولايات التحدة الامريكية ، الذى قدم ولايزال يقدم الحياة الامريكية والحلم الامريكى الى العالم ، والامريكى السوبر الذى لايقهر ، والجيش الامريكى الذى لايهزم ، والذراع الطويلة للمخابرات الامريكية مما ساعد على طبع العالم بطابع امريكى تحقيقا للهدف الامريكى وهو امركة العالم Americanizing the world .

السينما السوفيتية

★ ايام ما قبل البروسترويكا والجلاسنوست وسقوط الاتحاد السوفيتى ★

واذا كنا قد تحدثنا بشئ من التفصيل عن السينما الامريكية وابراز العديد من توجهاتها القائمة على خدمة المصالح الامريكية الامبريالية فى مختلف انحاء العالم ، بدءا من ابراز الحلم الامريكى ، وبيع الوهم للإنسان الامريكى ذاته ، مرورا بتأكيد السيطرة الامريكية من أجل حماية الاستثمارات والمصالح الامريكية المتشابكة ، والتى تمثل ٦٠٪ من الاستثمار العالمى طبقا لمقولة وزير الخارجية الامريكى الاسبق ويليم روجرز ، فينبغى ان نقف امام السينما السوفيتية فى الاتحاد السوفيتى السابق التى تمثل الموقف المعادى لتلك التوجهات ، قبل المتغيرات بعيدة المدى فى التوجهات السوفيتية ذاتها التى احدثتها برسترويكا وجلاسنوت جورباتشوف وهما المصارحة والمكاشفة والتحدث بصوت عال ، وما صاحب ذلك من انفتاح على الغرب وسقوط معظم الانظمة الشيوعية فى اوربا الشرقية والتحول الي نظام السوق الحر فى الاتحاد السوفيتى السابق ذاته .

اننا نعود مع تاريخ السينما فى الاتحاد السوفيتي السابق الى سنوات ما قبل الثورة الروسية البلشفية عام ١٩١٧ فنعود مع بدايات ونشأة الفن السينمائى فى روسيا القيصرية والذى يعود الى عام ١٩٠٨، وكانت الافلام الروسية فى تلك الفترة بالضرورة افلاما صامتة ، وقد جاءت تلك الافلام متأثرة بالطابع الامريكى والطابع الفرنسى معا ، حيث أفلام الحركة Actionالامريكية والافلام ذات الطابع الاجتماعى الفرنسية ، بالاضافة الي الأفلام الميلودرامية التى كانت سائدة ايضا فى السينما الغربية بصفة عامة ، لكن التوجهات اختلفت الى حد كبير بعد الثورة ، واستيلاء الشيوعيين على الحكم ، ومن الغريب ان تكون اكثر الافلام خلقا وابداعا فى خدمة التوجهات الاشتراكية وخدمة أهداف الثورة قد برزت فى مرحلة الافلام الصامتة The Silent era وقد برزاربعة من كبار المخرجين الروس فى العشرينات من هذا القرن هم :

سيرجى ايسنستين Sergei Eisenstein الذى قدم افلاما رائدة ، منها الفيلم التسجيلى

"الاضراب Strike" عام ١٩٢٤ الذى جعل فيه الجماهير الحاشدة هي البطل ، ثم فيلم البارجة بوتمكين Battleship Potemkin عام ١٩٢٥ والذى اعتبر على مدى الخمسين عاما التالية واحدا من اعظم الافلام فى تاريخ السينما العالمية .

وكان للثلاثة الآخرين ادوار اخرى رائدة ، وهم فيسبيلود بودفكين Pudovkin والأوكراني والاسكند دوفرهنكو Alexander Dovzhenko وديزيجا فيرتوف Dziga Vertov .

ومع انطلاقة الافلام الناطقة استطاع المخرجون الروس تقديم افلام رائدة فى مجال خدمة الايدلوجية الشيوعية ، لكن كثيرا ما افسدت قبضة الدولة والرقابة الحكومية الكثير من تلك الأفلام ، لكن ما ان كانت تخف حدة تلك القبضة قليلا ، حتى يقوم المخرجون الروس بتقديم أعمال سينمائية أفضل،خاصة فى فترة الخمسينيات والستينيات منها فيلم «طيور الكركى تطير» The Cranes are flying،١٩٥٧» واغنية جندى Ballad of a Soldier «١٩٥٩» بينما حققت بعض الافلام الأخرى نجاحا جماهير كبيرا على المستوى العالمى من بينها السيدة وكلبها الصغير The lady with the little dog ١٩٦٠ ودون كيشوت Don Quixote عام «١٩٥٧» وهاملت عام ١٩٦٤ .[107]

★ السينما السوفيتية فى مواجهة السينما الامريكية ★

ومع ذلك فقد كانت السينما السوفيتية تستشعر دائما منافسة السينما الامريكية لها ، وقيامها بانتاج أفلام معادية للأيدلوجية الشيوعية بل وللشعب الروسى ذاته ، وشعوب الاتحاد السوفيتى بصفة عامة ،ولهذا انطلقت السينما السوفيتية تهاجم النظام الرأسمالى الغربى ، وتكشف سقطاته وكافة سوءاته خاصة ماهو قائم فى الولايات المتحدة الامريكية ، بل نحن نجد افلاما روسية يتم انتاجها ردا على الافلام الامريكية مثلما هو الحال مع فيلم « رحلة طيران» اخراج سيرجى ميكا يليان ، ويحكى قصة راقص سوفيتى يشترك فى عروض فى الولايات المتحدة الامريكية فى اطار جولة فنية لكنه يفضل البقاء فى امريكا ، لكن زوجته التي كانت بصحبته ، تفضل العودة الى الوطن ، لكن المخابرات الامريكية تضغط عليها ضغوطا شديدة لكى تبقى هى الأخرى ، وهذا الفيلم جاء ردا على الفيلم الامريكى « الليالى البيضاء » الذى يحكى عن قصة هذا الراقص السوفيتى دون ذكر للضغوط التى مارستها المخابرات الامريكية على زوجته ، وفى نفس الوقت نلتقى بالعديد من الافلام الروسية التى تؤكد ارتباط الانسان بالوطن ، وان الوطن هو الافضل دائما ، « مثل فيلم الشاطىء » الذى اخرجه «ألوفاونا وموف»

(107) The Hanlyn History of the Ciema . مرجع سابق

حيث يزور احد الكتاب المانيا الاتحادية التي يتفشى فيها الانحطاط ، وفيلم « الاختيار » لناوموف حيث يلتقي صديقان قديمان هرب احدهما اثناء الحرب العالمية الثانية واصبح يدرك انه بدأ حياته عندما غادر وطنه ، وفيلم «الحنين» الذي اخرجه تاركوفسكي في ايطاليا عام ١٩٨٤ ويصور المخرج ما عاناه في منفاه،فجميع هذه الافلام تتفق على تأكيد ما يلقى الروس من مشقة عندما يعيشون بعيدا عن أرض آبائهم وابراز عجزهم عن التواؤم مع عالم فظ معاد بسبيله فيما يرون الى الافلاس (١٠٨)

★ وبدأت الصورة تتغير ★

ومع ذلك فقد بدأ اتجاه آخر يقترب من خلاله الشعبان الروسي والامريكي من بعضهما البعض عن طريق انتاج افلام سينمائية مشتركة ، لعل من ابرزها سلسلة من الرسوم المتحركة انتجها مؤخرا ستوديو روسي بالتعاون مع شركة امريكية « ويقدم المسلسل شخصية تريستان » وهو درفيل امريكي وشخصية بافلوفا » وهي درفيلة روسية وقد تدرب كل منهما في قاعدة عسكرية في بلاده لكنهما التقيا في اعماق البحر ووقع كل منهما في هوى الآخر .

في نفس الوقت بدا انتاج افلام سينمائية روسية جديدة لاتنظر بقداسة الى الايدلوجية الشيوعية ، بل هي تلمس عن قرب مشاكل الانسان الروسي ومعاناته وحيرته ازاء المتغيرات العالمية والمتغيرات الزاحفة باصرار ومثابرة داخل المجتمع الروسي ، ومناقشة العديد من السلبيات التي تشمل امورا سياسية واجتماعية واقتصادية ،من خلال رؤية متحررة من الخوف ومن سيطرة الدولة ، حيث خفت قبضة الرقابة على الافلام ، وكادت تتلاشى ، واصبح الانتاج السينمائي غير الحكومي امرا ممكنا ، وقد اذن كل ذلك بمولد فن سينمائي جديد في روسيا الاتحادية بعد ان تلاشى تماما ما كان يسمى بالاتحاد السوفيتي ، وقد حققت بعض هذه الافلام الكثير من النجاحات ، لعل آخرها فوز الفيلم الروسي الفرنسي المشترك « الشمس المخادعة » بجائزة الأوسكار عام ١٩٩٥ ، وهو فيلم يكشف بعض فضائح الحكم الشيوعي الاستبدادي أيام حكم ستالين عام ١٩٣٦ والفيلم من انتاج عام ١٩٩٤ .

السينما الطليعية: Avat-garde Ciema

★ سينما رافضة لكل ظلم ★

اكتسب مصطلح السينما الطليعية Avant-garde Cinema أهمية خاصة عندما تأكدت

---

(١٠٨) ترسان دبافلوفا - دراسة بقلم ماريلين فيلوس منشورة في مجلة رسالة اليونسكو عدد اكتوبر ١٩٨٩ .

اهمية الدور الذى يمكن ان تلعبه السينما فى مناصرة الشعوب المقهورة ، والوقوف الى جانب الانسان المغلوب على أمره ، وفى الدفاع عن حرية الانسان ، والوقوف فى مواجهة كافة صور القهر التى تواجهه،انها سينما العدالة الاجتماعية ، والحرية التى تسعى الى تغيير صور العالم الى ما هو أفضل ، وهى بمثابة ثورة على السينما الامريكية السائدة ، وما يسير على منوالها ، والتى تسعى الى الى الكسب المادى غير المحدود ، من خلال تقديم اعمال تخدم قوى التسلط والاستعمار العالمى ، وقوى القهر الجماعى التى تنزع من الانسان كل أمل فى الخلاص .

ان السينما الطليعية هى السينما التى تقف فى مواجهة الفقر والجوع فى العالم ، وتقف ضد الحروب التى تخوضها بنفسها الدول الكبرى المتسلطة ، وتلك التى تخوضها بواسطة الدول العنصرية الممثلة اساسا فى دولة اسرائيل وتخوضها ايضا بواسطة حكومات عميلة تدور فى فلك هذه او تلك التى تمثل اذرعا طويلة للدول الكبرى المتسلطة ، تحارب وتشعل الثورات هنا وهناك ، لحساب تلك الدول .

انها السينما التى تقف فى مواجهة حمى التسلح المجنون بالقنابل الذرية والهيدروجينية والكيماوية ومختلف اسلحة الدمار الشامل ، وتلويث البيئة ودفن النفايات الذرية والكيماوية فى تربة ومياه دول العالم النامى .

انها السينما التي تقف الى جانب السلام القائم على العدل ، الذى تفرضه مثل تلك القوى من أجل استمرار سيطرتها ، وما نسميه بمصالحها والذى يتيح لها المناخ الملائم لاستغلال ثروات الشعوب .

انها السينما التى تحس بمشكلات العالم ، وتضعها فى بؤرة الاهتمام من أجل ايجاد الحلول العادلة لها ، انها السينما التى تتبنى القضايا العادلة للشعوب المقهورة ، مثل قضايا الشعب الفلسطيني والتفرقة العنصرية وقضايا المرأة والاسرة والطفل والبطالة والجوع والفقر والمرض والجهل وكافة صور التخلف واستغلال الانسان لأخيه الانسان.

انها سينما حقوق الانسان فى كل مكان وزمان الرافضة لكل ظلم .

★ انها سينما الاساليب الجديدة ايضا ★

ومع ذلك فالمصطلح - السينما الطليعية - Avant-garde Cinema يطلق ايضا على الاساليب الجديدة تاليفا واعدادا واخراجا وتصويرا ومونتاجا ، وكافة وسائل انتاج الفيلم الى ان يصبح جاهزا للعرض على الشاشة ، وكل ما يقدمه التجريبيون ، وقد ظلت السينما بهذا المفهوم

محصورة فى نطاق ضيق ، وان كانت جذورها تمتد الى الفترة من العشرينات الي اوائل الثلاثينات من هذا القرن ، حيث كانوا يطلقون هذا المصطلح - الطليعية على العديد من الحركات الفرنسية في ذلك العقد .

اما مصطلح السينما الطليعية فكان بطبيعته يشير إلى الفن السينمائى أساسا ، وأصبحت السينما الطليعية تخاطب صفوة ثقافية A cultural elite على دراية تامة بالاشكال والمذاهب الفنية الحديثة ، وهكذا بقيت حركة محدودة نسبيا وغير واسعة الانتشار ، وكانت هناك حركتان رئيسيتان للسينما الطليعية :-

* الاولى Impressionist هى الحركة التأثيرية وقد انتهت عام ١٩٢٤ بموت رائدها لوى ديللوك Louis Delluc وكان يقول ان الفيلم عبارة عن وسيط مرئى visual medium ، وان التفكير في السينما باعتبارها مجرد كلمات تضاف اليها صور ، يفقدها خاصيتها التى يعرفها اى فن آخر وهى قدرتها علي خلق الخداع البصرى illusion ، وقد تبع لوى ديللوك على ذات الطريق مارسيل ليرليير Marcel l'herlier وآبل جانس Abel Gance وجيرمين دولان Germaine Dulan ، وجين ايستن Jean Esten

* الحركة الثانية هى الدادية Dadaism وهى الحركة الأقوى ، و الحركة السوريالية Surrealism وكان رائد الحركة الدادية فى السينما رنيية كلير فى فيلمه استراحة عام ١٩٢٤، حيث قام بتصوير الباليرينا Ballerina(الراقصة الاولى) من اسفل لكى يظهر سروالها ، ثم اظهرها وقد نبتت لهالحية ، وكان يقصد احداث صدمة لدى المتفرج ومزيد من الدهشة مع الاضحاك.

اما رائد السينما السوريالية Luis Binull الذى اعتمد على تفسير الاحلام التى تفوق حد المعقول ، والانفعلات المكبوتة ، وخفايا العقل الباطن ، وقد قدم فى عام ١٩٢٨ فيلم كلب أندالور Un Chien Andalor وقد اشترك فى كتابة قصة وسيناريو هذا الفيلم ، المصور الاسبانى سلفادور دالى Salvador Dali الذى مارس الاتجاه المستقبلي والتكعيبى قبل ان يهجر الفن التجريدى ويتجه الى السوريالية ، وكان دالى قد ادخل بذلك الفن السوريالى فى السينما والاعلان ورقصات الباليه ايضا ، وفى هذا الفيلم تم استخدام العقل اللاوعى فى خلق سلسلة من الصور .

وفى المانيا كان هناك وولتر روتمان Walter Ruttman واوسكار فيشنج Osker Fishing وهانز ريتشر Hans Richter وفايكنج اجلنج vaiking Eggeling، وكانوا جميعا يهتمون بعمل

افلام تجريدية لها علاقة بالسينما السرية التى سنتحدث عنها بعد قليل ، وكما نعرفها اليوم ، وقد تبنى هذا الاتجاه التجريبيون Experimentalists فى نيويورك فى الأربعينيات من هذا القرن ، ونستطيع ان نوجز القول بان السينما الطليعية فى صورتها الثورية النضالية،عبارة عن سينما موجهة الى جماهير الكادحين والطبقات المعقود عليها الآمال فى التحرك نحو التغيير ، وتبنى القضايا التى تطرحها ، كما انها فى صورتها الفلسفية التجريدية تخاطب الصفوة الثقافية والتى سبق ان قلنا انها صفوة على دراية كاملة بالاشكال والمذاهب الفنية والفلسفية الحديثة ، ولهذا ظلت السينما الطليعية فى شكلها الفلسفى التجريدى محصورة فى نطاق محدود ضيق .

★ السينما السرية ★ Undergroud Cinema

مصطلح السينما السرية ، مثله مثل مصطلح السينما الطليعية ، Underground Cine-ma من المصطلحات التى لم يكن من الممكن ادخالها بسهولة فى اطار المصطلحات الخاصة بالسينما ، فقد كان كل من السينما الطليعية والسينما السرية سينما ذات طبيعة خاصة بل بالغة حد الخصوصية البعيدة تماماً عن محيط السينما السائدة ، ومع ذلك فيمكن ان نقول انه الي جانب فرنسا ، لم يكن هناك سوى المانيا التى خطت خطوات مميزة على طريق السينما الطليعية بمفهومها الفلسفى التجريدى،وكانت بمثابة حلقة مرتبطة بالسينما السرية القائمة اليوم، التى اصبحت ظاهرة عالمية كانت بدايتها فى الولايات التحدة الامريكية فى نهاية الخمسينيات ، وسرعان ما اصبح لهذه السينما طابعا عالميا ، ونظمت نفسها على شكل تعاونيات فى الولايات المتحدة الامريكية بصفة خاصة،واصبح لها استثماراتها وتواجدها فى عالم التجارة والمال .

ان السينما السرية ترفض اسلوب هوليود ، ومختلف شركات السينما التى تتناول نفس موضوعاتها،مثل الموضوع الجنس باسلوب رزين مزّوق ، فهى تخاطب جمهور من المراهقين والشباب من الجنسين والمتحررين الثائرين علي برامج التسلية التلفزيونية المعلبة Packaged ، وموضوعاتها فى مجملها موضوعات جنسية ، مثلما فعل جاك سميث Jack Smith فى فيلمه مخلوقات شهوانية بمشوهرل Flaming Creatures الذى تناول فيه موضوع الجنسية المثلية (اللواطية)وموضوع الانحرافات الجنسية Sexual Deviation الذى تناوله كنيث الجر Kenneth Anger فى فيلم ثورة العقرب Scorpio Rising ١٩٦٣ وموضوع التأثيرات البصرية الحسية The visual and sensual effects للعمليات الجنسية المتكررة repeate super impo-sition فى فيلم المخرج رون رايس Ron Rise فاقد الوعى sensless ١٩٦٢ ، والسينما السرية تناصب الرقابة العداء ، فهى تعمل فى اطار الممنوعات والمحرمات Taboos ، ومع ذلك فقد

صعدت السينما السرية الى السطح ، ولم تعد تحت الارض فى الخفاء منذعام ١٩٦٦ بعد أن ازدادت مبيعاتها ، واتسع نطاق توزيع افلامها ، واصبح لها شبكات توزيع ضخمة Distributing networks خاصة تلك؛ التى اسسها جوناس ميكاس Jonas Mekas وبروس بالى Bruce Baillie وقد شهدت نهاية الستينيات نشاطا واسعا للسينما السرية فى ايطاليا والمانيا وفرنسا ، وبدرجة اقل فى بريطانيا واليابان وهولندا والنمسا وكندا وسويسرا وغيرها من الدول الاوروبية الغربية، لكن مامن دولة من هذه الدول تستطيع منافسة السينما السرية وان كان قد اصبح للسينما السرية صالات العرض الخاصة بها ، وهى دور مرخصة انتشرت على نطاق واسع فى الثمانينات ، وحتى بداية التسعينات ، وبدرجة اصبحت معها سينما عالمية ، لاسينما سرية ، بل هناك من محطات التلفزيون ما يعرض مثل تلك الافلام ، وان كانت بعض تلك الدول تفرض على تلك المحطات شروطا كأن يمتنعوا عن عرض الافلام الجنسية فى الأوقات التى تجتمع فيها الاسرة ، ويكتفى بعرضها فى ساعات متأخرة من الليل كمحاولة للتقليل من أخطار تعرض المراهقين والاطفال والاسر لما تحمله هذه الافلام من أخطار .

★ السينما الاباحية Pornogrpahic Cinema ★

وهى ذاتها السينما السرية Undergrond Cinema التى لم تعد سرية Surfaced والتى برعت فيها دول عديدة ابرزها ما تنتجه السينما الاسرائيلية التى تسعى إلى شغل شباب العالم عن قضاياهم المصيرية ، فهى تنتج أفلاما عديدة ، تركز على استثارة الغريزة الجنسية ، وتعتمد على العرى وموضوعات اباحية تماما ، وتختار لبطوتها باقة من اشهر النجوم واكثرهم جاذبية ، ونذكر من هذه الأفلام وهؤلاء النجوم :-

١- الظامئون للحب ، بطولة بربارا سترايسند وتونى كيرتس

٢- العشق فى السهول المتوحشة ، بطولة دالتون ترابو وباربارا هيرس .

السينما الهندية

★ فيلم سينمائى لكل مليون مواطن هندى كل عام ★

اننا لانستطيع الحديث عن السينما العالمية دون ان نفسح مكانا بارزا للحديث عن السينما المزدهرة فى شبه القارة الهندية ، ذلك العالم الواسع المزدحم بملايين البشر ، الذين يتحدثون بلغات ولهجات عديدة ، ويؤمنون بمعتقدات وديانات مختلفة ، مع تعايش وتصارع ثقافات متنوعة وفلسفات عميقة الجذور، وفوارق طبقية وثقافية وحضارية واسعة ،وهى سوق واسعة رائجة

---

(109) The Hamlyn History of the Cinema . المرجع السابق

تستطيع استيعاب مئات الافلام التى يتم انتاجها سنويا فى الهند ، بحيث يمكن تغطية نفقات الانتاج وتحقيق الربح من خلال التسويق المحلي داخل الهند ذاتها ، وهكذا ظهر اكثر من عاصمة واحدة للسينما الهندية ، لعل اكبرها هى بومباى Bombay ومدراس Madras وكالكتا Calcutta، وبالرغم من الضرائب الباهظة التى تفرضها الدولة على انتاج الأفلام السينمائية ، فالهند تنتج أكثر من ٧٥٠ فيلما سبعمائة وخمسون فيلما روائيا طويلا كل عام ، اى انها تنتج فيلما سينمائيا تقريبا لكل مليون مواطن هندى كل عام – في اربع عشرة لغة رئيسية ، تعرض فى نحو عشرة آلاف دار للعرض منتشرة فى جميع أنحاء البلاد ، وغدت صناعة السينما جزءا لا يتجزأ من واقع حياة الشعب الهندى ، فقد عاشت جماهير المشاهدين معها وضحكت معها وبكت معها وربما نشأت وكبرت معها[١١٠] لقد بدأ تاريخ صناعة السينما فى الهند مع وصول عددا من العاملين مع لوميير Lumiere الى الهند عام ١٨٩٦، واول فيلم هندى حقيقى هو فيلم راجا هاريشارندرا Raja Harichndra اخراج دوندي يراج جوفند فالكى Dhundiraj Govind Phalke فى عام ١٩١٢، واول فيلم يمكن اعتباره فيلما عالميا هو فيلم باثر بانشالى واخرجه ساتياجات راىSatyajit Ray ١٩٥٤ وهو الفيلم الاول من ثلاثية Trilogy،الفيلم او الجزء الثانى منها هو فيلم «الذى لا يقهر The unvanquished الذى فاز بالجائزة الكبرى فى مهرجان فينسيا للأفلام [١١١]

وقد استطاعت السينما الهندية أن تتخطى حدود المحلية ، ووجدت لها اسواقا رائجة فى العديد من دول العالم ، وعندنا هنا فى مصر وعلى مدي اجيال عديدة ، شاهدنا افلاما هندية لاتزال ذكراها عالقة فى الاذهان ، مثل افلام « كلهم أبنائى » « وسانجام » و«الأم المتوحشة» و«طفل الخطيئة» و«أمنا الهند» ، وهى فى مجملها أفلام ميلو دراما مأساوية عنيفة ، لاتخلو من قصة حب جارف وحرمان وعقبات وصراعات مريرة ومغامرات وقسوة وحزن ودموع ، انها توفر عالما هو مزيج من الحب والخيانة والغدر والفواجع والمآسي والمراهنات والخمر والعنف، تجعل

(١١٠) الهند – لايزال هناك ما يمكن انقاذه – دراسة بقلم بارامسن كريشنان فير – مجلة رسالة اليونسكو العدد ٢٧٩ – أغسطس ١٩٨٤ .

(111) The Hamly History of the Movies . مرجع سابق

المشاهدين معها ينسون واقعهم الاليم ومتاعب حياتهم اليومية ، حيث يعيشون فى آلام ومآسى غيرهم بصورة اقرب الي عمليات التطهير الارسطية حيث تثار عاطفتى الخوف والشفقة ، بالاضافة الى عالم الموسيقى والرقص والغناء والحركة الذى يزخر به الفيلم الهندى،وهو فى ذلك أقرب من ناحية الاهداف الى الفيلم الامريكى الذى يجعل المشاهد ينشغل بحياة الآخرين وينعم بالترفيه ، يعيش فى الحلم البعيد عن الواقع ، لكننا لا نستطيع ان ننكر فى الوقت وجود سينما جديدة اكثر التزاما ، تتناول قضايا ومشكلات الإنسان العادى ، ومشكلات الهند الحقيقية بعيدا عن أية مغالطات او توهيمات.

ونحن نجد هذا الاتجاه اوضح ما يكون فى فيلم « يوم مثل باقى الايام » للمخرج ميرناى سن Merinal Sin الذى عرض بذكاء واحدة من أهم مشكلات أبناء دول العالم الثالث ، وهى مشكلة الفقر ، الذى يجعل الانسان عاجزا عن التصرف ويتنازل عن كافة مثله ومبادئه وروابطه ، فالفيلم يقدم لنا أسرة من الطبقة دون المتوسطة تعيش على ما تكسبه الابنة من عملها ، ويحدث ان تخرج الابنة كعادتها لكنها تتاخر عن موعد عودتها ، مما يقلق افراد الاسرة قلقا شديدا، ويبكى الجميع من شدة قلقهم وخوفهم عليها ، ويشاركهم فى ذلك الجيران ، فقد اعتقد الجميع انه ربما يكون قد اصابها مكروه،ويبدأ الجميع يبحثون عنها فى كل مكان ، فى المستشفيات واقسام الشرطة،فالفتاة هى التى تعول الاسرة التى تعتمد عليها اعتمادا كاملا ، فاذا حدث وماتت انهارت الاسرة ، وتبلغ الاحداث ذروتها بشعور الجميع باليأس الكامل من عودتها سالمة ، لكن يحدث ما لم يكن متوقعا إذ تعود الفتاة «شينو» فى تمام الصحة والعافية فى سيارة أجرة ، وتدخل البيت وتلتقى بالجميع الذين يشعرون بالراحة ، وتنتهى المأساة تماما ، فما من شخص كان لديه اهتمام بمعرفة اين كانت «شينو» ، فها هى قد عادت وهذا هو المهم ، لقد عادت لكى تواصل القيام بالتزاماتها باعالة الاسرة ، والجميع علي استعداد للتنازل عن كل شىء طالما ان «شينو» لم يصبها أى اذى يؤثر على كيان ودخل الاسرة .

★ السينما الباكستانية ★

واذا انتقلنا الى السينما الباكستانية ، فاننا نجدها لا تخرج عن اطار السينما الهندية ، بل

ان السينما الباكستانية تجد فى السينما الهندية نموذجا يجب ان يحتذى ، وتمتاز سوق الفيلم الباكستانية مثلها مثل السوق الهندية باتساعها ، فهى تستطيع استيعاب عشرات وعشرات الافلام التى تنتجها الشركات السينمائية العديدة التى يبلغ حجم انتاجها السنوى نحو مائتى فيلم (٢٠٠) سنويا ، وتعتمد فى توجهاتها على تقديم مايعوض الجماهير عن بعض ما يعانونه من متاعب يومية ،ومشكلات تكاد تستعصى على الحل ، مثلما هو الحال فى الهند ، حيث يسيطر الفقر الذى يتسبب فى بروز العديد من المشكلات الاجتماعية والاخلاقية والعنف والحب والبغض فتسود الميلودراما (المآسى) مع مزيج من الموسيقى والرقص الفنائي والفولكلور .

والافلام الباكستانية مثلها مثل الافلام الهندية يتم انتاجها بلغات عديدة ، من بينها الاوردية والبانشو ، ولها سوق رائجة فى دول عديدة مثل تركيا وايران ودول الخليج العربى ونيبال والفلبين وغيرها ، كما يوجد فى باكستان حوالي (١٠٠٠) دار للسينما ، ومدينة « لاهور» La-hore لاهور فى قلب اقليم البنجاب هي عاصمة السينما الباكستانية .

السينما الاسرائيلية

★ سلاح في خدمة العنصرية الصهونية ★

يتميز الاسرائليون المنظرون والسياسيون والكتاب والمفكرون والمشتغلون بالفن والثقافة والتربية والاعلاميون ، يتميزون جميعا بفهم واضح مع امعان كامل بان السينما وسيلة كبرى من وسائل الاتصال بالجماهير ، من المهم الاعتماد عليها كأحد اسلحتهم الاعلامية الاتصالية لخدمة أهداف الدولة العنصرية ، ولهذا نلاحظ ان السينما الاسرائيلية تمثل عنصرا هاما من عناصر تاكيد الوجود الصهيونى فوق الأرض العربية، وشرعية هذا الوجود الدخيل الظالم الذى تسانده قوى غربية عديدة ترى فى الكيان الصهيونى سندا وحليفا وخادما لمصالحها التى تعتمد اساسا على سيادة الفرقة وعوامل التخلف فى عالمنا العربى ، وهى بحكم عدم قدرتها على التحول الى سينما عالمية تستطيع منافسة الشركات السينمائية العملاقة الامريكية والانجليزية والهندية والايطالية وغيرها ، فقد كان عليها أن تتحرك فى اتجاهين في وقت واحد ، الاتجاه الاول هو الاعتماد على التوزيع الداخلى ، وانتاج أفلام تخدم الفكر الصهيونى الذى تقوم عليه الدولة التى بلغت حد البشاعة فى كافة توجهاتها ، والدولة الاسرائيلية تعتمد بالضرورة على تحقيق اكبر قدر من

السيطرة شبه الكاملة على العقل الاسرائيلى فى الداخل ، بالتأكيد على شرعية وجودها وابراز طموحاتها التوسعية ، والتحدث عن أخطار تحيط بها ، وتجسيم تلك الأخطار ، متحدثين دوما عن وجود اسرائيل فى بحر زاخر بالاعداء الذين يحيطون بها من كل جانب ، جاعلين المواطن الاسرائيلى وكأنه يجلس دائما علي مقعد صنعه أحد الفقراء الهنود تبرز منه مسامير حادة تجعله فى حالة قلق وتحفز وعدوانية دائمة .وتزييف التاريخ لحساب العقيدة العنصرية الصهيونية ، والأمر يحتاج الى يقظة كاملة من كافة المثقفين والفنانين العرب ويحتاج الى وقفة يقظة جادة من كافة الدول العربية لمواجهة هذه الهجمة السينمائية الشرسة التى يمكن أن تتسلل الى عقول شبابنا من خلال السينما الاسرائيلية المتسللة أصلا الى السينما العالمية خاصة السينما الامريكية ، والمتنكرة فى شكل الانتاج المشترك مع العديد من دول العالم .

ان الكيان الصهيونى يهتم اهتماما بالغا بالسينما كوسيلة كبرى من وسائل الاتصال بالجماهير ، والدولة ذاتها تدعم السينما بلا حدود ، فهناك « الفيلم الاسرائيلى » ويتبع وزارة الصناعة الاسرائيلية ، بينما يتبع اتحاد الفنانين الأسرائليين ويضم ٩٨٠ عضوا فى كافة توجهاته الى التوجهات الثابتة للدولة ، مهما تغيرت الحكومات ، « وتملك اسرائيل خمسة استديوهات اهمها الاستديو المركزى فى تل ابيب ، وهذه الاستديوهات الخمسة تنتج سنويا ما لايقل عن ١٧٠ فيلما روائيا وتسجيليا [(١١٢)]

ولنا ان نقف وقفة قصيرة مع عدد الافلام الصهيونية الأسرائيلية وتوجهاتها الثابتة بدءا من ميلاد اسرائيل في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ .

١- البداية مجموعة افلام تسجيلية قصيرة : عن انشاء دولة اسرائيل وحق اسرائيل المزعوم فى ارض فلسطين .

٢-« التل ٢٤ لا يرد » ويحكى عن حرب العصابات الصهيونية واغتصابها للأرض فى غياب الوعى العربى .

٣- «غيوم فوق اسرائيل» ويتناول عدوان عام ١٩٥٦ الذى تواطأت فيه كل من انجلترا

---

(١١٢) شفيق عبد اللطيف - السينما الاسرائيلية - اقرأ - العدد ٢٥٦ - ١٩٨٧ - القاهرة لمزيد من المعلومات يرجع إلى هذا الكتاب وكتاب الصراع العربى الصهيونى فى السينما-سمير فريد - دار سعاد الصباح للنشر ١٩٩٢ - القاهرة .

وفرنسا وإسرائيل،والفيلم يبرز بطولات زائفة للمقاتل الإسرائيلى .

٤- «معركة سيناء» اخراج الايطالى لوتشينى .

٥- «هذه ارضى» ويتحدث عن الحق المزعوم فى ضم الاراضي المحتلة وهو من اخراج الانجليزى جيمس كولبر .

٦- «حائط القدس» اخراج دريك روسيت،ويتحدث عن حتمية بقاء القدس صهيونية .

٧- «هؤلاء والآخرون» للصهيونى الفرنسى «كلود ليلوش» ويتحدث عما يزعمه اليهود من قيام النازى باحراقهم فى أفران الغاز .

٨- «عملية الرعد» ويقصد بها مطار عنتيبى سنة ١٩٧٦،وقيام الكوماندوز الاسرائيليين بإطلاق سراح الرهائن فى الطائرة الفرنسية المخطوفة .والفيلم من انتاج و اخراج الصهيونى مناحيم جولان .

٩- «عربات النار» هو فيلم اسرائيلى بريطانى مشترك ويتحدث عن تفوق اليهود فى كافة المجالات ومنها المجال الرياضى .

١٠- «السفير» ونقف مع هذا الفيلم الذى انتج عام ١٩٨٣ لنستعرض اسماء النجوم العالميين الكبار الذين اشتركوا فى هذا الفيلم،وهم روبرت ميتشوم وروك هدسون وايلين بريسنين والفنان الايطالى الكبير فابيوتستى،والفيلم يتحدث عن سلام مزعوم من وجهة نظر ساذجة من اليهود والفلسطنيين ويركز علي الأسلوب الأمثل لما يسمى بالتعايش السلمى بين العرب وإسرائيل، وذلك عن طريق الحواروفهوم السلام عن طريق فتح باب الحوار واقناع العرب بحق اسرائيل المزعوم فيما تسيطر عليه من ارض ، لان الحقائق التاريخية تقر لهم حقوقا مزعومة قد وصلوا اليها ، كما يحمل الفيلم إشارة الى الدور الامريكى فى النهضة.(١١٣)

والفيلم فى النهاية يزعم ان العرب لايفهمون معنى السلام بل انهم يعتمدون على السلاح فقط لانهم بلا مبادىء (١١٤)

---

(١١٣) السينما الاسرائيلية - المرجع السابق

(١١٤) السينما الاسرائيلية - المرجع السابق

★ صورة العرب والمسلمين في السينما الامريكية ★

ولنا أن نتوقف قليلا أمام صورة العرب والمسلمين فى السينما الأمريكية ، بل وفى السينما الغربية بصفة عامة ، بل وفى بعض إنتاج السينما الآسيوية ، فهم يقدمون لنا صورة مشوهّة بصفة عامة ، وهم يقدمون العرب والمسلمين أيًا كانت جنسياتهم من الأفغان او الايرانيين أو الباكستانيين او الأتراك أو من أى قطر عربى فى صور بشعة مستفزة ، فالعربى يقدم كرمز للتخلف والبداوةوالخيانة وتجارة المخدرات والدعارة والجهل والجرى وراء الجنس والشذوذ والوحشية المطلقة والسادية والمأسوشية أحيانا أخري ، بينما المآذن تمثل المدن الاكثر تخلفا والتى تضم اكثر شعوب الدنيا تخلفا ، وهم يزيفون التاريخ ويوظفونه ليقدم الحكام العرب على مر العصور فى أبشع صورة ، حيث حياة الحريم والجوارى والراقصات ، وحياة المؤامرات والقتل وسفك الدماء،ويمكن ان نتوقف أمام فيلم امريكى من انتاج شركة بارامونت Paramount في مختلف انحاء العالم استقبل باحتفالية عجيبة فى مصر عام ١٩٤٢ ، امام تخلف الوعي بادراك ابعاد مثل هذه الافلام ، والفيلم هو طريق الى مراكش Roadto Morocco وبطولة مجموعة من اعظم نجوم هوليود منهم بنج كروسبى Bing Crosby وبوب هوب Bob Hope ودوروثى لامور Dorothy Lamour حيث يقدم الجميع صورة رديئة مزيفة للحياة العربية في قالب كوميدى ساخر .

ونتوقف لحظات امام احد الأفلام الأمريكية ايضا ، والذى عرض علي شاشة التليفزيون المصرى فى برنامج نادى السينما فى ٢٠ أبريل ١٩٩١ وهو فيلم « بعد ظهر يوم لعين » بطولة ماتشينو وجون كازيل ، ومن أخراج سيدني لوميت ، الفيلم يحكي قصة سطو مسلح على احد البنوك الامريكية يرتكبه شابان امريكيان ، وعندما يفكر الأثنان فى الهروب ، قاموا باحتجاز عدد من الرهائن وطالبوا المسئولين باعداد طائرة تقلهم خارج الولايات المتحدة ، مطالبين بان تقلهم الطائرة الى الجزائر ، ويتكرر اسم الجزائر فى شكل الحاح إعلامى علي مقولة ان الجزائر هى مأوى الأرهابيين ، وأنها تحميهم مهما كانت جرائمهم ، وكما يقول الناقد السينمائى سمير فريد فى تعليقه على الفيلم : ان الجزائر بعيدة تماما عن مسرح الأحداث ، وكانت اى دولة فى امريكا اللاتينية اقرب ،لكنهم اختاروا اسم الجزائر لتشويه سمعة العرب "

ويمكننا ان نضيف قيام السينما الأميركية بتبنى الفكر الصهيونى والدفاع عن إقامة

الدولة الإسرائيلية العنصرية فى قلب العالم العربى ، وابراز اسطورة أفران الغاز النازية المبالغ فيها بشكل لافت للنظر ، يكفى ان نذكر فيلم " الوصايا العشره " اخراج سيسيل دى ميل ، وقد تم تصوير اهم اجزائه فى مصر بالرغم من ان الفيلم يزعم ان مصر اصلا لليهود .

★ السينما الإسرائيلية أيضا ★

ولعل من المهم ان نذكر احد العقول المتزعمة للسينما الإسرائيلية ، والمتسللة إلى السينما العالمية والتى تتنكر فى احيان كثيرة فى اطار السينما الأمريكية ، وهو مناحم جولان، وقد عرض له فى مصر احد الأفلام الموجهة للشباب ، لاشباب مصر وحدها ، بل شباب العالم، في محاولة مقصودة للسيطرة على هؤلاء الشباب او تحييدهم إزاء مشاكل مجتمعاتهم واوطانهم والقضايا التى تهمهم بالضرورة ، هذا الفيلم هو فيلم لامبادا "Lampada" ويعتمد على تقديم رقصة تحمل هذا الاسم، لكننا نتوقف امام فيلمه « حقيبة القاهرة »[١٩٦٥] وهو فيلم من أفلام الجاسوسية يتناول الصراع على امتلاك القوة الذرية بين العرب واسرائيل، والفيلم يروج الفكرة ان المصريين متخلفون مثلهم مثل العرب سواء من ناحية القدرة على اقتحام مجال الذرة أو من ناحية القدرة على مواجهة مخابرات اسرائيل ، وان على علماء الغرب [الألمان مثلا] ان يدركوا انهم بتعاملهم مع العرب ، يتعاملون مع الجانب الخاسر المتخلف غير المتحضر ، ضد اسرائيل المنتصرة المتقدمة المتحضرة (١١٥).

ان السينما الاسرائيلية تحمل مؤشرات خطيرة ، نظرا لتغلغلها فى سوق السينما الأمريكية والعالمية ، وفى داخل إسرائيل ذاتها ٢٨ شركة للأنتاج السينمائى وخمسة عشر مؤسسة سينمائية شعبية ، كما تتلقى السينما الاسرائيلية دعما حكوميا كبيرا ، وتحظى برعاية ملحوظة ، مع بروز عدد المؤسسات السياسية الحكومية مثل مركز الفيلم الاسرائيلى ومعهد الفيلم الاسرائيلى مع تخصيص العديد من الجوائز الحكومية السنوية للأفلام الاسرائيلية ، والهدف هو استغلال الفن السينمائى الرائع لخدمة اهداف الصهيونية وتأكيد وجود الذراع الاسرائيلية الطويلة ، وتشويه صورة العرب .

---

(١١٥) سمير فريد – الصراع العربى الصهيونى فى السينما – دار سعاد الصباح القاهرة ١٩٩٢ .

السينما المصرية

رحلة نجاح جديرة بالتسجيل

★ البدايات ★

ان مصر هى الرائدة فى مجال الفن السينمائى على مستوى العالم العربى كله ، بل وبالنسبة للعديد من دول العالم ، فاذا كان اول عرض سينمائى فى العالم فى ٢٨ ديسمبر ١٨٩٥ فى الصالون الهندى فى المقهى الكبير فى باريس ، فان اول عرض سينمائى فى مصر كان بعد ذلك بفترة قصيرة فى اوائل يناير ١٨٩٦ بمدينة الاسكندرية ثم فى القاهرة ، العاصمة يوم ٢٨ يناير عام ١٨٩٦ فى صالة عرض « سانتى » بالقرب من حديقة الازبكية فى وسط القاهرة،ولم تكن الافلام المعروضة افلاما مصرية ، اما اول أفلام مصرية حقيقية ،فكانت افلاما اخبارية تسجيلية قصيرة ، وبالنسبة للأفلام الروائية المصرية ، فقد بدأ انتاجها وعرضها فى سنة ١٩١٧ وكانت من انتاج شركة سينمائية مصرية ايطالية ، وتتابعت الافلام المصرية بعد ذلك ، لكنها لم تكن لترقي الى الحد الادنى للمستوى الفنى المطلوب ، نظرا للخبرة المحدودة التى كان يتمتع بها العدد القليل من المصريين والاجانب الذين حاولوا دخول الميدان البكر ، ولنا ان نذكر رائدا كبير من رواد السينما المصرية هو محمد بيومى ، الذى يعتبر الرائد الاول بحق لصناعة السينما فى مصر ، فقد اصدر اول جريدة اخبارية سينمائية مصرية باسم جريدة آمون عام ١٩٢٣ صدر فى أحد أعدادها عودة الزعيم سعد زغلول من المنفى ، كما صور وأخرج فيلما روائيا قصيرا عام ١٩٢٤ وهو فيلم الباشكاتب ، وتتابعت اعماله ، وكان استديو محمد بيومي هو النواة التى قامت عليها شركة مصر للتمثيل والسينما التى انشأها طلعت حرب رائد الاقتصاد المصرى الكبير ، ومؤسس بنك مصر وشركاته ، وأول استديو سينمائى ، وقد عين محمد بيومى مصورا فى هذه الشركة ، وأثناء عمله فى شركة مصر للتمثيل والسينما،صور وانتج بعض الافلام الخاصة بالدعاية لشركات بنك مصر ، وسجل رحلات طلعت حرب فى بعض البلاد العربية سينمائيا ، الى جانب اصدار جريدة سينمائية فى المناسبات المختلفة وبصفة غير منتظمة باسم جريدة مصر [١١٦] ثم كان ميلاد الصرح الفنى

---

(١١٦) منير محمد ابراهيم - دراسات فى السينما المصرية - رواد وافلام - المكتبة الثقافية - الهيئة العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٥ .

السينمائى الكبير الذى انطلقت منه بعض أعظم ما انتجته السينما المصرية واعني به استديو مصر .

★ خطوات على الطريق ★

واذا كان اول فيلم عربى عرض فى مصر هو فيلم قبلة فى الصحراء وهو فيلم صامت من انتاج وتصوير واخراج الاخوين ابراهيم وبدر لاما ، وبطولة بدر لاما ، وقد عرض الفيلم فى مدينة الاسكندرية فى اول مايو ١٩٢٧، فان اول فيلم مصرى طويل تم انتاجه وعرضه فى نفس الفترة فهو فيلم «ليلى » بطولة عزيزة امير التي اطلقوا عليها لقب مؤسسة السينما فى مصر ، وقد عرض هذا الفيلم لاول مرة فى ١٦ نوفمبر ١٩٢٧ فى القاهرة وقوبل باحتفالية كبيرة فقد كان فيلما مصريا من الالف الى الياء ، اما فيلم الاخوين لاما «قبله فى الصحراء» فلم يعرض فى القاهرة الا فى ٢٥ يناير ١٩٢٨بسنما مترو [١١٧] ثم جاء فيلم « زينب » بعد ذلك ليصبح علامة بارزة في تاريخ السينما المصرية ، فهو مأخوذ عن قصة الاديب والسياسى الدكتور محمد حسين هيكل وبطولة بهيجة حافظ وزكى رستم وسراج منير ودولت ابيض وعلوية جميل ومن اخراج محمد كريم وقد عرض الفيلم فى ١٢ ابريل عام ١٩٣٠ .

واذا كان فيلم مغنى الجاز وهو اول فيلم ناطق فى العالم وقد عرض فى ٦ اكتوبر ١٩٢٧ ، فان دخول الفيلم المصرى عالم السينما الناطقة لم يتأخر كثيرا فقد عرض اول فيلم مصرى ناطق هو فيلم « اولاد الذوات » فى ١٤ مارس عام ١٩٣٢ ، وكان من اخراج محمد كريم ايضا ، ومن بطولة يوسف وهبى وامينة رزق وسراج منير ودولت ابيض وحسن البارودى ، وقامت الفرنسية كوليت دارفاى بدور چوليا الفتاة الاجنبية التى احبها بطل الفيلم ، والحقيقة ان هذا الفيلم كان نصفه ناطقا ونصفه صامتا من أجل خفض التكاليف ، ثم جاء ثانى الأفلام الناطقة وهوفيلم « انشودة الفؤاد » وهو اول فيلم غنائى مصرى وعرض فى ١٤ ابريل عام ١٩٣٢ وهو من بطولة المطربة نادرة ، مع جورج ابيض وعبد الرحمن رشدى وزكريا أحمد ، ثم فيلم «الوردة البيضاء» بطولة محمد عبد الوهاب وسميرة خلوصى قصة وسيناريو واخراج محمد كريم عام ١٩٣٣ .

وقد اقتحمت السينما المصرية كافة الاشكال والقوالب الفنية السينمائية ، فالى جانب تقديم الفيلم الروائى الماخوذ عن رواية ادبية ،قدمت السينما المصرية الفيلم الغنائى وفيلم

---

(١١٧) سعد الدين توفيق -قصة السينما فى مصر -كتاب الهلال القاهرة - اغطس ١٩٦٩.

الخيال العلمىScience Fiction مثل فيلم «عيون ساحرة» اخراج احمد جلال عام ١٩٣٣، والفيلم التاريخى مثل فيلم «شجرة الدر» من اخراج احمد جلال ايضاً ، والفيلم الاجتماعى مثل فيلم «الكوكابيين» اخراج توجو مزراحي فى عام ١٩٣٠، وفيلم السوق السوداء اخراج كامل التلمسانى عام ١٩٤٦ ، والافلام النفسية مثل فيلم «أولاد مصر» من اخراج توجو مزراحى ايضا عام ١٩٣٣ ، والافلام الفكاهية التى حظيت بنجاح كبير وكان ابطالها الاوائل فوزى واحسان الجزايرلى وعلي الكسار ، والفيلم الاستعراضى مثل أفلام انور وجدى : ليلى بنت الفقراء وعنبر وغزل البنات ، والفيلم الواقعى مثل فيلم العزيمة عام ١٩٣٩، وهكذا ظهر ايضا الفيلم الوطنى والفيلم الدينى والفيلم السياسى والفيلم المقتبس عن روايات عالمية .

كانت هذه صورة شاملة للبدايات التى وضع بنيتها الاولى رواد من الشباب المصرى الذى آمن بعظمة الفن السينمائى وقدرته على تشكيل واعادة صياغة العقل المصرى والعربى، وكان ان حققت السينما المصرية نجاحا كبيرا فى مصر وفى كافة أنحاء الوطن العربى ، وهكذا انتشرت اللهجة المصرية المحببة فى البلاد العربية ، واقتحمت السينما المصرية المهرجانات العالمية بدءامن فيلم «وداد» لام كلثوم عام ١٩٣٦ وتوالت النجاحات وإن كانت هناك الكثير من السلبيات التى ظهرت من خلال افلام هابطة انتجت عقب الحرب العالمية الثانية ، اطلقوا عليها افلام مابعد الحرب او افلام اغنياء الحرب الذين تحولوا الي الانتاج السينمائى ، ومع ذلك فقد ظهرت اسماء لامعة من المخرجين والممثلين والفنيين وكتاب السيناريو والنقاد ، خاصة هؤلاء الذين عرفوا بابناء استديو مصر مثل صلاح ابو سيف وكامل التلمسانى واحمد كامل مرسى كما ظهر مخرجون متميزون مثل كمال الشيخ وعاطف سالم ويوسف شاهين وتوفق صالح وحسين كمال وحسن الامام وعلى عبد الخالق ومحمد خان وأشرف فهمى وعاطف الطيب وغيرهم ، استطاعوا تقديم بعض أهم العلامات البارزة فى تاريخ السينما العربية وقاموا بتوظيف الفن السينمائى لخدمة الانسان المصرى والعربى ومناقشة قضاياه المصيرية ، ونقد اوضاعه السياسية والاجتماعية المتدنية والدعوة المستمرة الى التعبير نحو كل ما هو أفضل ، وقد ساهم معهد السينما الذى انشىء عام ١٩٥٩ فى تقديم العديد من المخرجين والفنيين فالسينما فن جماعى يشترك فى ابرازه مبدع النص والممثل والضوء والصورة والخدع والمؤثرات الصوتية والمخرج والتوزيع ودور العرض ومهارات عديدة تساهم فى نقل المتفرج من عالمه الخاص الى

عـالم آخر من صنع الفيلم السينمائى ، وهكذا انجبت مصر علي مدى سنين عـديدة ، هؤلاء الذين استطاعـوا المساهمـة فى ايجاد سينمـا جديدة متطورة فكرا وفنا والتزاما ورؤية شاملة للماضى والحاضر والمستقبل .

★ الدور الاتصالى للسينما فى مصر ★

ان مـحو ر هذه الدراسة ليس التاريخ للسينمـا المصرية ، ولهذا فنحن نتجاوز حاجز التاريخ ونتناول بصفة اساسية الجوانب الاتصالية والدور الاتصالى للسينما فى مصر ، فنتوقف امام عدد من الافلام التى يتضح فيها هذا الدور الاتصالى ، الذى يشمل توصيل قدركبير من المعلومات ومعرفة العالم من حولنا وداخل ذاتنا ، وتقدم الواقع من خلال رؤية تدعو دائما الى التغيير والى التفكير بصوت عال مسموع ، مثلما نصرخ عندما نكتشف الحقيقة ، ونبدأ نحن أنفسنا بإعادة ترتيب الواقع وفقا لقناعتنا التى نصل اليها من خلال هذه الوسيلة الاتصالية المؤثرة ، والتى تقتحم مؤسسات تكتنفها الحصانة ، وهى مؤسسة الذات ومؤسسة الأسرة ومؤسسة السلطة ومؤسسة الدين ، فنحن نعيش عالما حقائقه هى ما تقدمه وسائل الاتصال الجماهيرى ، ونحن لا نتجاوز الحقيقة عندما نقول ان هذه الحقائق هى ما يذيعه الراديو ويبثه التليفزيون وتنشره الصحيفة وتعرضه السينما ويقدمه المسرح ، وما يصلنا عن طريق وسائل الاتصال التكنولوجية والالكترونية الأحدث مثل الكمبيوتر والمصغرات الفيلمية والاقراص الضوئية ، والاقراص الليزرية وشبكات نقل المعلومات والبيانات فائقة السرعة Information Highways والأقمار الصناعية ، ومختلف البرمجيات المعلوماتية . Software

واذا كنا نقول اننا نتجاوز حاجز التاريخ ، فليس معني ذلك اننا نتجاهله ، لاننا نعود معه ونحن نتناول الجوانب الاتصالية للسينما ، لتقديم صورة بانورامية للمسيرة الاتصالية للسينما المصرية ، ونعود لنؤكد هذا الدور الاتصالي من خلال الأفلام التسجيلية الأولي التي قدمها الرائد محمد بيومى وجريدة مصر الناطقة التى سجلت أول ما سجلت عودة الزعيم المصرى سعد زغلول من المنفى ، وصولا الى حلقات الفيلم التسجيلى «باقى من الزمن» التى أرخّت بشكل شبه يومى ، لملحمة بناء المصريين للسد العالي خطوة خطوة ، إلى جنازة الراحل جمال عبد الناصر ، وخروج الملايين لتشييعه ، فهى سينما تقول الكثير وتقدم من المعلومات والفكر والرؤية الشىء الكثير ، بأسلوب وصياغة فنية تختزل ما كان يمكن ان يطبع فى

صفحات عديدة ، مثل فيلم «الارض» اخراج يوسف شاهين ، الذى اظهر بشاعة الاقطاع وجبروته والصراع المرير بين الفلاحين وبين ملاك الارض الذين كانوا يعملون على السطو على كل شيء المال والارض والانسان والعرض والشرف ، وهناك فيلم «البوسطجى» وفيلم «المستحيل» لحسين كمال وفيلم «رد قلبى» لعز الدين ذو الفقار و«مصطفى كامل» لاحمد بدرخان و «اغنية على الممر» اخراج على عبد الخالق يدعو فيه الى الصمود والمقاومة بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧، وفيلم «ظلال علي الجانب الاخر» من اخراج غالب شعث (فلسطينى) ويتناول الواقع المصرى قبل عام ١٩٦٧، و«العمر لحظة» اخراج محمد راضي ويتناول فيه حرب ١٩٧٣ والعبور ، وفيلم «الصعود الي الهاوية» اخراج كمال الشيخ عن حرب الجاسوسية بين مصر واسرائيل ، انها مجموعة من بين عشرات الأفلام الرائدة التى كان لها اثرها في اعادة تشكيل وجدان الانسان المصرى والعربى .

★ من سلبيات السينما المصرية ★

ومع ذلك فمن الضرورى ومن أجل استكمال الصورة أن نقف امام بعض الصور السلبية للسينما المصرية ، التي كان ولايزال لها تاثير معاكس تماما لما قدمه ويقدمه السينمائيون الملتزمون في افلام تعتبر علامة بارزة فى تاريخ السينما والفن المصرى والعربى ، وقد قاد الاتجاه السلبي سينمائيون يفتقرون الي الوعى بخطورة الدور الاتصالي الذي يمكن أن تلعبه السينما ، أو هم يدركون هذا الدور وتعمدوا تبني هذا الاتجاه السلبى ، أو هم سينمائيون نتاج عصرهم ، وافراز مناخ سياسى معين عايشوه حتى النخاع ، وهكذا شاهدنا فى فترة ما قبل ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ افلاما تكرس الوضع الطبقي القائم ، وتؤكد ان الفقير أسعد حالا بفقره ، وان المال لا يجلب له سوى الشقاء ، وهذا ما يقوله فيلم «لو كنت غنى» بطولة بشارة واكيم « الحلاق » الفقير الذي حصل على ثروة طائلة بعد موت أحد اقاربه وهو شحاذ ، وعندما يصبح غنيا يسقط في بحر الانحراف هو وأسرته ، ولا تعود له السعادة إلا بعد زوال الثروة وعودتهم الي الفقر، وكما يقول الفيلم الفقر هو دواء الفقراء .

ونفس الفكرة نجدها في فيلم «المليونير» لاسماعيل ياسين «فجميز» الفقير أسعد حالا من المليونير ، وعندما تجمعت الاموال فى يد جميز، انقلب حاله الى الاسوأ ، فالفقر ايضا افضل، وهكذا ظهرت أيضا افلام تدافع دائما عن الباشا الطيب ، وحيث أن الناس العاديين لم

يكونوا علي علم بحياة القصور ، وكان واقع الانسان المصرى واقعا أليما ، حرصت السينما فى هذه الفترة على ابراز تقديم الحياة داخل قصور " الباشا " وكبار الاثرياء وتجاهلت الشارع المصرى والحارة المصرية والقرية المصرية بواقعها المعروف ، ومع ذلك فنحن نقف بالضرورة مع فيلم العزيمة اخراج كمال سليم ، فهذا الفيلم تناول الحارة المصرية ، وقدم نموذجا للشاب المصري الذي يرفض الوظيفة ويتجه الى الأعمال الحرة ، وهذا الفيلم فى رأ ى النقاد من ابرز الاعمال السينمائية على مستوى العالم ، واعتبره الناقد الفرنسى جورج سادول الذى زار مصر عام ١٩٦٥ وشاهد الفيلم أحد الاعمال الرائدة ، وقال عنه نه يستحق أن يقارن بانجح الافلام الفرنسية الكثيرة قبل الحرب العالمية الثانية ،كما اختار الناقد الفرنسى المخرج المصرى كمال سليم كواحد من أحسن مخرجى السينما فى العالم ووضع الفيلم فى كتابه «قاموس الافلام» كواحد من احسن الافلام العالمية (١١٨) ولعل من ابرز سلبيات هذا الفيلم هى ابراز دور الباشا الطيب ايضا ، فقد جاء الحل على يد الباشا والد صديق "محمد" الشاب الذى أراد الاتجاه الى العمل الحر ، فهو الذى أعطى الاثنين ما يحتاجانه من مال لكى يبداوا مشروعهم الخاص .

ولعل من الغريب ان نذكر ان نفس الاتجاه نحو ابراز دور الباشا الطيب ، ووجود الحل دائما عنده ، نجده فى فيلم "أفواه وأرانب" ، والباشا الطيب هنا هو الشاب الثرى صاحب الاراضى الواسعة الذى أحب الشغالة (نعمت) وانقذها فى النهاية هى وشقيقتها وابناء شقيقتها من حياتهم البائسة فى القرية التى اظهرها الفيلم كقرية ظالمة ، اهلها من أسوأ انواع البشر ، فالجميع قساة غلاظ القلوب يلجأون إلى العنف ، ويرتكبون أبشع المعاصى ، فهناك زوج الاخت السكير والمزور، حتى ناظر عزبة [البك] الشاب الثرى ، تظهر قسوته على فلاحة اجيرة مريضة يطردها ولا ينقدها اجرها ، واذا بحل جميع هذه المشاكل يتم على يد هذا الثرى الطيب او الباشا الجديد المعاصر .

ولعل من أهم سلبيات السينما المصرية ايضا تلك الأفلام التى تفتقر الى الوعى السياسى والوطنى والقومى ومنهافيلم «لعبة الست» بطولة نجيب الريحانى وتحية كاريوكا ، فالفيلم تم انتاجه ونحن فى ذروة الصراع مع الصهيونية فى فترة ميلاد الدولة الاسرائيلية العنصرية ، والفيلم يحكى عن [حسن] الذى تقدم للعمل عند [خواجة] صاحب شركة لبيع

(١١٨) جان الكسان - السينما فى الوطن العربى عالم المعرفة - مارس ١٩٨٢ - الكويت .

باجور الجاز او موقد الكيروسين ومستلزماته وبعض الأدوات الكهربائية ، ويقدم الفيلم الخواجة وكأنه الباشا الطيب ، فهو شخص مثالى مثلما يتم تقديم الباشا المثالى ، ويتضح ان هذا الخواجة (يهودى) وان لم يذكر ذلك صراحة ، وقد قبل الخواجة تعيين حسن «نجيب الريحانى» لانه تقدم للوظيفة بدون واسطة ، فالخواجة يكره الوساطة ، ويكره المحسوبية ، وعندما يتقدم المارشال روميل الى العلمين عام ١٩٤٢ فى طريقه الى الاسكندرية والقاهرة ، أسرع اثرياء اليهود بالفرار من مصر الى السودان وجنوب افريقيا، خوفا على حياتهم من الالمان ، ولهذا قام الخواجة اليهودى ببيع الشركة الى « حسن » على ان يضع حسن فى حساب الخواجة فى البنك جزءا من ثمن المحل كل شهر الى أن يستوفى الثمن ويصبح المحل ملكا لحسن ، وفعلا يهرب الخواجة اليهودى الطيب فرارا من اضطهاد هتلر لليهود ، وهكذا يقوم الفيلم بخدمة اهداف الصهيونية السياسية فى اكثر الظروف حساسية ، بالتأكيد على هذا الاضطهاد الذى اتخذوه ذريعة لاقامة الدولة الصهيونية ، والغريب أن افلاما مثل لعبة الست وافلام نجيب اليحانى الاخرى التى تبرز شخصية الانتهازى الوصولى وافلاما مثل فيلم «المليونير» و«لو كنت غنى»، ما زالت تعرض من خلال التليفزيون المصرى والتلفزيونات العربية باعتبار ان بعض ابطال مثل هذه الافلام تعتبر اصناما تعبد ولا يجرؤ أحد على نقدها ، وهكذا تقبل عليها الجماهير التى تم تزييف وعيها .

★ كل بيئة جديدة ومجتمع جديد يعبر عنها إعلام جديد ★

ان كل بيئة جديدة ومجتمع جديد يعبر عنه اعلام جديد وفن جديد ، ان هذه المقولة تنطبق وكما سبق أن ذكرنا على حال السينما المصرية قبل ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ، التى قدمت الباشا الطيب ، ثم الخواجة الصهيوني الطيب ، اما بعد الثورة فقد وجدنا سينما مختلفة تماما تعبر عن البيئة الجديدة والمجتمع الجديد ، سينما سياسية ونضالية ونقدية واجتماعية وواقعية ، لها رؤية واعية تكشف الماضى بكل بشاعته ، وتلقي الضوء على المستقبل ، وهكذا جاءت السينما لتعبر عن واقع هزيمة ١٩٦٧ ، وتدعو للصمود والتحرير ، وتمهد لحرب ١٩٧٣ ، ثم جاءت حرب ١٩٧٣ وما بعدها ، واذا بها تعبر عن البيئة الجديدة والمجتمع الجديد، عندما جاء عصر الانفتاح ، وقد برزت فيه افلام تجارية هابطة أشبه بافلام ما بعد الحرب العالمية الثانية ، وتلك التى تدافع بما يشبه الالحاح الاعلامي عن الراقصات والمطربين

والمطربات دون ابراز ما هو انحراف ، والتأكيد على تقديم هؤلاء كنماذج قدوة ، واذا بنا أيضا نواجه بطوفان من افلام المخدرات والجنس ، التى تشوه الواقع المصرى ، ومع ذلك فقد بدأت السينما تتجه اتجاها ايجابيا بالتصدى للانتهازيين ،تجار العملة والمزيفين واللصوص والتجا المنحفين والمتاجين بقوت الشعب وتجار الاغذية الفاسدة والإرهاب ، وهكذا جاءت السينما لتعبر عن البيئة الجديدة . والمجتمع الجديد .

★ دعوة الى التفكير الحر ★

ان السينما وسيلة اتصال جماهيرية ذات طبيعة خاصة بالغة التاثير، تستطيع ان نقول الكثير ، وبالرغم من ان السينما اساسا فن ترفيهى ، إلا أن الدور الاتصالى اصبح هو الدور الطاغى ، وهو دور من المفترض انه لا يخلو من المتعة ، وهى أحد أهم جوانب الترفيه ، والسينما تقدم لنا من خلال سيطرتها الكاملة على حواسنا وقدرتها على التعبير عن المشاعر والأفكار وتجسيدها فى شخصيات تعيش وتتحرك امامنا ، تقدم لنا اكثر السلع سحرا وروعة ، وهى الأحلام ، أحلام البشر فى التصدى للظلم وقهره ، وفى حياة افضل ، انها دعوة الى التغيير دعوة الى التفكير الحر من خلال الحلم .

الفصل الثامن

الراديو

الفصل الثامن

الراديو

★ الراديو صوت أسقط الحواجز بين البشر ★

الراديو صوت يصلنا دون حواجز أو واسطة مادية ، والصوت يعنى التنبيه ، والتنبيه يعنى أنه هادف ، وهو وسيلة من وسائل الاتصال الجماهيرى توصف انها وسيلة اتصال ساخنة بمعنى انه وسيلة تتحقق فيها فورية التدفق الاعلامى ، وهى وسيلة انفعالية ذهنية ديمقراطية لتبادل الأخبار والآراء والافكار والمعلومات عن طريق المشاركة ، فهو يتلقى مثلما يبث ، وينطبق عليه اليوم تلك المقولة المعبرة التى تقول للمستمع نحن الاذاعة التى تستمع اليك ، لا مجرد الاذاعة التى تستمع اليها ، فلم يعد دور المتلقى او المستمع إلى الراديو اليوم مجرد الانصات فقط ، فالمشاركة اليوم اوضح ما تكون ، وهذا هو مفهوم الاتصال ، وان بقى الاعلام جزءا من منظومته ، فالاعلام احد اهم وظائف الاتصال ، لكنه ليس كل الوظائف ، وهكذا نجد ان الراديو لا يهدف الى مجرد التأثير ، بل هو عملية واسعة قائمة على المشاركة ، وقد أصبحت كلمة سمعت مرادفة لكلمة عرفت أو علمت ، وفى نفس الوقت احتفظ الراديو بخصوصيته كجهاز يسلي ويمتع ويربطنا بالاخرين ويربط الآخرين بنا، انه الرفيق والصديق الذى يلازمنا اينما ذهبنا، فالمستمع لم يعد سلبيا مثلما كان الحال عندما كان الاتصال ذا اتجاه واحد، بل لقد اصبح للمستمع فى الكثير من بلاد العالم الحق فى المشاركة فى اختيار البرامج واعدادها بل وادارة وسائل الاتصال ، بما يحقق التقارب بين الناس ، والتفاهم الحر بين الشعوب ، وعلى طريق هذا التفاهم كان إتصال الشباب فى أنحاء أوربا بعضهم ببعض من خلال محطات لاسلكية ، إذ ان اللاسلكى هو الأب الحقيقى للراديو ، تم إنشاؤها فى بلادهم لكى يعبر عن طريقها الحدود حيث يتعارفون على الهواء ويتبادلون الافكار والآراء والمعلومات، وكان ذلك فى اعقاب الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨) فعن طريق هذا التفاهم والتعارف والتقارب ،كانوا يأملون فى منع قيام حرب عالمية جديدة يكون وقودها الشباب انفسهم ، وهكذا كانت تلك المحطات الفردية اولى الاذاعات التى وجدت من أجل إيجاد التفاهم بين الشعوب ، وسرعان ما وجدت الإذاعة نفسها كمؤسسات أعلامية اتصالية ، تؤدى دورها كوسيلة اتصال بالجماهير ، وفى اوقات متقاربة ، بالرغم من بعد المسافات بين الدولة

والاخرى ، ففى ٢ نوفمبر عام ١٩٢٠ بدأت أول اذاعة امريكية بثها الرسمى وهى محطات KDKA لكننا نعود مع بدايات محطة الاذاعة المسموعة (الراديو) فى الولايات المتحدة الامريكية إلى فكرة استغلال اللاسلكى فى انشاء محطات للبث الاذاعى ، وإنشاء محطات اذاعية بطريقة جديدة ، وفى ظروف مغايرة لتلك التى فعت جماعات الشباب فى أوربا الى انشاء اذاعات ، كمحاولة لمنع نشوب حرب عالمية جديدة ، مثلما ظهرت محاولات نشر لغة الاسبرانتو لكى توجد السنة شعوب العالم ويقترب من الناس من بعضهم أكثر وأكثر ، فتقل النزاعات ، وتنتهى الحروب ، وفى الولايات المتحدة جاء شاب صغير كان يجلس إلى جوار جهاز لاسلكى عندما وصلته اخبار اصطدام السفينة العملاقة تيتانيك بجبل ثلج عائم عام ١٩١٢، وكان يعمل ساعيا فى مكتب بشركة ماركونى للتلغراف اللاسلكى فى الولايات المتحدة الامريكية ، هذا الشاب الصغير (ديفيد سارنوف) ارسل خطابا الى رؤسائه في الشركة يقترح استخدام اللاسلكى منزليا عن طريق تصميم راديو على هيئة صندوق له ازرار او مفاتيح ، يلتقط موجات مختلفة الطول ، واذاعة الموسيقى والمحاضرات وصور صوتية لمباريات البيسبول الشعبية على الهواء ، ونصائح للمزارعين وأخبار الاحداث الهامة وتصريحات القيادات والشخصيات العامة ، وسرعان ما تكونت شركات عديدة تسابقت فى انشاء محطات اذاعية متنوعة ، بالاضافة الى قيام الجمعيات والمؤسسات التعليمية والدينية والسياسية وغيرها بانشاء محطات اذاعية أخرى ، وبذلك انتشرت محطات الراديو إنتشارا واسعا فى مختلف أنحاء الولايات المتحدة الامريكية ، وفى اوربا ، ويمكن أن نعود بالتاريخ الي عام ١٩١٥ أثناء الحرب العالمية الاولى ، حيث بدأ الالمان يرسلون اذاعة لاسلكية منتظمة الى الهواه والموالين لهم فى الدول المحايدة بصفة خاصة ، وكانت تشمل اخباراً وقصصا اخبارية وتعليقات [١١٩] وفى نفس الوقت نحن لا نستطيع تجاهل الإذاعية السلكية والنقل السلكى ، ويرجع الفضل فى ذلك الى المخترع المجرى تيفادور بوشكاش Tivador Puskas الذى نجح فى نقل الصوت الى عدد كبير من المستمعين ، وبدأ اول بث سلكى للجمهور فى ١٥ فبراير عام ١٨٩٣ في المجر ، وقد كتبت الصحف المجرية فى ذلك الوقت تقول : «لقد ولدت الآن صحيفة الكلمة المسموعة» وكان المستمعون يطلبون تليفونيا تغيير البرامج .[١٢٠]

---

(١١٩) احمد طاهر - الاذاعة والسياسة الدولية - الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٠

(١٢٠) ابراهيم وهبة - الخبر الاذاعى - دار الفكر العربي - الطبعة الاولى - القاهرة ١٩٨٠

اما المملكة المتحدة فقد بدات اولي اذاعاتها المسموعة عام ١٩٢٠ بينما تم انشاء شركة الاذاعة البريطانية عام ١٩٢٢، اما فرنسا فقد بدأت بث برامجها الاذاعية عام ١٩٢١، ثم الاتحاد السوفيتي السابق عام ١٩٢٢، وقد استخدمه الشيوعيون بمهارة فى بث وتأكيد الدعاية البلشفية ، ثم بدأت المانيا البث الاذاعى المسموح في عام ١٩٢٣ ، وكذلك استراليا في نفس العام ، وانطلقت دول العالم الاخري تدخل هذا المضمار .

ولم تكن مصر والعديد من دول العالم العربي بعيدة عن اللحاق بدخول ميدان الاذاعة المسموعة ، فقد عرفت مصر الراديو عام ١٩٢٣ علي أيدى الهواه أولا ، ثم علي ايدى شركات خاصة من عام ١٩٢٦ ، الى ان اوقفت الحكومة محطات الراديو الخاصة فى٢٩ مايو عام ١٩٣٤ ، وكانت هناك ١٢ محطة اذاعة خاصة لاتزيد قوه ارسال اكبرها عن ٣/٤ كيلو وات لتبدأ المحطة الحكومية ارسالها في ٣١ مايو من نفس العام عن طريق شركة ماركونى البريطانية ، التى انشأت محطة قوتها ٢كيلو وات فى أبى زعبل وأخرى بالاسكندرية قوتها ١ كيلو وات ، وقد أخرت انجلترا الدولة المستعمرة فى ذلك الوقت إنشاء اذاعة مصرية رسمية عشر سنوات كاملة من عام ١٩٢٤ فقد صرح « آثر ميلانى» . وهو أول مدير عام لشركة ماركونى - الاذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية- أنه اتصل منذ عام ١٩٢٤ برؤساء الوزارات المصرية كي يتعاقد باسم شركة ماركونى العالمية مع مصر لادخال الخدمة الاذاعية علي اساس قومى مماثل لنظام الاذاعة البريطانية لكنه لم يجد آذانا صاغية [١٢١] وفى ٤ مارس ١٩٤٧ ، ألغت الحكومة المصرية عقد شركة ماركونى وزالت بذلك السيادة الأجنبية على الاذاعة المصرية .

★ السينما فى البلاد العربية ★

وعرفت البلاد العربية الأخرى الراديو ، فقد دخلتها الخدمة الاذاعية فى تواريخ متفرقة :- الجزائر عام ١٩٢٥ - المغرب عام ١٩٢٨ - تونس عام ١٩٣٥ - العراق عام ١٩٣٦ لبنان عام ١٩٣٨ الجماهيرية الليبية عام ١٩٣٩ - السودان عام ١٩٤٠ - سورية عام ١٩٤١ - البحرين عام ١٩٤٢ الصومال عام ١٩٤٣ - اليمن (صنعاء) عام ١٩٤٧ (عدن) ١٩٥٤ -

---

(١٢١) محمد فتحى - الاذاعة المصرية فى نصف قرن - ١٩٣٤ - ١٩٨٤ - اتحاد الاذاعةوالتليفزيون - القاهرة ١٩٨٤

الاردن عام ١٩٤٨ من (رام الله) فى فلسطين ثم عام ١٩٥٦ من عمان العاصمة - السعودية ١٩٤٩ - الكويت عام (١٩٥٦) - موريتانيا عام ١٩٥٦ - الأمارات العربية المتحدة إذاعة دبى من الشارقة ١٩٦٦- إذاعة ابو ظبى عام ١٩٦٩ - إذاعة رأس الخيمة عام ١٩٧٢ - اذاعة ام القوين ١٩٧٨) - قطر عام ١٩٦٨ - سلطنة عمان ١٩٧٠ .

★ رحلة مصر مع الراديو ★

ورحلة الراديو فى مصر مثلها فى ذلك مثل الكثير من بلاد العالم ، رحلة جديرة بالتسجيل ، ولنا ان نتجاوز البدايات التى سبق ان أشرنا اليها ، فان ما يعنينا اليوم هو تقديم صورة كاملة للأذاعة والتليفزيون ونحن على مشاف القرن الواحد والعشرين ، حيث يتبنى اتحاد الأذاعة والتلفزيون أحدث التوجهات العالمية فى مجال الاذاعة المسموعة (الراديو) والاذاعة المرئية (التليفزيون) واقتحام عصر تكنولوجيا الاتصال ، الذي يشمل الاقمارالصناعية والمحطات الفضائية ، والحاسب الآلى والمالتيميديا Multi-Media (الاتصال متعدد الوسائط).

وبالنسبة للراديو فقد تحقق وجود نظام الشبكات الاذاعية كشبكات متخصصة بلغت ثمانى شبكات اذاعية هى:.

★ اولا : شبكة البرنامج العام ★

وهى الشبكة القومية التى تخاطب كافة المواطنين المصريين ، وتوظف ، رسالتها فى خدمة قضايا الوطن والمجتمع المصرى بأسره .

خدمة اذاعية واحدة .. اذاعة البرنامج العام

★ ثانيا : شبكة صوت العرب ★

وهى الشبكة العربية و تخاطب الوطن العربى بأسره وتوجه رسالتها نحو خدمة القضايا العربية والمجتمع العربى فى كافة دوله ولكافة شعوبه وأبنائه .

- ٣ خدمات اذاعية : اذاعة صوت العرب واذاعة فلسطين واذاعة وادى النيل .

★ ثالثا : شبكة المحليات ★

والشبكة المحلية .. تخاطب مواطنى المجتمعات المحلية ، وتوظف رسالتها فى خدمة

تنمية المجتمعات المحلية ويوجد الآن أحد عشر اذاعة محلية هى: -

- اذاعة الاسكندية واذاعة العاصمة القاهرة الكبرى واذاعة وسط الدلتا واذاعة شمال الصعيد واذاعة شمال سيناء واذاعة جنوب سيناء و إذاعة القناة واذاعة الوادى الجديد واذاعة مرسى مطروح واذاعة جنوب الصعيد واذاعة حلايب وشلاتين

★ رابعا : الشبكة الثقافية ★

وهذه الشبكة ذات الطابع الثقافى المتخصص ، توظف رسالتها فى خدمة نشر الثقافة ، وتنمية ورفع مستوى الذوق العام والرفيع ، وتتبعها ثلاث خدمات اذاعية ، هى البرنامج الثقافى والبرنامج الاوربى و البرنامج الموسيقى .

★ خامسا شبكة القرآن الكريم (الشبكة الدينية) ★

الشبكة الدينية لها رسالة اعلامية متخصصة ، توظف فى خدمة الدعوة الاسلامية ونشر الثقافة الدينية ، وتنمية الوعى الدينى ، وتوفير الزاد الروحانى والايمانى للأفراد ، وتتبعها خدمة إذاعية واحدة هى إذاعة القرآن الكريم

★ سادسا : شبكة الشرق الاوسط ★

وهذه الشبكة ذات ايقاع السريع ومضمون اعلامى متميز ، وطابع اعلانى خاص ، وتتبعها خدمة اذاعية واحدة هى اذاعة الشرق الاوسط .

★ سابعا : شبكة الاذاعات الموجهة .. (الشبكة الدولية) ★

والشبكة الدولية .. تخاطب العالم الخارجى بدولة وشعوبه المختلفة ، و توظف رسالتها فى خدمة نقل صوت مصر للخارج ، مجسدة لشخصية مصر ودورها ومواقفها إزاء كافة القضايا الدولية الهامة ، و تتبعها ٤٥ خدمة اذاعية تخاطب العالم بـ ٣٥ لغة منها اللغة الاوزبكية لجمهورية اوزباكستان فى يناير ١٩٩٤ واللغة الروسية فى مارس ١٩٩٥

مع تقديم خدمة هامة لتعلم اللغة العربية عن طريق الراديو بلغات وسيطة متعددة ، هى الانجليزية والفرنسية والتركية والسواحلية ثم الفولانى والفارسية .

★ ثامنا : شبكة الشباب والرياضة ★

وهذه الشبكة ذات الطابع الشبابى والرياضى الخاص ، توظف رسالتها فى خدمة قطاعى الشباب والرياضة ، وتغطية كل ما يهم هذين القطاعين من قضايا واحداث .

وهى أحدث شبكة اذاعية (١٩٩٥) كانت من قبل اذاعة ضمن اذاعات شبكة المحليات، وكان القرار بتحويلها الى شبكة اذاعية مستقلة فى اطار الاتجاه نحو تدعيم الاعلام المتخصص

ونشر الخدمات الاعلامية المتخصصة بما يواكب روح العصر . وتتبعها خدمة اذاعية واحدة هى اذاعة الشباب والرياضة [١٢٢]

****

ثم هناك الراديو التعليمى الذى أنشىء سنة ١٩٩٠ لخدمة الارسال التعليمى للمناهج والعملية التعليمية ومع انه يبث على المستوى المركزى ، الا انه ينتج ويوزع البرامج الخاصة بالمناهج العامة ويوزعها على المحطات المحلية .[١٢٣]

★ تمثيلية حرب الكواكب ★

ولنا أن نتوقف أمام تأثير الراديو الطاغى كوسيلة من وسائل الاتصال بالجماهير التى تحاصر الانسان المعاصر فى كل مكان ، ولعل من المهم أن نذكر تمثيلية اذاعية محدودة يضرب بها المثل فى الدراسات الاعلامية فى مختلف انحاء العالم ، وهى تمثيلية "حرب الكواكب" التى قدمها الممثل والمخرج الاذاعى الشاب اورسون ويلز وكان عمره ٢٣ عاما بمناسبة عيد جميع القديسين(*) وكانت التمثيلية عبارة عن معالجة اذاعية لرواية هـ . ج ويلز المشهورة حرب الكواكب وقد قدمها (ويلز) فى شكل نشرة أخبار مذاعة من واقع الاحداث المفترضة ، اذ قال أن شيئا هائلا أسطوانيا تحطم فى (نيو جيرسى) بالقرب من (برنستون) وأحدث حفرة عميقة ، وأن الاسطوانة قد فتحت وخرج منها كائن ممسوخ ، له قوام دب وجسمه الاشهب الملزج يلمع مثل جلد مبلل ، وليس له ذقن ، ولكن له فم على هيئة حرف (٧) يرتعد باستمرار ، ويقطر لعابا ، وله مجموعة زوائد مثل أذرع الاخطبوط ، وان هذا المخلوق البشع قد يكون زائرا قادما من المريخ ، وأن هناك روبوتات أو مخلوقات آلية تمسح المنطقة بأشعة الموت المريخية ، وينفجر كل شيء فى نطاق هذه الأشعة ويتحول إلى لهيب ، وانها تتجه الى نيويورك تنشر الموت والخراب في طريقها، وكانت النتيجة أن الألوف من أهالي نيويورك المرعوبين أخذوا يتجولون مذعورين في اتجاه يحاولون الفرار من

---

(١٢٢) الاعلام المصرى - نظرة على الحاضر ورؤية حول المستقبل - مجلة الفن الاذاعى العدد ١٤٤ مايو ١٩٩٥- اتحاد الاذاعة والتليفزيون - القاهرة .

(١٢٣) عفاف المولد - الاعلام الاذاعي المحلى المصدر السابق .

(*) يوم احتفال يقام فى اول نوفمبر من كل عام بالنسبة للكنيسة الكاثولوكية والكنيسة الانجليكانية .

مخلوقات المريخ . »[١٢٤] «وهكذا اندفع الجميع وهم يملأون سياراتهم بما خف حمله وارتفع ثمنه، والهرب بها من نيويورك ، لقدكان رد الفعل متاثرا إلى حد كبير بتوقعاتهم ، فقد كان هذا العام، هو العام الذى أثار فيه « هتلر » أزمة سياسية كبرى عرفت بأزمة « ميونيخ » ، وعلى مدار الساعة ، يوما بعد يوم ، كانت محطات الاذاعة تبث أخبار التهديدات وتعبئة الجيوش فى دول أوربا ، ولم يكن غزو سكان المريخ المزعوم للأرض إلا امتداد لهذه التوقعات والتحسبات ، وهكذا تلعب آمال وأمانى ومخاوف اللحظة الحاضرة دورها فيما نسمع ونشاهد من أخبار ، لها القدرة على شحنها بأبعاد جديدة »[١٢٥]

★ القدرة الاقناعية للراديو ★

ولعل استغلال الراديو كوسيلة اتصال بالجماهير من قبل المانيا النازية ، ومهندس الدعاية جوبلز ، ونجاح سياسته الاعلامية فى السيطرة على الشعب الالمانى رفيع المستوى واسع الثقافة شديد الذكاء ، ما يؤكد القدرة الاقناعية المؤثرة للراديو ، الذى امكن عن طريقه بسط السيطرة النازية على ألمانيا والقاء الرعب فى قلوب جيرانها ، "ولعل هتلر الذى كان يدرك هذه الحقائق قد سمح لحكومة فيشى الفرنسية بالاحتفاظ بأسطول حربى ورفض أن تكون لها إذاعة خاصة "[١٢٦]

وكان الرئيس الامريكى روزفلت يستخدم الراديو استخداما واسعا فى دعايته الانتخابية للرئاسة ، وقد مكنه هذا من الفوز على منافسه (هربرت هوفر) بالرغم من موقف الصحافة الأمريكية المعادى لروزفلت والمؤيد لهوفر ، وفى مصر نجح الراديو فى تجميع الامة على حب جمال عبد الناصر والإحاطة به والوقوف الى جانبه ، خاصة اثناء العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦، فقد نجح الراديو فى جمع أبناء مصر على لغة واحدة ، وكان من اقوى عوامل التماسك الاجتماعى ، وفشلت كانوه الاذاعات المعادية الأخرى فى اضعاف تأثير الاذاعة المصرية الوطنية .

ولم يكن من المستغرب ان تبدأ الاذاعة البريطانية فى توجيه أول إذاعة لها موجهة الى خارج المملكة المتحدة الى العالم العربى وباللغة العربية فى٣ يناير عام ١٩٣٨ قبل بداية الحرب العالمية الثانية من أجل إحكام السيطرة على الشعوب العربية وكسب تأييدها فى المواجهة المحتملة بين المانيا والمملكة المتحدة وبعد ان استشعرت خطر الغزو الالمانى للبلاد العربية .

وظائف عديدة للراديو ★

وقد حدثت متغيرات عالمية عديدة حضارية وعقائدية وسياسية وتكنولوجية فرضت وجود وظائف عديدة للراديو ، فبالاضافة إلى الوظائف التقليدية المعروفة وهى الاعلام او الاخبار والتثقيف والترفيه ، هناك التعليم والمشاركة فى عمليات التنمية ، وتغيير الخصائص السكانية ،

---

(١٢٤) فرنسيس ليى - المريخ بين الواقع والحياة - مجلة رسالة اليونسكو الطبعة العربية القاهرة يناير ١٩٩٣

(١٢٥) طه محمود طه (د.) وسائل الاتصال الحديثة - عالم الفكر - الكويت - يوليو - سبتمبر ١٩٨٠

(١٢٦) الاذاعة والسياسة الدولية - مرجع سابق

دة تشكيل الرأى العام ، والدعاية والاعلان والتحريض والدعاية ، فالراديو رفيق يؤنس
كسر وحدة انسان اليوم، الذى يشعر بالغربة والاغتراب معا ، وهكذا انتشرت أجهزة الراديو
تى تبلغ نسبة امتلاكها فى مصر حوالى ٩٩.٦٪ طبقا للعديد من الدراسات الميدانية التى اجريت
فى مناطق مختلفة ، وبصفة خاصة فى المدن الرئيسية ، فالراديو متوفر اليوم كجهاز ترانزستور
مستقل ، ومتوفر ايضا كاضافة لاجهزة اخرى مثل المروحة الكهربائية والساعات المنبهة والآلآت
الحاسبة واقلام الحبر وأدوات المكياج والولاعات وفى الأثاث وسرير النوم بل وساعة اليد ايضا ،
وهكذا اصبح الراديو جهازا شخصيا يمثل جزءا لا ينفصل عن جسم الانسان وكيانه وكأنه احد اعضائه

★ تصنيف المادة المذاعة ★

وتصنيف المادة المذاعة من الراديو اليوم ، تشمل بالضرورة الأخبار والمعلومات والموسيقى والغناء والطرائف والاحاجى والمسابقات والشعر الادبى والتعليقات والتحليلات السياسية وبرامج الخدمات وحل مشاكل الجماهير والندوات والمقابلات والصور الصوتية والدراما والاحاديث والرياضية وبرامج المنوعات والبرامج الوثائقية وبرامج الاطفال ، وتتربع على القمة برامج الإفضاء وتعنى البرامج التى يفضى فيها المستمع بما عنده عن طريق البرامج التى يشترك فيها الجمهور أفرادا او جماعة ومن بينها برامج التليفون"† On phone-programmes والحقيقة ان نوعية البرامج هى التى تحدد شخصية الاذاعة ، وتحدد حجم الاستماع اليها ، وانجح البرامج الاذاعية وأكثرها نجاحا باعتبارها وسيلة اتصال بالجماهير ، هى البرامج التى تحمل دعوة للتفكير، وتبنى أفكاراً مستحدثة ، وتثير الانتباه الى كل ما يهم المجتمع ، وبذلك يكون الراديو بمثابة الساعة المنبهة Alarm Clock كما يصفه «ايلى آبل» عميد الصحافة الاسبق بجامعة كولومبيا ، وكما يقول (جورج اركيدوس) مدير شبكة الاذاعة الامريكية ان الراديو شبيه بمعجون الاسنان من حيث استخدامه كل يوم [(١٢٧)]

ان الراديو بحق يسيطر على جميع حواسنا ، ويجعل العالم كله بين أطراف اصابعنا ، ويجعل المستمع شريكا ايجابيا فى كل ما يستمع اليه ، فالمستمع يستكمل الصور المفقودة فى الكلمة المنطوقة عن طريق تكوين صور ذهنية لما يسمع ، يساعده فى ذلك الاستخدام الجيد لأبجديات العمل الاذاعى ، او ما نطلق عليه لغة الاذاعة ، من كلمات صوتية يتم ترجمتها داخل الذهن الى صور ، إلى مؤثرات صوتية وموسيقى وحوار صاعد يحرك الاحداث الى مؤثرات الكترونية ينتجها استديو التسجيلات والاجواء الصوتية المختلفة والانواع المختلفة للميكروفونات والانواع المختلفة للاستديوهات الاذاعية ، مثل الاستديو الحى Live والاستديو الميتDead واستديو الصدى Echo وجميعها تقنيات يلزم أن يلم بها كل اذاعى ، وبصفة خاصة المخرج الاذاعى ومهندس التسجيلات .

---

(١٢٧) ادوارد واكين – مقدمة الى وسائل الاتصال – ترجمة وديع فلسطين – مطابع الاهرام التجارية -مرجع سابق

الفصل التاسع

التلفزيون

الفصـــل التاســع

التلـفـزيـــون

سـحر الصوت والصورة والحركة واللـون

★ الوسيلة الاكثر تأثيرا ★

التليفزيون Television وسيلة من وسائل الاتصال بالجماهير ، هى الوسيلة الأكثر تأثيرا والأكثر قوة ، والكلمة تعنى الرؤية من بعيد ، إنه ذلك الجهاز العجيب الذى ينقل الينا الاحداث فور وقوعها ، ومن مسرح تلك الأحداث ذاتها ، وهو جهاز منزلى عائلى ، استطاع طرد الراديو وزحزحته من مكانه كجهاز منزلى عائلى كان يوضع عادة متصدرا غرفة المعيشة ، وحل مكانه بجدارة ، حيث تلتقى الاسرة اليوم فى نصف دائرة تنظر الى الشاشة محدودة المساحة ، التى تسحرهم بالصورة الملونة والحركة الحية والصوت والكلمة وبآخر الأنباء والأحداث لحظة وقوعها ، وأمام اعينهم ، ودون ان ينتقلوا من اماكنهم إذ أن الدنيا كلها هى التى تنتقل اليهم .

والحقيقة ان السينما قد مهدت لسنوات طويلة لجاذبية التليفزيون ، فنجوم السينما لهم سحرهم وحضورهم الطاغى على حياة الناس ، إنهم نصف آلهة أو هم آلهة من زمن الاغريق القديم وقد ظل الانسان يحلم طويلا بالظهور مثلهم فى السينما ، وجاء التليفزيون واذا به يرى اناسا عاديين على شاشته ، يراهم عن قرب ويكاد ان يلمسهم ، وهو قد وجد الفرصة سانحة امامه لكى يرى نفسه على شاشة التليفزيون ، محققا حلمه القديم فى الظهور على شاشة السينما ، ولعل هذا هو احد الاسباب الضاغطة التى تجعل العديد من القيادات والزعامات تحرص على الظهور على شاشة التلفزيون ، فطالما أنهم لم يستطيعوا الظهور فى السينما كنجوم مرموقة ، فلا بأس من أن يصبحوا من نجوم التلفزيون ، مثلما يحرص الانسان العادي على ذلك ، وهذا فى ذاته يمثل احد الاحلام التى استطاع التليفزيون تحقيقها لانسان ، وقد غيّر التليفزيون وجه الحياة فى البلاد التى دخلها واحتل مكانا داخل بيوتها وفى أنديتها ، إن الطفل قد يعرف اليوم اكثر مما يعرف ابواه ، وبذلك جاء عصر هذا الجيل الجديد التليفزيونى الذى يمكن للأب والأم ان يتعلما لأول مرة من اطفالهما ، فمن المحتمل ان يكونوا امام إدمانهم مشاهدة التليفزيون قد شاهدوا وعرفوا وفهموا واستوعبوا الكثير مما لم يشاهده الابوان ، لقد تغيّر كل شئ فى حياتنا دون ان ندرى ، ولنا ان

نفكر فى أسلوب حياتنا كيف كان وكيف اصبح اليوم ، فقد تغير الكثير من عاداتنا الاجتماعية ، عادة النوم على سبيل المثال ، ولنضرب لذلك مثلا بالفلاح فى الريف المصرى ، انه يسهر امام التليفزيون فى داره أو فى المقهى فى القرية أو عند أي من اصدقائه ، وهو لا يستطيع الاستيقاظ من النوم مبكرا كما كانت عادته من قبل ، فهو يذهب الى حقله متأخرا ، ونحن نرى اليوم معظم المحلات التجارية الصغيرة والكبيرة لا تفتح أبوابها قبل العاشرة والحادية عشر ، وسقط المثل الشعبى «الرزق فى البدرية» او «البركة فى البكور» وانتقلت ايضا منضدة الطعام أو الغيت ، فالناس يتناولون غذاءهم امام شاشة التليفزيون فى شكل سندويتشات غالبا ، والفتاة تتبع احدث اشكال الموضة ، نقلا عن التليفزيون ومقدمات البرامج والمذيعات ونفس التأثير نجده فى حياتنا السياسية وعلاقاتنا الاجتماعية ، فهناك ثقة كاملة فى الأنباء التى يبثها التلفزيون الذى أصبح أهم جهاز اخبارى Informative Medium ومنذ أوائل الستينات أظهر عدد من داسات الرأي العام ان حوالي ثلثى الشعب الامريكى يقولون إن مصدرهم الرئيسى للأنباء هو التليفزيون ، وتأتى الصحف فى المرتبة الثانية والراديو فى المرتبة الثالثة بمسافة أبعد ، وفضلا عن ذلك فإن الناس الذين يثقون فيما يذاع فى التليفزيون ، هم اكثر من ضعف عدد اللذين يثقفون بما ينشر فى الصحف أو المجلات أو يذاع من الراديو [١٢٨] .

والتليفزيون هو وسيلة الإتصال الأكثر حميمية ، فنحن نشعر بالألفة والمودة مع مقدمى ومقدمات البرامج وقارئى وقارئات النشرات الإخبارية بل وضيوف البرامج ، ولهذا يكون التركيز دائما على اللقطات القريبة ، وبذلك يكون التليفزيون أقرب الى الاتصال المواجهى المباشر ، او الاتصال وجها لوجه ، مثلما هو الحال مع الاتصال الشخصى والاتصال الجمعى ، فهم يخاطبوننا شخصيا ، « وقد وجه إلينا عظماء العالم من رؤساء وسياسيين وقادة وكتاب وشعراء وأدباء أنفسهم من خلال الشاشة الصغيرة ، وإن ظل بعض المخرجين يقحمون فى هذه البرامج الصغيرة بعض الأغانى أو مشهد من مسرحية ، وقد ينهى المقدم برنامجه بسؤال للضيف ماذا تحب ان ترى او تسمع؟ وفى هذه البرامج نحب ان نتأمل الوجه الذى طالما رأينا صورته على صفحة رواية رائعة قرأناها ، الوجه الذى لمحناه فى موكب مهيب رسمى ، الوجه الذى طالما سمعنا عن صاحبه أصبحنا نراه عن كثب ونسمع صوته ونتأمله ، وننفذ الى نفسه وكأننا انفسنا فى حوار شخصى معه فى منزلنا مع فنجان شاى ». [١٢٩] ان هذه الشخصيات تنتقل الينا ولا ننتقل نحن اليها ، وتلك هى

---

(١٢٨) اوستنى رامى - قنوات السلطة ترجمة موسى جعفر - وزارة الثقافة والاعلام - بغداد ١٩٨٦ .

(١٢٩) طه محمود -د- وسائل الاتصال الحديثة - مرجع سابق

الميزة الكبرى للتلفزيون ، وهكذا تكونت شعبية الزعيم جمال عبد الناصر من خلال شاشة التليفزيون المصرى ، وعرفه العالم من خلال هذه الشاشة ، فكره وثقافته وسياسته وآراءه وعاداته واسلوب معيشته و علاقاته وصوته وحركاته ، وهكذا خرجت الجماهير فى ٩يونيو ١٩٦٧ تطالب ببقائه وترفض تنحيه عن الرئاسة بسبب هزيمته ١٩٦٧ بعد ان شاهدته يعلن تحمله مسؤلية الهزيمة وقرار التنحى ، بينما كان الرئيس انور السادات مستفزا بشكل ما وهو يخاطب الجماهير خاصة عند زيارته اسرائيل والاجتماع بزعمائهم ، وكان ذلك يمثل فى ذلك الوقت صدمة كبيرة على المستوى المحلى والمستوى العربى والاسلامى ، « ولو كان التليفزيون منتشرا على نطاق واسع أيام حكم هتلر لاختفى هتلر بسرعة ولو ظهر التليفزيون قبل الراديو لما كان هتلر ابدا ، وعندما ظهر خروشوف الزعيم السوفيتى الأسبق على شاشة التلفزيون الامريكى كان مقبولا اكثر من الرئيس الامريكى نيكسون كمهرج ورجل ظريف » (١٣٠) ولنا ان نذكر« اول مناظرة خلال حملة انتخابات الرئاسة بين جون كنيدى وريتشارد نيكسون فى عام ١٩٦٠ ، فقد اعتقدت أكثرية الذين شاهدوها على شاشة التليفزيون أن كيندى قد فاز ، بينما اعتقدت أكثرية الذين استمعوا اليها فى الراديو أن نيكسون قد فاز » (١٣١) فقد ظهر نيكسون شاحبا مريضا ضعيفا بسبب بعض اخطاء المكياج والديكور والتصوير، وظهر كنيدى شابا قويا كله حيوية ونشاط . والتليفزيون له استخداماته الواسعة فى العملية التعليمية والتثقيفية ، وتقديم الافكار المستحدثة والتنمية ، دون ان يتخلى عن دوره الترفيهى البارز ، ومع ذلك فما من وسيلة اتصال قد نالها من الهجوم مثلما نال التلفزيون ، فكثيرا ما يعتبر المحرض الأول على الجريمة ، وافساد الأطفال والمراهقين ، وإهدار الوقت الذى من الممكن استغلاله فى اشياء اكثر نفعا ، وهناك من يعتبره أشد المخدرات تأثيرا ، او يطلق عليه اوصافا مشينة مثل صندوق البلاهة ومصباح الابْلة ، والمتاهة ، ومجمع الغباء ، وعميل السلطة الذى يقوم بتجميل وجهها ، ومكرس الظلم ، والمحرض على الفساد ، وسارق النوم، وهو مهتم بانه السبب فى الكثير من الأمراض ، مثل السمنة وأمراض القلب ، والشراهة لالتهام الطعام ، بالاضافة الى تكريس العزلة بين افراد الاسرة عن طريق التزامهم الصمت وانقطاع سبل الحوار فيما بينهم ، ومع ذلك يبقى أروع ما يتميز به التلفزيون هو جعله ابناء القرية العالمية

---

(١٣٠) المرجع السابق

(١٣١) قنوات السلطة - مرجع سابق

شركاء فى كل شىء فما من شىء ، نشاهده على شاشة التليفزيون الا ونعيش معه ، ونتوحد مع أبطاله وأحداثه ، وهكذا نصبح شركاء فى الفرح اذا كان ما نشاهده يتسم بالفرح والسعادة ، ونشعر بالأسى والمرارة اذا كان ما نشاهده يتسم بالأسى والمرارة ، اننا مع التليفزيون نعيش حياة الآخرين فى كل مكان ، نعيشها عن قرب ، فنحن لا ننتقل الى الآخرين ، بل هم الذين ينتقلون إلينا ، وتلك هى معجزة التلفزيون ، واذا كان مصدرا لسلبيات نحن نرفضها ، فنحن ايضا صانعوها ونحن ايضا مستهلكوها ، وينبغى ان نوقف شر ما نصنع ، ونستهلك ما يفيد وينفع ، فقد وجد التليفزيون ليكون أداة نفع يخدمها اليوم تكنولوجيا اتصال متقدمة ودائمة التغيير والتقدم .

★ نظرة تاريخية ★

ويرجع الفضل فى اختراع التليفزيون الى العالم البريطانى (جون بيرد) الذى استطاع سنة ١٩٢٤ نقل صورة باهتة غير واضحة لصليب صغير عن طريق أجهزته التى استحدثتها الى شاشة صغيرة معلقة على الحائط ، وفى ٣٠ سبتمبر عام ١٩٢٩ ، قدمت هيئة الاذاعة البريطانية أول اذاعة تليفزيونية لها من استديوهات (بيرد) وأذيعت أول تمثيلية تلفزيونية من نفس الاستديوهات فى ١٤ يوليو ١٩٣٠ ، وبعد تجارب واختراعات متعددة تم تطوير الكاميرا ، كاميرا التلفزيون وتحسينها لتستطيع نقل المناظر والمشاهد بأكملها ، وكاميرا التليفزيون تقوم بتحويل الطاقة الضوئية ، الموجودة فى المكان الذى يجرى فيه التصوير ، الى اشارات كهربية ، يجرى ارسالها على شكل موجات لاسلكية متناهية القصر ، عن طريق جهاز الارسال ، وجهاز الاستقبال التليفزيونى يقوم بتحويل هذه الموجات الى تيارات كهربية تأثيرية ، يتم عن طريقها استعادة الصور المرسلة ، وفى سنة ١٩٣١ استطاع «جون بيرد» ان ينقل لاول مرة فى التليفزيون سباق الدربى فى انجلترا ، مما ساعد على انتشار اجهزة التليفزيون ، «وكان اول ارسال تليفزيونى منتظم هو ارسال هيئة الاذاعة البريطانية فى ٢ نوفمبر عام ١٩٣٦ ، وفى مايو ١٩٣٧ تم نقل اول إذاعة تليفزيونية خارجية لتغطية حفل تتويج الملك جورج السادس ، واستمر البث التليفزيونى المنتظم الى ان توقف فى سبتمبر ١٩٣٩ ، بسبب نشوب الحرب العالمية الثانية ، باعتباره من الكماليات كما أنهم خشوا ان يستفيد الالمان من الاشعاعات الصادرة عنه فى تحديد الاهداف ، وفى يوليو عام ١٩٤٦ أعيد ارسال التليفزيون فى بريطانيا » (١٣٢) وفى الولايات المتحدة قامت

---

(132) N.S. Biryukor, Television in the west and it's doctrines, Progress Publish ers, Mosco, 1977 .

شركة R.C.A الامريكية فى سنة ١٩٣٠ باول تجربة علنية للأرسال والاستقبال التليفزيونى فى مدينة نيويورك ،« وفى سنة ١٩٣٧ تمكن العالم الأمريكى "زاروكين" من اختراع صمام الاورثيكون الالكترونى الذين امكن بواستطه التقاط الصور التليفزيونية الواضحة وفى عام ١٩٣٩ نقلت اول مباراة للبيسبول للجمهور الامريكى بوضوح تام» [١٣٣] وقد نقلتها شركة NBC The National Broacasting Company وتبعتها شركة CBS Colombia Broadcasting Systemويرجع الفضل لهاتين الشبكتين فى تطوير ودعم الارسال التليفزيونى منذ اواخر عام ١٩٣٠، وفى الاتحاد السوفيتى السابق بدأت تجارب الارسال التليفزيونى فى الفترة من نهاية العشرينيات الى اوائل الثلاثينيات ، وفى منتصف الثلاثينيات ، بدأ اول بث تليفزيونى روسى من موسكو العاصمة وليننجراد (سان بطرسبرج الآن) وما ان جاء عام ١٩٨٤حتى أصبح لدى الاتحاد السوفيتى السابق عدد من أقوى القنوات التليفزيونية التى بلغت ١١٦ محطة بث ، تنطق لغة ٤٥ من لغات شعوب الاتحاد السابق ، وفى فرنسا كان أول إرسال تليفزيونى عام ١٩٣١، وفى سنة ١٩٣٥ بدأت عمليات نقل منتظم للبرامج التليفزيونية ، وقبل نشوب الحرب العالمية الثانية كان الارسال التليفزيونى الفرنسى يغطى خمسة عشر ساعة اسبوعيا ، لكنها كانت الاسبق فى استئناف البث التليفزيونى بعد الحرب وكان ذلك فى نهاية عام ١٩٤٥ . أما ألمانيا فقد كانت لها تجاربها مع التليفزيون أيضا ، وفى مارس عام ١٩٣٥ تم افتتاح مركز للعرض العام ، وفى اغسطس من نفس العام ، تم تغطية احتفلات افتتاح دورة الالعاب الاولمبية فى برلين ، ولم يكن الارسال منتظما حتى نشوب الحرب العالمية الثانية ، ثم توقف الارسال التليفزيونى ، ولم يستطع هتلر وجويلز استغلال التليفزيون فى الدعاية الالمانية النازية وللزعيم النازى هتلر ، وإن كان من المحتمل أن يخسر شعبيته كثيرا وربما فقدها تماما اذا ظهر على شاشة التليفزيون كما سبق لنا ان ذكرنا، « مثلما هو الحال مع العديد من الشخصيات التى كونت شعبيتها عن طريق الراديو والكلمة المنطوقة ، والتى تفقد شعبيتها على شاشة التليفزيون »[١٣٤]

أما اليابان فهى الدولة الوحيدة خارج اوربا وامريكا التى كان لها جهودها وتجاربها التلفزيونية بدءا من منتصف الثلاثينيات ، ومع نشوب الحرب العالمية الثانية ، توقفت التجارب تماما ، لكنها استأنفت تجاربها التلفزيونية ، والحقيقة انه بحلول عام ١٩٤٨ لم يكن فى العالم سوى أربعة بلاد فقط تعرف البث التليفزيونى ، وهى الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا، وسرعان ما انتشر البث التليفزيونى شرقا وغربا سواء بسواء وأصبح جزءا من حياة الناس .

---

(١٣٣)فوزية فهيم (د.) التلفزيون فن – سلسلة اقرأ – دار المعارف العدد ٤٦٥ القاهرة يونيو ١٩٨١

(١٣٤) مرجع سابق

★ مصرتدخل عصر التليفزيون ★

ومصر تأخرت قليلا عن اللحاق بركب الدول التى دخلت عصر التليفزيون كوسيلة من وسائل الاتصال الجماهيرى ، واذا كنا نستطيع الرجوع «الى عام ١٩٤٧ عندما نشرت احدى الصحف ان الحكومة المصرية ستفتح اعتمادا بمبلغ ٢٠٠,٠٠٠ الف جنيه مصرى ، لبناء استديوهات للتليفزيون ، ولم ينفذ المشروع» [١٣٥] أما أول تفكير جدى فى ادخال الخدمة التليفزيونية فى مصر فقد كان فى عام ١٩٥١، عندما عرضت شركة فرنسية للراديو والتليفزيون، مشروعا لادخال التليفزيون فى مصر ، وتم تصوير حفل زفاف الملك فاروق عند زواجه للمرة الثانية من الملكة ناريمان ، وتم اجراء عدد من التجارب الناجحة ، وكان الملك السابق فاروق الاول اول من امتلك جهاز استقبال تليفزيونى هو والملكة ناريمان ، واحد فى قصر القبة و آخر فى قصر ناريمان بمصر الجديدة [١٣٦]

وكان على مصر ان تنتظر حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لكى تبدأ المراحل التنفيذية لانشاء التلفزيون ، الذى بدأ انشاؤه فى ابريل عام ١٩٥٦ على أمل أن يبدأ البث عام ١٩٥٧، الاان العدوان الثلاثى الانجليزى الفرنسى الاسرائيلى عام ١٩٥٦ أوقف المضى فى المشروع ، وما أن استقرت الأمور كلها ، حتى بدأ تنفيذ المشروع مرة اخرى ، وافتتح التليفزيون فى ٢١ يوليو عام ١٩٦٠ وانطلق التليفزيون المصرى ليصبح أحد أهم وسائل الاتصال الجماهيرى فى مصر والمنطقة العربية كلها .

★ التليفزيون فى العالم العربى★

اما الدول العربية فقد تسابقت الى ادخال الخدمة التلفزيونية فى أراضيها على فترات مختلفة ، فالمملكة المغربية بدأ الارسال التليفزيونى بها عام ١٩٥٤ وفى الجزائر عام ١٩٥٦ وفى لبنان عام ١٩٥٩ وفى سورية عام ١٩٦٠ فى نفس اليوم الذى بدأ فيه التليفزيون المصرى حيث كانت الوحدة بين مصر وسورية قائمة (الجمهورية العربية المتحدة) وتم تنفيذ مشروع ادخال الخدمة التليفزيونية فى البلدين فى وقت واحد ، وادخلت الكويت الخدمة التليفزيونية عام ١٩٦١ وتونس عام ١٩٦٦ و المملكة الأردنية الهاشمية عام ١٩٦٨ والجماهيرية الليبية عام ١٩٦٨ ايضا

---

(١٣٥) التليفزيون فن- مرجع السابق .

(١٣٦) مجلة، روزاليوسف - ٨ مايو ١٩٥١ ووسائل الاتصال نشأتها وتطورها - خليل صابات ، مرجع سابق .

ودولة الامارات العربية عام ١٩٦٩ فى ابو ظبى (دبى) ١٩٧٤ - رأس الخيمة ١٩٧٦ - الشارقة ١٩٨٩ وفى قطر عام ١٩٧٠ والبحرين عام ١٩٧٣ وسلطنة عمان عام ١٩٧٤ والجمهورية العربية اليمنية عام ١٩٧٥ من صنعاء وان سبقتها عدن فى عام ١٩٦٤ .

★ التليفزيون المصرى .. خطوات رائدة على الطريق ★

ولنا ان نتوقف امام تليفزيون جمهورية مصر العربية ، والخطوات الواسعة التى قطعها ليصبح التليفزيون المصرى واحدا من أهم وأكبر وسائل الاتصال الجماهيرى ، التى تحظى بالاهتمام والاحترام العالمى ، فقد تعددت القنوات التليفزيونية المركزية والمحلية ، وانطلق التلفزيون الى آفاق العالمية من خلال مشروعات عملاقة عديدة ، تستطيع الوقوف جنبا الى جنب الى جوار الكيانات الاعلامية الكبرى ، تلك الكيانات التى تعتبر من السمات المميزة لهذا العصر ، ويتضح ذلك من خلال هذا الاستعراض الشامل :-

★ عشر قنوات متطورة ★

★★ اولا : قناتان مركزيتان

★ القناة الاولى ★

القناة التليفزيونية الأولى هى القناة التى تبث برامجها وتوجهها لكى يشاهدها كافة المواطنين المصريين على اختلاف نوعياتهم ومستوياتهم العمرية والاجتماعية والثقافية ، وتوظف رسالتها فى خدمة الوطن والمجتمع المصرى ،فهى قناة قومية .

★ القناة الثانية ★

وهذه القناة قناة قومية ايضا ، ولكنها تتميز بطابع ثقافى خاص ، وتوجه رسالته الى نشر الثقافة بانواعها المختلفة ، وتنمية الوعى الثقافى والفكرى للمواطنين ، والارتقاء بمستوى الذوق العام

★ ثانيا : القنوات المحلية ★

وجميع هذه القنوات المحلية تركز رسالتها الاعلامية فى خدمة وتنمية المجتمعات المحلية التى تقع فى دائرة بثها ، وتقوم على معالجة قضاياها وتوفير كافة الخدمات لابنائها واعادة بناء وتنمية الانسان فى هذه المجتمعات المحلية وهذه القنوات هى :-

١- تليفزيون العاصمة القاهرة الكبرى [القناة الثالثة] :

وتوجه هذه القناة رسالتها الاعلامية والاتصالية لخدمة المجتمع المحلى فى محافظات القاهرة والجيزة والقليوبية ، والتى تدخل فى نطاق القاهرة الكبرى ، وتبث هذه القناة برامجها من المبنى الرئيسى فى القاهرة وقد بدأت بثها عام ١٩٨٥

٢- تليفزيون القناة [القناة الرابعة]

وتخدم محافظات الاسماعيلية وبورسعيد والسويس ، وتبث برامجها من مدينة الاسماعيلية وبدأ بثها عام ١٩٨٨ .

٣- تليفزيون الاسكندرية [القناة الخامسة]

وتوجه هذه القناة برامجها لخدمة محافظة الاسكندرية ، وتبث برامجها من مدينة الاسكندرية ، وأجزاء من محافظة البحيرة وبدأ بثها عام ١٩٩٠

٤- تليفزيون الدلتا [القناة السادسة]

وتخدم هذه القناة محافظات الدلتا والغربية والمنوفية وكفر الشيخ والدقهلية ودمياط ، وبدأ بثها عام ١٩٩٤ وتبث برامجها من مدينة طنطا .

٥- تليفزيون شمال الصعيد [القناة السابعة]

وتخدم محافظات شمال الصعيد : الفيوم وبنى سويف والمنيا واسيوط وبدا بثها عام ١٩٩٣ .

٦- تليفزيون جنوب الصعيد [القناة الثامنة]

وتخدم محافظات سوهاج وقنا واسوان وجنوبا حتى منطقة أبى سنبل وبدأ بثها التجريبى عام ١٩٩٥ وتبث برامجها من مدينة أسوان .

★ ثالثا :- قنوات ذات طبيعة خاصة فى اطار المشروعات المستقبلية ★

١- قناة الاقصر

وتوظف لخدمة السياحة فى منطقة الأقصر ذات الطبيعة السياحية الأثرية ، وهذه القناة تستقبل إرسال قناة النيل الدولية ثم تعيد بثها ، وتقدم إرسالا خاصا للسائحين لمدة اربع ساعات يوميا ..

٢- قناة الغردقة

وهذه القناة تخدم السياحة ايضا فى الغردقة ذات الشهرة العالمية كمصيف ومشتى متميز ومنطقة البحر الاحمر . وهذه المناطق عامرة بالمدن والقرى والمجمعات السياحية .

٣- قناة سيناء

وهى قناة خاصة بتنمية مجتمع سيناء وتخدم رسالتها المشروع القومى فى سيناء

★ رابعا : قنوات دولية ★

١- القناة الفضائية المصرية E.S.C

وهذه القناة ناطقة باللغة العربية ، وتقوم بتجسيد شخصية مصر فى الخارج ، وتوصيل رسالة الاعلام المصرى الى العالم الخارجى ، خاصة العالم العربى والاسلامى والافريقى ، والجاليات المصرية والعربية فى الخارج وبدأ بثها فى ١٢ ديسمبر ١٩٩٠

٢- قناة النيل الدولية Nile T.V

ويغطى ارسالها أوربا والمنطقة العربية وشرق الولايات المتحدة وأفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية . وتم افتتاحها فى النصف الثانى من عام ١٩٩٣، وتنقل صورة كاملة عن مصر إلى العالم الخارجى باللغتين الانجليزية والفرنسية ثم الاسبانية والروسية ، وتبث برامجها لمدة اثنتا عشرة ساعة يوميا .

★ خامسا : قناة المعلومات المرئية Teletex ★

وتبث اسالها على مدي الأربع والعشرين ساعة يوميا باستخدام جهاز فك الشفرة De-coder كما يمكن لمن لايملك جهاز فك الشفرة استقبال ارسالها فى فترات معينة ، مثل الفترة قبل وبعد الارسال التليفزيونى لبعض القنوات التليفزيونية ، وهى تقدم خدمات المعلومات فى شكل جريدة مرئية ، وتبث باللغة العربية على القناة الفضائية المصرية ، وباللغة الانجليزية على قناة النيل الدولية والقناة الثانية .

★ سادسا : القمر الصناعى المصرى Nile Sat ★

ومن المشروعات العملاقة ، قيام مصر باطلاق أول قمر صناعى مصرى ، وبذلك يتم اقتحام عصر الفضاء والسماوات المفتوحة ، وسيبدأ استخدام هذا القمر فى بداية عام ١٩٩٧ ، ويمكن استقبال ارساله بهوائيات صغيرة من ٦٠ الى ٩٠ سنتيمترات ، ويستقبل هذا الارسال فى جمع

انحاء مصر والمنطقة العربية ، وبعض الدول الافريقية ، وسيوفر هذا القمر امكانية انشاء قنوات تليفزيونية عديدة ومتخصصة ، مثل قناة خاصة بالاطفال ، وقناة تعليمية ، وقناة للشباب والرياضة ، وقناة للمرأة ، وقناة للخيال العلمي ، وقناة للسكان وغيرها .

★ سابعا : قنوات الانفتاح الاعلامي ★

وتتبنى الاستراتيجية الاعلامية المصرية سياسة الانفتاح الاعلامي المدروس ، وبما لا يخرج عن اطار قيم المجتمع وعاداته وتقاليده ، وقد تحقق ذلك من خلال ما ياتى :-

١- استقبال بث القناة الفرنسية الدولية CFI

ويتم عرض بعض مواد هذه القناة المناسبة للمشاهد المصرى ، فى قنوات التليفزيون المصرى

٢- الشبكة الاخبارية الامريكية CNN

ويستقبل برامجها المشاهد المصرى من خلال الشركة المصرية للأخبار . التليفزيرنية على مدى اربع وعشرين ساعة يوميا

٣- الشركة المصرية لشبكة الكوابل الفضائية .

وتتيح هذه الشركة تعدد الاختيارات امام المشاهد المصرى من خلال ست قنوات دولية هى :-

* قناة الاخبار الامريكية CNN- وقناة المنوعات والموسيقىMTV - وقناة الافلامM Net - وقناة الاطفال KTV- وقناة الرياضة Super Sport- وجميعها قنوات مشفرة بنظام شاهد وادفع T.V Pay. (١٣٧)

---

(١٣٧) المصدر الاساسى للمعلومات الخاصة بانجازات الاعلام المصرى العدد الخاص رقم ١٤٤ لمجلة الفن الاذاعى بمناسبة عيد الاعلاميين الثانى عشر ٣١مايو ١٩٩٥ - مجع سابق .

★ كلمة اخيرة ★

وهكذا نأتى الى نهاية رحلتنا مع الاتصال الجماهيرى ، الواقع والمستقبل ، رحلة عشنا فيها مع بداية الاتصال الانسانى مرورا بكافة وسائل الاتصال المختلفة ، الى أن أصبح الاتصال جماهيريا مع ظهور المجتمع الجماهيرى Mass Society وهو مجتمع يتميز بأن أفراده لا يعرفون بعضهم البعض ، وهم وإن كانوا مختلفين من حيث الخصائص والقيم والتوجهات ، إلا أنهم يمثلون جماعة واحدة امام وسيلة الاتصال التى يتعرضون لها ، ومع ذلك فإن درجة استجابتهم للوسائل الاعلامية التى يتعرضون لها ، تكون حسب قناعات وتكوين كل شخص ، وتراثه الثقافى ، والذى لا شك فيه هو اننا نعيش عصرا مختلفا تماما ، عصرا متغيرا بصورة اسرع مما يعتقده الكثيرون ، وتحكمه تكنولوجيا العصر والتكنولوجيا الاتصالية الجديدة بصفة خاصة ، ويرجع ذلك الى ان الثورة العلمية والتكنولوجية ، قد احدثت تغيرات عديدة فى اشكال الاتصال ولعل ابرز اشكاله هو الاتصال متعدد الوسائط Multi Media الذى أتاح وجود البريد الالكترونى E. Mail حيث يمكن للمشترك ارسال و استقبال رسائل الكترونية عن طريق . الربط بين التلفون وبين الحاسبات الالكترونية ، وكذلك انظمة النصوص المتلفزة المتمثلة فى الربط بين جهاز التليفزيون والحاسبات الالكترونية ايضا ، وكذلك انظمة البث المباشر من الأقمار الصناعية دون حاجة الى الاستعانة بالمحطات الأرضية للاتصال بالاقمار الصناعية وقد تطورت الحاسبات الالكترونية بصورة كبيرة ، وتحولت فى ذاتها الى وسيلة اتصال ، فالحاسبات الالكترونية يمكنها الآن الاتصال ببعضها ، كما يمكنها كما سبق أن ذكرنا تحقيق وجود نظام البريد الالكترونى ونظام النصوص المتلفزة وكذلك عقد المؤتمرات عن بعد لقد اقترب العالم من بعضه اكثر واكثر ، ولم يعد العالم مجرد قرية صغيرة كما وصفها رجل الاتصالات الكندى مارشال ماكلوهان ، لقد اصبحنا فى غرفة واحدة ، بل لقد تم الغاء المكان والزمان معا ، بما حققته وسائل الاتصال الاكثر تقدما ، عبر الكابلات الأرضية والألياف الضوئية وشبكات نقل البيانات فائقة السرعة Information Highway واجيال الكمبيوتر والحاسب الآلى المختلفة ، ويدعم كل ذلك ، التطور الكبير الذى صحب تكنولوجيا الاتصال ، و تكنولوجيا المعلومات التى تعتمد على الحاسب الالى ، حيث الحصول على المعلومات واستقبالها وتنظيمها وادخالها وتخزينها مع امكانية استعادتها وقتما نشاء ، والحاسبات الآلية وقد اصبحت من وسائل الاتصال ، نجدها قادرة تماما على استقبال وارسال وتبادل المعلومات والافكار والآراء والقيام بادوار معلوماتية وتثقيفية وترفيهية ، وتنموية

وجميعها عمليات اتصالية تدخل فى دائرة علوم الاتصال الجماهيرى ، ولعل من أبرز الانجازات فى هذا المجال ، هو ربط العالم بشبكات معلوماتية الكترونية ، ولعل من ابرزها شبكة الانترنت Internet وهى شبكة من الحاسبات الالكترونية مرتبطة معا عن طريق او الاقمار الصناعية ، ومن ابرز انجازاتها ما يعرف بالشبكة العنكبوتية العالمية World wide web (w.w.w.) ويمكن عن طريق هذه الشبكة الحصول على معلومات مكتوبة ومسموعة ومرئية على صفحات الكترونية، يستقبلها الشخص على حاسب اليكترونى ، بالاضافة الى تحقيق العديد من الخدمات التجارية ، وهناك اكثر من ثلاثين مليون مشترك فى هذه الشبكة من مختلف انحاء العالم وقد اشتركت مصر فى هذه الشبكة فى اكتوبر ١٩٩٣ ، وكذلك الكويت وتونس والمغرب والجزائر اشتراكا كاملا ، والأردن ولبنان والمملكة العربية السعودية خدمة جزئية Partial Service ، والخدمات المتاحة الآن بالاضافة الى البريد الالكترونى E. Mail، برنامج الاتصال بحاسبات أخرى Tele-Net وبرنامج تبادل الملفات File Transfer Protocol واستخدام الارشيف Archief وعن طريقه يمكن الحصول على الوثائق المطلوبة ، واخيرا محطة التحدث Chat Internet Relay وعن طريقه يمكن عقد الندوات واجراء الاجتماعات عن بعد ، هذا بالاضافة الى الشبكة العنكبوتية العالمية السابق الاشارة اليها ، .... انه عالم متغير فعلا ما كنا لنتخلف عن اللحاق به أبدا والا أصبح مصيرنا هو الخروج من العصر .

عبد المجيد شكرى

المـراجـع والمصـادر

١- محمد عاطف غيث (د) -قاموس علم الاجتماع - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩ القاهرة .

2- James Watson and Anne Hill, A Dictionary of Communication and Media Studies , Edward Arnold (Publishers) Ltd, London, 1984 .

٣- عبد المجيد شكرى - التخطيط الاعلامى رؤية موضوعية نحو المستقبل - العربى للنشر - القاهرة- ١٩٩٦.

٤- طلعت منصور (د.) سيكلوجية الاتصال - مجلة عالم الفكر - المجلد الحادى عشر - العدد الثانى يوليو - أغسطس - سبتمبر - الكويت - ١٩٨٠ .

٥- يوسف مراد (د.) مبادئ علم النفس - منشورات جماعة علم النفس التكاملى - دار المعارف القاهرة- ١٩٦٦.

٦- بيتر فارب علم- بنو الانسان - Human Kind ترجمة زهير محمود الكرمى - سلسلة عالم المعرفة - الكويت ١٩٨٣ .

٧- عباس محمود اعقاد - عبقرية عمر - دار المعارف - القاهرة ١٩٧٩

8- Collins New English Dictionary , Collins,London and Glasgow - 1964.

٩- كرم شلبى (د.) معجم المصطلحات الاعلامية - دار الشروق - القاهرة ١٩٨٩

١٠- ديزموند فيشر - الحق فى الاتصال - ترجمة محمد فتحى - اليونسكو - باريس - ١٩٨٤ .

١١- عبد السلام الترمانيني (د.) الزواج عند العرب فى الجاهلية والاسلام - سلسلة عالم المعرفة الكويت - أغسطس ١٩٨٤ .

١٢- المعجم الوجيز - مجمع اللغة العربية - الطبعة الأولى - القاهرة - ١٩٨٠ .

١٣- ادوارد لين - انجليزى يتحدث عن مصر - ترجمة فاطمة محجوب - كتب للجميع - دار التحرير للطبع والنشر - القاهرة ١٩٥٧ .

١٤- محمد حسن عبد الله (د.) صورة المرأة فى الشعر الأموى - دار ذات السلاسل - الكويت ١٩٨٧ .

١٥- حسين شيرازى - قصة البريد - المكتبة الثقافية- الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٥ يناير ١٩٦٧

١٦- مجلة رسالة اليونسكو - العدد ٢٦٦ - باريس - يوليو ١٩٨٣ .

١٧- الموسوعة العربية الميسرة - دار القلم ومؤسسة فرانكلين - القاهرة - ١٩٦٤ .

١٨- محمد حسين هيكل (د.) حياة محمد - الطبعة التاسعة - مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٦ .

١٩- محمد سيد محمد (د.) المسئولية الاعلامية فى الاسلام - مكتبة الخانجى بالقاهرة ودار الرفاعى بالرياض - ١٩٧٩ .

٢٠- خليل صابات (د.) وسائل الاتصال نشأتها وتطورها - مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٩٤

21 - An Introduction to Media , Edward Wakin, American Book Company . 1978 .

٢٢- شيلدون تشيني - تاريخ المسرح في ثلاثة آلاف سنة - الجزء الأول - ترجمة دريني خشبة - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٦٧ .

٢٣- سمير سرحان (د.) - دراسات في الأدب المسرحي - مكتبة غريب - القاهرة ١٩٨٥.

٢٤- هنريك ابسن - مسرحية بيت الدمية - ترجمة كامل يوسف - مكتبة الفنون الدرامية - عبد الحليم البشلاوي - مكتبة مصر - دار مصر للطباعة - القاهرة ١٩٧٩ .

٢٥- ابراهيم حمادة (د.) معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية - دار الشعب - القاهرة ١٩٧١ .

٢٦- رشاد رشدي (د.) نظرية الدراما من أرسطو إلى الآن - دار العودة - الطبعة الثانية - بيروت - ١٩٧٥ .

٢٧- سمير سرحان (د.) المسرح المعاصره مطبوعات الجديده الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٣ .

٢٨- هنريك ليسنك - مسرح الشارع في أميريكا - ترجمة عبد السلام رضوان - دار الفكر المعاصر - القاهرة - ١٩٧٩ .

٢٩- المرايس - المسرح الحي - ترجمة د. داوود حلمي السيد - مؤسسة فرانكين - دار نهضة مصر - القاهرة - ١٩٦٥ .

٣٠- نيللي كو - نيينكو - مسرح على قارعة الطريق - رسالة اليونسكو - الطبعة العربية العدد ٢٦٣ - القاهرة ١٩٨٣ .

٣١- سعد أردش - المخرج في المسرح المعاصر - سلسلة عالم المعرفة - الكويت يوليو ١٩٧٩ .

٣٢- بوفان تشير يلوف - مهرجان بلغراد المسرحي - دراسة - رسالة اليونسكو- الطبعة العربية - القاهرة العدد - ابريل ١٩٨٣ .

٣٣- ألأرديس نيكول - المسرحية العالمية - الجزء الأول - ترجمة عثمان نويه - مكتبة الأنجلو - القاهرة .

٣٤- عي شلش (د.) الدراما الافريقية - كتابك - دار المعارف - القاهرة - ١٩٧٩

٣٥- اجستو بوال - المسرح حاجة ملحة - دراسة - مجلة رسالة اليونسكو - العدد ٢٦٣ الطبعة العربية - القاهرة - ابريل ١٩٨٣ .

٣٦- الامام النووي - الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار - الطبعة الثالثة- مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - القاهرة ١٩٥٢ .

٣٧- محمد عبد الواحد حجازي (د.) موقف الاسلام من الفنون - المكتبة الثقافية الهيئة المصرية العامة للكتاب - العدد ٣٨٠ - القاهرة ١٩٨٤ .

٣٨- محمد كمال الدين - العرب والمسرح - كتاب الهلال - دار الهلال - ٢٩٣ - القاهرة- مايو ١٩٧٥

٣٩- ابراهيم حمادة (د.) توفيق الحكيم والبحث عن قالب مسرحى عربى - دراسة - مجلة فصول - المجلد الثانى - العدد الثالث - ابريل - يونيو ١٩٨٢ .
٤٠- توفيق الحكيم - قالبنا المسرحى - مكتبة الآداب - القاهرة ١٩٦٧ .
٤١- محمد محمود الجوهرى (د.) الصحافة والحرب رسالة دكتوراه .
٤٢- اريك بارنو - الاتصال بالجماهير - ترجمة صلاح عز الدين و فؤاد كامل وأنور المشرى - مكتبة مصر - القاهرة - ١٩٥٨ .
٤٣- بيير البير - الصحافة - ترجمة فاطمة عبد الله محمود - الألف كتاب الثانى - ٤٤ - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٧ .
٤٤- ابراهيم المسلمى (د.) الصحافة الاقليمية فى مصير - نشأتها وتطورها - مطبعة بسم الله - القاهرة - ١٩٨٨ .
٤٥- عبد العزيز الغنام (د.) مدخل إلى علم الصحافة - الجزء الأول - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٧٧.
٤٦- جريدة أخبار اليوم القاهرية - العدد الصادر وم ١٩٥١/٦/٣ بعنوان : أخبار اليوم تحقق حادث بهوت - لماذا حرقوا قصر البدراوى .
٤٧- جريدة الأهرام القاهرية - عدد ٣١ يوليو ١٩٦٧
٤٨- أوستن رانى - قنوات السلطة - ترجمة موسى جعفر - سلسلة المائة كتاب - بغداد- ١٩٨٦ .
٤٩- هربرت أ . شيللر - المتلاعبون بالعقول - ترجمة عبد السلام رضوان - سلسلة عالم الفكر الكويت - اكتوبر ١٩٨٦ .
٥٠- سلامة موسى - الصحافة حرفة ورسالة - مطبعة مصر - القاهرة ١٩٥٨
٥١- محمد السيد عيد - مطبوعات الماستر - صوت صارخ فى البرية - دراسة مقدمة إلى المؤتمر الرابع لأدباء مصر فى الاقاليم - ١٢ - ١٥ سبتمبر ١٩٨٨ .
٥٢- الصحافة المصرية فى مصر منذ نشأتها حتى نهاية الثورة العرابية - مطبعة التحرير القاهرة - ١٩٥٣ .
٥٣- ڤيم فندر - من وجهة نظر المصور - مقابلة مع المخرج السينمائى الألمانى ڤيم فندر - مجلة رسالة اليونسكو- العدد ٣٢٣ - الطبعة العربية - القاهرة ابريل ١٩٨٨ .
٥٤- مارشال ماكلوهان - كيف تفهم وسائل الاتصال - ترجمة د. خليل صابات وآخرين - مؤسسة فرانكلين - القاهرة - نوفمبر ١٩٧٥ .
٥٥- قاسم حول سعدون وآخرون - أيمات الحلقة الدراسية فى مجال كتابة السيناريو - المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلام - طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية - ١٩٨٦
56- Mary Davies , Janice Avderson and Peter Arnold. The Hamlyn History of

the Movies - The Hamlyn Publishing Group LiMiked . London - 1975 .

٥٧- مارلين فيلوس - ترستان وبافلوفا - دراسة فى مجلة رسالة اليونسكو - الطبعة العربية - القاهرة - عدد اكتوبر ١٩٨٩ .

٥٨- بارامش كريشنان قير - الهند - لايزال هناك ما يمكن انقاذه - دراسة منشوره فى مجلة رسالة اليونسكو - الطبعة العربية - العدد ٢٧٩ - القاهرة - ١٩٨٤ .

٥٩- أمير العمرى - أصابع السيطرة الصهيونية على السينما العالمية - دراسة - مجلة أدب ونقد - القاهرة - عدد يناير ١٩٨٥ .

٦٠- شفيق عبد اللطيف - السينما الاسرائيلية - سلسلة اقرأ - دار المعارف - العدد ٢٥٦ - القاهرة - ١٩٨٧.

٦١- وكالات الأنباء - من بودلر - ولاية كلورادو الأمريكية - وجريدة الأهرام القاهرية - الصفحة الأولى - الطبعة الثالثة - القاهرة - ٢٦ سبتمبر ١٩٩٥ .

٦٢- ديفيد واكن - مقدمة إلى وسائل الاتصال - ترجمة وديع فسطين - مطابع الأهرام القاهرية - القاهرة ١٩٨١ .

٦٣- عبد المجيد شكرى - فنون الراديو فى ضوء تغيرات العصر - العربى للنشر والتوزيع - القاهرة ١٩٩٥ .

٦٤- الاعلام المصرى - نظرة على الحاضر ورؤية حول المستقبل - مجلة الفن الاذاعى - العدد ١٤٤ - اتحاد الاذاعة والتلفزيون - القاهرة - مايو ١٩٩٥ .

٦٥- عفاف المولد - الاعلام الاذاعى المحلى - دراسة - المصدر السابق .

٦٦- سمير فريد - الصراع العربى الصهيونى فى السينما - دار سعاد الصباح - القاهرة ١٩٩٢ .

٦٧- منير فريد - الصراع العربى الصهيونى فى السينما المصرية - رواد وأفلام - المكتبة الثقافية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٥ .

٦٨- سعد الدين توفيق - قصة السينما فى مصر - كتاب الهلال - القاهرة - أغسطس ١٩٦٩ .

٦٩- جان الكسان - السينما فى الوطن العربى - مسلسلة عالم المعرفة - الكويت - مارس ١٩٨٢ .

٧٠- احمد طاهر - الاذاعة والسياسة الدولية - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨٠ .

٧١- ابراهيم وهبى - الخبر الاذاعى - دار الفكر العربى - الطبعة الأولى - القاهرة - ١٩٨٠ .

٧٢- محمد فتحى - الاذاعة المصرية فى نصف قرن - ١٩٣٤ - ١٩٨٤ - اتحاد الاذاعة والتلفزيون - القاهرة ١٩٨٤ .

73- N.S. Biryukor, Television in the west and it's doctrines, Press Publishers , Mosco - 1977 .

٧٤- فوزية فهيم (د.) التلفزيون فن - سلسلة اقرأ - دار المعارف - العدد ٤٦٥ - القاهرة - يونيو ١٩٨١ .

٧٥- مجلة روز اليوسف عدد ٨ مايو ١٩٥١ .

76- David Crystal - The Cambridge Ensyclopedia - Cambridge university Press 1990 .

77- R. Terry Ellmore , NTC'S Mass Medra Dictionary , National Textbook Company , Lincolonwood, I llhinois, U.S.A 1990.

٧٨- محمد سيد محمد (د.) صناعة الكتاب ونشره - دار المعارف - القاهرة ١٩٨٨ .

٧٩- احمد بدر (د.) الاتصال بالجماهير بين الاعلام وألدعاية والتنمية - وكالة المطبوعات عبد الله حرمى - الكويت ١٩٨٢ .

80- E.M.Rogers , Diffusion of Jnnovations, The Free Press of Glenceoe,1962 .

٨١- اسماعيل على سعد (د.) الاتصال والرأى العام - بحث فى القوة والأيدلوجية - دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية - الطبعة الثانية - ١٩٨١ .

82- Panflov , Broadcasting Pirates or Abuse of the Microphone, English Tronslalion Progress Publishers Moscow, 1981 .

٨٣- ادوارد واكين - مقدمة الى وسائل الاتصال - ترجمة وديع فلسطين - مطابع الأهرام التجارية .

٨٤- طه محمود طه (د.) وسائل الاتصال الحديثة - عالم الفكر - الكويت يوليو سبتمبر ١٩٨٠ .

٨٥- فرنسيس ليبى - المريخ بين الواقع والحياة - مجلة رسالة اليونسكو - الطبعة العربية - القاهرة - يناير ١٩٩٣ .

٨٦- عفاف المولد - الاعلام الاذاعى المحلى - مجلة الفن الاذاعى - العدد ١٤٤ - مايو ١٩٩٥ .

٨٧- مجلة الفن الاذاعى العدد ١٤٤- الاعلام المصرى نظرة على الحاضر ورؤية حول المستقبل - مايو ١٩٩٥ .

٨٨- أوستن رامى - قنوات السلطة - ترجمة موسى جعفر - وزارة الثقافة والاعلام - بغداد ١٩٨٦ .

الانتاج العلمى للمؤلف

١- الاذاعات المحلية لغة العصر - دار الفكر العربى - الطبعة الثالثة - ١٩٨٧ .

٢- الاعلام التعاونى فى ظل عالم متغير - بالاشتراك - العربى للنشر والتوزيع - ١٩٩٢ .

٣- الاتصال بالجماهير - الواقع - المستقبل - (مدخل) العربى للنشر والتوزيع ١٩٩٥.

٤- فنون الراديو فى ضوء متغيرات العصر - العربى للنشر والتوزيع - ١٩٩٥ .

٥- المسرح كوسيلة اتصال بالجماهير - العربى للنشر والتوزيع - ١٩٩٣ .

٦- الاذاعة المدرسية فى ضوء تكنولوجيا التعليم - دار الفكر العربى ١٩٩٦ .

٧- تكنولوجيا الاتصال - الجديد فى تكنولوجيا الاتصال - الراديو - التلفزيون - دار الفكر العربى - ١٩٩٦.

٨- التخطيط الاعلامى - رؤية موضوعية نحو المستقبل - العربى للنشر والتوزيع - نفذ .

٩- انتاج واخراج المواد الاعلامية - راديو - تلفزيون - العربى للنشر والتوزيع - نفذ.

١٠- الاعلام المحلى - رؤية مستقبلية - العربى للنشر والتوزيع ١٩٩٥ .

١١- الاعلام والعلمانية المعادية - جامعة الزقازيق وجامعة محمد بن مسعود بالرياض - دار الصحوة - ١٩٩٤.

١٢- الدراما المرئية للصغار - سينما - تلفزيون - مسرح طفل - عرائس - أراجوز - خيال ظل - المسرح الأسود- كارتون - العربى للنشر والتوزيع ١٩٩٥

١٣- الاذاعات المحلية ودورها فى التنمية الزراعية - جامعة المنوفية - شبين الكوم ١٩٨٤.

١٤- الاذاعات المحلية والتنمية فى وضوء متغيرات العصر - كلية الزراعة - جامعة طنطا - كفر الشيخ ١٩٨٨.

١٥- الاذاعات الاسلامية فى مواجهة تحديات العصر - جامعة الأزهر ومركز الشيخ صالح كامل للاقتصاد الاسلامى ومؤسسة اقرأ - ١٩٩٢ .

١٦- برامج المرأة والتنمية فى الراديو والتلفزيون - دراسة - جامعة الازهر والمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ١٩٩٢ .

١٧- الاتصال الاعلامى والتنمية - العربى للنشر والتوزيع - ١٩٩٥ .

١٨- مدخل إلى علوم المسرح - العربى للنشر والتوزيع - ١٩٩٦ .

١٩- فن الكتابة للراديو - العربى للنشر والتوزيع ١٩٩٦ .

٢٠- فنون التلفزيون سحر الصوره والحركة واللون - العربى للنشر والتوزيع ١٩٩٦ .

21- The Function of the Local Broadcast

مجموعة محاضرات ألقيت فى معهد الاذاعيين الأفارقة Anglo Phomis- اتحاد الاذاعة والتلفزيون - ١٩٨٦.

23- Mass Media - Introduction .

العربى للنشر والتوزيع - ١٩٩٥ .

23- New Dramatic Arts- Selections .

العربى للنشر والتوزيع - ١٩٩٥ .

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الاهداء	
استفتاح	٥
* الفصل الاول *	٩

الظاهرة الاتصالية

بين الانسان الأول وإنسان العصر الحديث - الاتصال ظاهرة وثورة منذ البداية - اتصال ذاتى سر الأسرار - بين الاعلام والاتصال - الاعلام ومفهوم المصطلح - اتصال.. كيف .. ؟ - الاتصال الشخصى - الاتصال الجمعى - الاتصال الجماهيرى- بين حق الاعلام والحق فى الاتصال - التخطيط الاعلامى ضرورة - الاستراتيجية والتخطيط الاعلامى المتكامل - التخطيط الاعلامى وفلسفة النظم - الفلسفة الذاتية وجهة نظر - على طريق النقد الذاتى - الاعلام يحاصر إنسان العصر الحديث- علاقة الدولة بوسائل الاتصال الجماهيرى - بين الايدلوجيا والليبرالية- نظريات الاعلام الأربع - نظريات الاعلام السائدة - نظرية السلطة - نظرية الحرية - نظرية المسئولية الاجتماعية - النظرية السوفيتية الشيوعية - تقسيم جديد لنظم اعلامية مساندة - اعلام التزامى - اعلام الزامى - اعلام مسطح- اعلام طفيلى- اعلام عميل - مولد الاعلام التخصصى

* الفصل الثانى *	٣٣

اللغة كوسيلة اتصال

مرحلة الانسان العاوى .. من الاشارة إلى الكلمات - من اللغة الصامتة الى لغة الكلام - صورة اتصالية قتلت بشار بن برد - الشعر القديم .. اعلام وإعلان - الاغريق ونظام الرقباء - الحمام الزاجل ينقل الرسائل- تحقيق الهوية الذاتية ومرض الهروب منها - حرب اللغات ومحو الأمية - اللغة العربية تواجه التحدى

* الفصل الثالث *	٤٣

اللغة المكتوبة

البحث عن لغة عالمية مشتركة - رسم له معنى - الكتابة كظاهرة - كتابة الرسائل - طرق عديدة لنقل الرسائل - الاختيار الحر للانسان

* الفصل الرابع *	٥١

الكتاب كوسيلة اتصال

الكتاب وسيلة اتصال .. لماذا ؟- كتاب الموتى أول كتاب مصور فى التاريخ - الكتاب الفرعونى بالمفهوم الاتصالى - الكتاب فى حياة الاغريق - مع فجر الحضارة الاسلامية - المكتبات العامة بين المساجد وبيوت الحكمة - انتشار الكتاب المخطوط كظاهرة - الكتاب المطبوع ظاهرة أيضا - تأثير

الكتاب كوسيلة اتصال - الكتب ذاكرة البشر - الكتاب وجد لكى يستمر - منظومة شفاهية واسعة الانتشار - الكتاب هو مايخرج من عقل الكاتب دون تحريف - حاجة ملحة وليس ترفا

* الفصل الخامس * ٦٣

المسرح كوسيلة اتصال

المسرح من داخل الكهف إلى خارجه - الفعلية السحرية فى أعماقنا - المسرح الفرعونى أسبق - من الكلاسيكيات الاغريقية إلى العصر الحديث - الطابع الاتصالى للأشكال المسرحية - بين المذاهب الاجتماعية والمذاهب المسرحية - الواقعية الغربية المتشائمة - واقعية البناء - أهم أشكال المسرح المعاصر - المسرح الملحمى - المسرح الحى - الشباب ومسرحهم الناهض - المسرح السرى وكتّاب الوجدان الجديد - مسرح الجنوب الحر - مسرح الشارع أيضا - بين الأوتشرك والواقعية النقدية المتفائلة - الفن سلاح - المسرح الشعبى - مسارح التنشيط الذاتى - المسرح الثالث - مسرح أصحاب القضايا الملحة - مسرح الأقليات العرقية فى الولايات المتحدة الأمريكية - المسرح الزنجى وعدالة القضية - مسرح الجنوب الحر مرة أخرى - المسرح الأغريقى - المسرح ليس تفردا أوربيا - مسرح مشاركة وثورة تحررية - مسرح الضرورات الملحة فى أميريكا اللاتينية - المسرح يسقط العمدة - وضوح العملية الاتصالية - مسرح تحريضى مباشر - مسرح الشتات فى الوطن العربى - أصوات عديدة .. أمة واحدة - المسرح كظاهرة اتصالية أصيلة فى المجتمعات العربية - الاستسقاء كظاهرة مسرحية - السمر فى حياة البارية - شواهد مسرحية واضحة - الراوى وبدء الممثل الفرد - النياحة فى الجاهلية وبعد ظهور الاسلام - مسرح الأراجوز وخيال الظل - شكل تمثيلى خالص - البحث عن شكل أصيل للمسرح العربى - جهود المسرحيين العرب - مهرجان المسرح العربى المتنقل

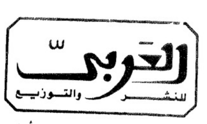
* الفصل السادس * ٩٧

الصحافة ضمير العصر

البداية فى مصر القديمة - بين الصينيين والرومان - المعلقات فى الجزيرة العربية - المعلقات وأوامر الحكام - تحول المعلقة إلى صحيفة متداولة - الصحافة كظاهرة - الصحافة بمعناها الحديث - مجتمع جديد .. بيئة جديدة .. وسيلة اتصال جديدة - نظرة تاريخية فى عالمنا العربى - الصحافة كظاهرة .. مرة أخرى فى محاولة لتصنيف الصحف - شخصية الصحيفة - المجلات بين العمومية والتخصص - المجلات المصورة - سلعة سريعة التلف - الصحافة والرأى العام - سلطة رابعة ورقابة شعبية واعية - سلطة رابعة ... ولكن !! - طريق محفوف بالأخطار - المجازات تكنولوجية فى خدمة الصحافة - عولمة المعلومات فى خدمة الصحافة - ضربة قاتلة للصحف التقليدية .. - بين الطبعات الدولية وصحافة الاغتراب- بين صحف الحائط وصحف الماستر - الصحافة الوطنية بلغات أجنبية

* الفصل السابع * ١٢٧
السينما كوسيلة اتصال بالجماهير
وتحققت بعض أحلام البشر - ماقبل البدايات - التقاط الصور والاحتفاظ بها - ظاهرة استمرار الرؤية - البداية الحقيقية مجرد رهان - خطوات أخرى على الطريق - توماس أديسون يدخل الساحة - شهادة ميلاد الفن السابع - بداية عصر جديد - استحداث حركات جديدة للكاميرا - وبدأت الصور تتكلم - سؤال يطرح نفسه عن السينما الأمريكية - صائد الغزلان المعتدى - الأفلام ذات الرسالة - فى خدمة الامبريالية الأمريكية - السينما السوفيتية - أيام ما قبل البروسترويكا والجلاسنوست وسقوط الاتحاد السوفيتى - السينما السوفيتية فى مواجهة السينما الأمريكية - وبدأت الصورة تتغير - السينما الطليعية - سينما رافضة لكل ظلم - انها سينما الأساليب الجديدة أيضا - السينما السرية - السينما الاباحية - السينما الهندية - فيلم سينمائى لكل مليون مواطن - السينما الباكستانية - السينما الاسرائيلية - سلاح فى خدمة العنصرية الصهيونية - صورة العرب والمسلمين فى السينما الأمريكية - السينما الاسرائيلية أيضا - السينما المصرية - رحلة نجاح جديرة بالتسجيل - البدايات - الدور الاتصالى للسينما فى مصر - من سلبيات السينما المصرية - كل بيئة جديدة ومجتمع جديد يعبر عنها اعلام جديد - دعوة إلى التقليد الحر
* الفصل الثامن * ١٦٩
الراديـــو
صوت أسقط الحواجز بين البشر - الراديو فى البلاد العربية - رحلة مصر مع الراديو - الشبكات الاذاعية - وظائف عديدة للراديو - تصنيف المادة المذاعة - جهاز بسيط على جميع حواسنا
* الفصل التاسع * ١٧٩
التلفزيون
سحر الصوت والصورة والحركة واللون - الوسيلة الاكثر تأثيرا - الوسيلة الاكثر حميمية أيضا - نظرة تاريخية - مصر تدخل عصر التلفزيون - التلفزيون فى العالم العربى - التلفزيون المصر .. خطوات رائدة على الطريق - عشر قنوات متطورة - قناتان مركزيتان - القنوات المحلية - قنوات ذات طبيعة خاصة فى إطار المشروعات المستقبلية - قنوات دولية - قنوات المعلومات المرئية - القمر الصناعى المصرى - قنوات الانفتاح الاعلامى
كلمة أخيرا ١٨٩
* المراجع والمصادر ١٩١
* الانتاج العلمى للمؤلف ١٩٦
* المحتـــويـــات ١٩٧





٦٠ شارع القصر العينى - أمام
روزاليوسف (١١٤٥١) القاهرة
ت: ٣٥٥٤٥٢٩ فاكس : ٣٥٤٧٥٦٦